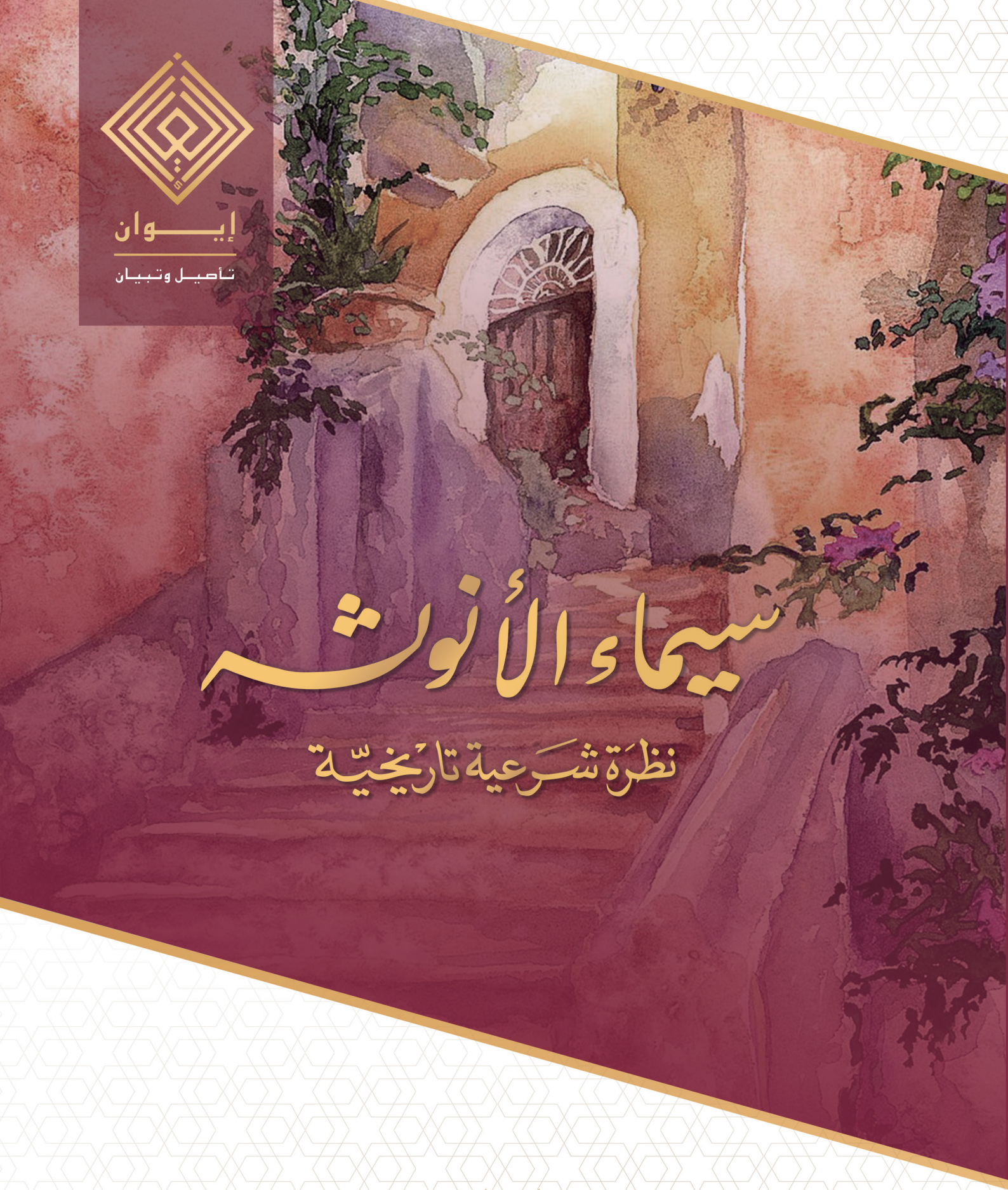

إيوان
تأصيل وتبيان

سيماء الأنوثة

نظرة شرعية تاريخيّة

إعداد

د. سارة هشام عبدالملك النوري منيرة عادل عبدالرحمن الذكير

مها عبداللطيف سعود المنيع أسماء بسام خضر الشطي

د. فاطمة سامي بلال

سيماء الأنوثة

نظرة شرعية تاريخية

مكتبة الكويت الوطنية
National Library of Kuwait

عنوان الكتاب : سيماء الأنوثة (نظرة شرعية تاريخية) .

اسم المؤلف : مجموعة إيوان : سارة النوري/ منيرة الذكير/ مها المنيع / أسماء الشطي/ فاطمة سامي.

نوع المطبوع : كتاب ـ الطبعة : الأولى ـ عدد الصفحات :

تجليد : فني ـ القياس : ١٧ × ٢٤ ـ عدد النسخ : ١٠٠٠

ردمك: ISBN

حقوق الطبع محفوظة

لمركز إيوان

الطَّبْعَةُ الأُوْلَى

١٤٤٢هـ ـ ٢٠٢١م

سيماء الأنوثة

نظرة شرعية تاريخية

تأليف

د.سارة هشام النوري

منيرة عادل الذكير

مها عبداللطيف المنيع

أسماء بسام الشطى

د.فاطمة سامى بلال

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

الحمد لله الذي خلق الأنثىٰ في أحسن تقويم، ونقلها في أطوار التخليق حالًا بعد حال إلىٰ أكمل الأحوال؛ فكان في تركيب الصورة الآدمية الأنثوية دلالةٌ علىٰ قدرة الله، وعجيب خلقه وتصويره، ثم الصلاةُ والسلام علىٰ محمد؛ أرحمِ الخلق بالنساء، وأشفقهم بِهنَّ، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن في الشريعة الإسلامية تبياناً لكل الأشياء، وتفصيلاً لكل الأحداث، وهي صالحة لكل الأزمان، محقِّقة مصالح العباد، ومعتنية باحتياجاتهم، ومعززة لسِيمائهم. ومما بينته الشريعة أنوثة المرأة، وعلاماتها لتكون للأنثىٰ خِلْقة ربانية، وفطرة إنسانية، فكانت بعد ذلك للأنثىٰ سِيماء.

وقد جاء كتاب «**سِيماء الأنوثة ـ نظرة شرعية تاريخية**» مع طرحه العلمي الموثق، وعرضه التاريخي المعمق، ليبرز الأنوثة بحقيقتها الشرعية التاريخية، ويعالج المشكلات الأنثوية من خلال التأصيل والتبيان لسيمائها.

وهذا الكتاب يلامس الأنثىٰ ولا يستغني عنه الرجل، مع ما تضمنه من تراكيب جميلة، وتنبيهات لطيفة.

ولذا؛ فإن مركز «إيوان» يقدِّم هذا الإصدار لقُرائه الفضلاء، سائلًا الله أن يجعل فيه النفع والفائدة للجميع.

والحمد لله رب العالمين

مركز
إيوان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق الأنثىٰ، وكوَّنها علىٰ أجمل صورة وألطفِ نشأة، وصبَغَها بسيماء الأنوثة، حتىٰ أُفرِغت في قالَبِ الجمال، ووُسِمَت بمِيسَم الحُسن. ثم الصلاة والسلام علىٰ نبيِّنا محمد ﷺ وعلىٰ زوجاته الطاهرات، وعلىٰ آله وصحبه والتابعين، وبعد:

فإن الأنوثةَ أَمارةٌ فطرية، وآية خَلْقية وخُلقية. نشأت عليها الأنثىٰ؛ حتىٰ نُقِشت بسِيماء الأنوثة الباطنة والظاهرة، فبانت أماراتُها عليها بدلائلَ ناطقة، وشواهدَ صادقة.

والناظر في واقع الأنثىٰ اليوم، وما يحوم حوله من عثرات فِكرية، وتشبيهاتٍ عقلية، وقوالِبَ نمطية، وتشويهات عَقَدية، وممارسات عنصرية، يجد أننا بحاجةٍ إلىٰ مزيد من التأصيل حول حقيقة الأنثىٰ، وسيمائها الفطرية التي خُلِقت عليها، هذا وقد شهدنا في زمننا الحاضر الكثيرَ من الانتكاسات الفطرية حول الأنوثة وسيمائها.

ولذا كان من المناسب أن نَرجع بهذه السِّيماء إلىٰ الأصل الفطري والشرعي، خاصةً وأن الأنوثة وخصائصَها قد استُهلِكت في ميادينَ مختلفة، إلا أننا لم نجد مَن استوعبها تفصيلاً بنظرة شرعية تاريخية.

وإذا رجعنا إلىٰ لفظ الأنوثة وجَدناه من الألفاظ المجمَلة، وكثيرٌ من نزاع

الناس يقع بسبب هذا النوع من الألفاظ التي تكون على سبيل الإجمال، وهذه الألفاظ تكون في مواضعَ كثيرة موهِمة، يسهل فيها التلبيسُ على الناس والتخليطُ عليهم من خلال الأطروحات والكتابات وعرضِ الأفكار.

ولذا يقول ابنُ «تيميَّة ﷺ» في بيان ذلك: (ولكن هؤلاء عمَدوا إلى ألفاظٍ مجمَلة مشتبهة تحتمل في لغات الأمم معانيَ متعددةً وصاروا يُدخِلون فيها من المعاني ما ليس هو المفهومَ منها في لُغات الأمم، ثم ركَّبوها وألَّفوها تأليفًا طويلًا بنَوا بعضه على بعض، وعظَّموا قولهم، وهوَّلوه في نفوسِ من لم يفهمه، ولا ريب أن فيه دقةً وغموضًا؛ لما فيه من الألفاظ المشتركة والمعاني المشتبهة، فإذا دخل معهم الطالبُ وخاطَبوه بما تنفر عنه فِطرتُه، فأخذ يعترض عليهم قالوا له: أنت لا تَفهم هذا، وهذا لا يَصلُح لك، فيبقى ما في النفوس من الأَنَفة والحَميَّة يحملها على أن تُسلِّم تلك الأمور قبل تحقيقها عنده، وعلى ترك الاعتراض عليها خشيةَ أن ينسبوه إلى نقصِ العلم والعقل)[1].

ولذا نزَحَت قلوبنا إلى خُدور كتب الشَّرع والتاريخ؛ لبيانِ الأنوثة وسيمائها، ولنُجيب على الأسئلة التي يتَداولها الكثير:

ما هي الأنوثة؟

وكيف تكون المرأة أنثى؟

وكيف نظرَت الشريعة إلى الأنوثة واعتنَت بها؟

وكيف تمايَلَت الأنوثة في الحضارات عبر التاريخ؟

(١) دَرْء تعارض العقل والنقل (١/٢٩٥).

ومن الطبيعيِّ أن نجد المرأة ساعيةً حول أنوثتها والرجلَ كذلك إلىٰ ذُكورته، وهذا أمرٌ تَقْتضيه الفِطرةُ الإنسانية، فالمرأة في لغة العرب إذا مُدِحت بأنها كاملةٌ سُمِّيت بالأنثىٰ[1]، ولذا نَأمُل أن تجد الأنثىٰ بُغْيَتَها في هذا الكتاب.

وقد ارتأَينا بعد الاستقراءِ والجمع تقسيمَ سيماءِ الأنوثة من حيث الجملةُ إلىٰ خمسِ علامات: تكون كالأصول، عليها قِوامُ الأنوثة، وهذه العلامات تدور بين أصلٍ وزيادة.

فأمَّا أصول هذه العلامات فهي في كلِّ أنثىٰ، وأما الزيادات فهي بحسَب كلِّ أنثىٰ، وهي مِن الزيادة في الخلق؛ كما قال سبحانه: ﴿يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ﴾، وأمَّا تعزيزُها في النفس فهو راجعٌ إلىٰ الأنثىٰ نفسِها.

وقد انتظَم العمل في الكتاب بعد عَرضِ الفكرة، كالتالي:

الإعداد:

د. سارة هشام النوري.

أ. منيرة عادل الذكير.

أ. مها عبداللطيف المنيع.

أ. أسماء بسام الشطي.

د. فاطمة سامي بلال.

---

(١) انظر: لسان العرب (٢/١١٢)، التكملة والذيل والصلة (١/٣٤٩).

التحرير:

د. سارة هشام النوري

أ. منيرة عادل الذكير.

فإليكم سيماءَ الأنوثة؛ لِتَسكنوا إليها، وأطرِقوا لها مَشاعِرَكم، وتَمسَّكوا بحبل الأناة والتأمُّل أثناء القراءة، لِتَجدوا كيف أن الشريعة الإسلامية قد اعتنَت بالرسم الأنثويِّ أيَّما عنايةٍ، وكيف نظَر التاريخ إلىٰ الأنثىٰ؛ لِتَخرجوا بعد هذا الكتاب:

بنظرةٍ سهلة الملتمَس، دانيةِ القُطوف.

نسأل الله أن يتقبَّل هذا العمل، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم

والحمد لله رب العالمين

سيماء

رواسم المرء

إذا أردتَ أن تَعرِف رواسمَ المرء؛ نظرتَ إلىٰ سيمائه؛ لتكون تلك السِّيماءُ لك علامةً ودلالة، فالسِّيماءُ هي: العلامة التي تُجعَل في الشيء[1]، ولكلِّ شيء سيماءٌ.

والسِّيماء تُلامِس الظاهرَ، ويُعاينها الناظر، وبها نعرف الباطن، ومن هنا كانت وسيلةً لمعرفة الشيء، ولذا فإننا نجد المؤمن تظهر سِيماءُ عبادته الخفيَّة علىٰ ظاهره، كما قال تعالىٰ: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ فهؤلاء قد أثَّرت العبادةُ مِن كثرتها وحُسنها في وجوههم حتىٰ استنارت وأضاءت، فلما استنارت بالصلاة بَواطنُهم؛ استنارت بالجلال ظواهرُهم[2].

وأما الأنثىٰ، فلها رُسوم واضحة، ودلائلُ ناطقة، تَلوحُ علىٰ مُحيَّاها بسيماء الأنوثة، فحريٌّ بالأنثىٰ أن تتَّسِم بها وتَحرِص عليها لتكتملَ بها أنوثتُها، فإن الحصادَ بجِنس غَرْسِه، وكما قيل في المثل: (لا تَدُسَّ سنابلَ القمح لكي تَقطفَ شَقائقَ النُّعمان).

---

(١) انظر: مادة (سوم) الصِّحاح (٥/١٩٥٥)، مادة (سوم) مقاييس اللغة (٣/١١٨)، مادة (سوم) لسان العرب (١٢/٣١٢).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢١/٣٢١)، تفسير السِّعدي (ص: ٧٩٥).

وإذا نظَرنا في الكتاب وجَدْنا السِّيماءَ خمسةً ، فأوَّلُها: سيماءُ الإنسانيَّة ، وثانيها: الزوجية ، وثالثُها: السكَن ، ورابعُها: العاطفة ، وخامسها: الجمال .

لكلِّ سيماءٍ منها بَراهينُ من الوحيَين ساطعةٌ ، وشواهدُ من التاريخِ صادقة ، وربما يتَمايلُ القُراء قليلًا مع تمايُل الثقافات واختلافها ، إلا أن تَمايُل السنابل الرقيقة بسيقانِها الذهبيَّة في الحقول مع الرِّيح ؛ لا يَحرِم المزارعَ المشتاقَ أبدًا من الحصاد .

السِّيماء الأولى

الأنثى إنسانٌ

سلائلُ النَّفس

لقد برأ اللهُ ﷻ كلَّ ما في هذا الكونِ من مخلوقاتٍ على بداية ونهاية، وكوَّن جميعَ خلقه على جِبِلَّة ذاتية، وحقيقةٍ فطريَّة، وسيماء تعريفيَّة.

وقد جاءت نصوصُ الوحيَين بإشارات كثيرة لا تخلو من التفصيلِ في شأن بَدْء الخلق، فبدأ خلقُ الإنسانِ ـ آدمَ عليه السلام ـ من طين.

ثم جاءت بعده الأنثى الأولى ـ أمُّنا حوَّاء ـ بكِيانها الأنثوي، وعِقْد سيمائها اللؤلؤيِّ؛ لِتَفهم الأنثى بعد ذلك رُسومَها برواسمِ أمِّها، وتَعرف حقيقتها الإنسانية الواضحة بجِلاءٍ وبَهاء.

ثم يستقرُّ في قلبها حقيقةُ مجيء الأنثى، فقد قال سبحانه: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ لتفهم كيف أن الله بثَّ الناس في أقطار الأرض، مع رجوعِهم إلى أصلٍ واحد ونفسٍ واحدة، فيَعطِفُ سبحانه بعضَهم على بعض، ويُرقِّق بعضَهم على بعض[1].

وفي هذه السِّيماء الأولى تتهلَّل الغُرَّة، وتُشرِق الدِّيباجة لسلائل النَّفس مع مَليحة القِسمة، لطيفةِ الخَلْق: «أنثى الإنسان».

---

(١) انظر: تفسير السعدي (١/١٦٣).

الإنسانية والحقيقة الأنثوية

١

إن النظرَ في الأنوثة يَدفعُنا إلىٰ بيانِ قصَّة الخلق الأولىٰ، وموضعَ الأنثىٰ منها؛ لنتأمَّل كيف قَدَّر اللهُ وجودَ هذا الكِيان الأنثَوي، ومن أين بدأ؛ فنَفهم بعد ذلك حقيقةَ لطيفة التَّكوين، أنثىٰ الإنسان.

لقد خلَق اللهُ ﷻ الأنثىٰ والذَّكَر من مادةٍ واحدة وهي التراب[١]، وأصلٍ واحد، وجنسٍ واحد، وذلك بخَلقِ أصل النَّسل وهو آدمُ عليه السلام، فكلُّهم يرجعون إليه، لتجمَعَهم وحدةُ الأصلِ الإنساني، وجعَل سبحانه ذلك من الآيات الدالَّة علىٰ انفرادِه بالألوهيَّة، وقوَّة اقتدارِه، وجميلِ صُنعه سبحانه[٢].

وفي بيان وحدة الأصل يقول سبحانه: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾[٣]. فأصبح بذلك كلٌّ منهما قرينًا للآخَر؛ ليتولَّد مفهومُ الزوجية الذي سيأتي في السِّيماء التالية: «الأنثىٰ زوج».

---

(١) قال تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ [الروم: ٢٠].

(٢) انظر: تفسير السعدي (١/٦٣٩، ٨٠٢).

(٣) [النساء: ١].

۞ الأنوثةُ ووَحدة الأصلِ الإنساني:

إذًا من حيث الابتداءُ، فقد بيَّنت الشريعة الإسلامية بأن الأنثى صنفٌ إنساني كالذكر، وأنَّ وحدة الأصل الإنسانيِّ هذه نتَجَت من خلالها: فطرةُ الاتِّصال والاتحادِ بين الذكَر والأنثى، فقال سبحانه في كتابه: ﴿مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾[1].

وفي بيان إنسانيَّة الأنثى يقولُ سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾. فبيَّن سبحانه أن الأنثى والذكَر كِلامهما داخلٌ في مُسمَّى الناس.

وقَصْدُ هذه الآيةِ التسويةُ بين الناسِ ذُكرانِهم وإناثهم في الكرامة وسُلالة الشرف، وأن التَّفاضُل في الكرامة بين البشر الذين كرَّمهم الله بإنسانيتِهم، لا يكون إلا بأمرٍ واحد وهو: التَّقْوى، فمن أراد شرفًا وفضلًا فلْيلتمِسْه بذلك، فإن التقوى بها تَكمُل النفوس، ويتَفاضلُ بها الأشخاص، ولا وجهَ للتفاضل بغيرها، فإن كان مِن أمرٍ يدعو إلى التنافس، فهو التنافسُ بالتقوى[2].

فالأنثى هي في الأصل إنسانٌ كريمُ العُنصرِ والمَنْبت، وفي ذلك يقولُ سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾[3]، أي: جعَلنا للذكرِ والأنثى كرمًا، وشرفًا وفضلًا، وهذا هو كرمُ نفي النُّقصان، لا كرمُ المال، وإنما هو كما تقول: ثوبٌ

(١) [آل عمران: ١٩٥].

(٢) انظر: تفسير ابن عطية (١٥٢/٥)، تفسير البيضاوي (١٣٧/٥)، تفسير القاسمي (٥٣٨/٨ ـ ٥٤٠)، التحرير والتنوير (٢٦١/٢٦ ـ ٢٦٢).

(٣) [الإسراء: ٧٠].

كريم، جمَّةٌ مَحاسِنُه[١].

ومكانةُ الأنثى في التَّكريم: بأن جعلَ سبحانه لها قوةً عقلية وفكرية، ينبع منها الخيال والعِلم والحكمة والتمييز والرأي، وهذا ما جعَلها والذكَرَ مُكرَّمان عن البهائم، فإن البهائمَ وإن كانت كلها تُحس وبعضها يتخيَّل؛ فليس لها فِكر ولا رَويَّة ولا استنباطُ المجهول بالمعلوم، ولا تعرف عِلَل الأشياء وأسبابها[٢].

وقد بيَّن النبيُّ ﷺ موقع الأنثى من الذكَر بقوله: «**إنَّما النساءُ شقائقُ الرِّجال**»[٣]. أي: نَظائرُهم وأمثالهم كأنهن شُقِقنَ منهم؛ وذلك لكون أمِّهن حواءَ خُلِقَت من آدم عليه السلام[٤].

فتلك هي حقيقةُ الأنثى: صِنْف إنساني، شقيقٌ لصِنف الذكَر في الدُّنيا والدِّين، ألبَسَها الله لباس الكرامة من العقل والعلم، والبيان والنُّطق، والشكلِ والصورة الحسنة والهيئة الشريفة، واقتناصِ الأخلاق الشَّريفة الفاضلة[٥].

---

(١) انظر: تفسير ابن عطيَّة (٤٧٢/٣)، زاد المسير في علم التفسير (٣٩/٣)، تفسير القرطبي (٢٩٣/١٠).

(٢) انظر: تفسير السمعاني (٢٦٢/٣)، تفسير القرطبي (٢٩٣/١٠)، تفسير السعدي (٤٦٣/١).

(٣) رواه أبو داود (٢٣٦)، والترمذي (١١٣)

(٤) انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٣٥/٣)، عون المعبود وحاشية ابن القيم (٢٧٥/١)، تحفة الأحوذي (٣١٢/١).

(٥) انظر: مفتاح دار السعادة (٢٦٣/١).

۞ خَلْق حوَّاء:

حينما خلَق الله آدمَ عليه السلام؛ أوجدَ بعد ذلك جميلةَ الخَلْق: أمَّنا حوَّاء، وكان خَلقها من ضِلَع آدم، فجاءت أمُّنا منه إلىٰ الدنيا لِيَسكن إليها، فقال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾[1].

أنشَـــأَ خَلْـــقَ آدَمٍ إنشـــاءَ وقَـــدَّ مِنـــهُ زوجَـــهُ حـــوَّاءَ[2]

وعن أبي هريرةَ رضي الله عنه عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال في النساء: **(فإنهن خُلِقن من ضِلَع)**[3]. فالأنثىٰ خُلِقت من ضِلَع آدمَ الأقصرِ الأيسَرِ وهو نائمٌ كما ذُكِر ابن عباس رضي الله عنهما[4].

وكان هذا الأصلُ ـ خلقُ حواءَ من آدمَ ـ مستقِرًّا في أذهانِ الخليقة، وإن كانت قد تناقلَته بعضُ الحضارات ضمن أساطيرَ مغلوطة، إلا أنه بقي فيها، وبقي كذلك في الأديان حتىٰ بعد تحريفِها.

ولذا نجد في كتب النَّصارىٰ ما يُفيد ذلك؛ ومنه قولهم: (وبنىٰ الربُّ الإلهُ الضِّلعَ التي أخذَها من آدمَ امرأةً وأحضَرَها إلىٰ آدمَ، فقال آدمُ: هذه الآن عظمٌ من عِظامي ولحمٌ من لحمي، هذه تُدعىٰ امرأةً لأنها من امْرِئٍ أُخِذَت)[5]. ولذا كان للنَّصارىٰ اهتمامٌ في تصوير هذا الأصل برُسومهم ومَنحوتاتهم التي

---

(١) [الأعراف: ١٨٩].

(٢) انظر: البدء والتاريخ (٢/٨٥).

(٣) متفق عليه؛ رواه البخاري (٥١٨٦)، ومسلم (١٤٦٨).

(٤) انظر: فتح الباري لابن حجر (٩/٢٥٣)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٠/١٦٥).

(٥) سِفْر التكوين: (٢٢ ـ ٢٣).

يجعلونها في كنائسِهم، والتي تُحاكي حواءَ وهي تَخرجُ من آدم[1].

ومِن الأساطير التي وُجِدت في منحوتات الحضارات ما ذُكِر في ألواحِ الحضارة السومرية (٤٠٠٠ ق.م.) فهذه «ننخرساج» آلهتهم للشفاء! تقول لـ«إنكي»:

(ما الذي يُوجِعُك يا أخي؟ فقال: إن ضِلَعي هو الذي يُؤلِمني. فقالت له: لقد أوجَدَت من أجلك الإلهة «ننتي»). أي: سيدة الضِّلَع[2].

فرغم هذا التَّخليط والتخبيطِ الحاصل في الروايات والأساطير؛ إلا أنها ما زالت تدورُ حول هذا الأصل في طبيعة خَلقِ الأنثى.

۞ الحقيقة الأنثوية والاختلاف الفطري:

إن وَحدة الأصل الإنسانيِّ لا تقتضي التماثُل، فإذا كانت الأنثى مخلوقةً هي والذكَرُ من أصلٍ ونفسٍ ومادة واحدة، فإن ذلك لا يدلُّ أبدًا على التطابُق الخِلْقي بينهما؛ ولذا نجد أن للأنثى كيانًا أُنثويًّا خاصًّا، وطينةً فريدة، والذكَر كذلك، ومن هنا تمايزَت الأنثى بسيماءِ الأنوثة عن الذكَر في أمورٍ كثيرة خِلْقية وخُلقية، ولا يُمكن أبدًا إلحاقُ كِلا الصِّنفَين بالآخَر في كل شيء، وإلا فإنها ستكون فكرةً مُخالفة للفطرة، والطبيعةِ والشريعة[3].

---

(١) انظر: قصة الحضارة (١٨/١٦٥).

(٢) انظر: مغامرة العقل الأول (ص: ٢٤٠).

(٣) انظر: تفسير ابن عُثيمين (الحجرات ـ الحديد) (١/٢٤٩).

يقول «ابن القيِّم رحمه الله» في قولِه تعالىٰ: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾: (أقسَم الله بخلقِ الذكَر والأنثىٰ، وقابل بينهما كما قابل بين الليل والنهار... وأقسم الله بالساعي وهو الذكَر والأنثىٰ؛ علىٰ اختلافِ السعيِ في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ﴾ كما اختلف الليلُ والنهار والذكَرُ والأنثىٰ، وأنه سبحانه لا يُسوِّي بين مَن اختلف سعيُه في الجزاء كما لم يُسوِّ بين الليل والنهار، والذكَر والأنثىٰ)[١].

وفي لغة العرب: الأنثىٰ خِلافُ الذكَر من كل شيء، فالتأنيثُ نقيضُ التذكير[٢]، وهذا المعنىٰ هو الموافقُ للقرآن والسُّنة كما سيظهر في ثنايا الكتاب.

وسُمِّيت المرأة في لغة العرب بالأنثىٰ، لكون الأنوثةِ لفظًا يدلُّ علىٰ الليونة والسهولة، أي: إن المرأة ألينُ من الرجل، فسُمِّيت بذلك لِلينِها، وقيل: إن المرأة إنما سُمِّيت أنثىٰ من البلدِ الأنيثِ الطيِّب الرِّيعة، بل وقيل: إن الأرض الأنيثَ السَّهلة هي التي تُشَبَّه بالأنثىٰ؛ لجودة إنباتِها[٣]. ولذلك فإن الرجل إذا شابهَ المرأة في رقَّة كلامها ولينها يُقال له المؤنَّث أو المخنَّث[٤].

---

(١) التبيان في أقسام القرآن (ص: ٥٥).

(٢) انظر: مادة (أنث) لسان العرب (١١٢/٢)، مادة (أنث) الصحاح (٢٧٢/١) مادة (أنث) منتخب من صحاح الجوهري (ص: ١٥١).

(٣) انظر: مادة (أنث) تاج العروس (١٥٩/٥)، (فصل النون: الأنثىٰ) التوقيف علىٰ مهمات التعاريف (ص: ٦٤).

(٤) انظر: مادة (أنث) لسان العرب (١١٢/٢)، مادة (أنث) التكملة والذيل والصلة (٣٤٩/١) مادة (أنث) تاج العروس (١٥٨/٥).

وفي هذا التمايُزِ والتقابل يقول الشيخ «العثيمين ﷺ»: (إن الله ﷻ ذو حكمةٍ بالِغة فرَّق بين الرجالِ والنساء قدرًا، وفرَّق بينهما شرعًا، أما تفريقُه بينهما قدرًا فاسأل علماء التشريح للأجساد تجدْ أن تركيبة المرأة ليست كتركيبةِ الرجل، بل بينهما اختلافٌ عظيم)[1].

وفي بيان هذا الاختلاف ذكَر الدكتور «ألكسيس كاريل» ـ الحاصلُ على جائزة نوبل في أبحاثه الطبية ـ: أن الاختلافات الموجودة بين الذكَر والأنثى لا تأتي فقط من الشكلِ الخاص للأعضاء، أو من وجود الرَّحِم والحمل عند الأنثى، أو من طريقة التعليم، إنما هذه الاختلافاتُ تنشأ من تكوينِ الأنسجة ذاتِها، ومن تلقيحِ الجسم كلِّه بموادَّ كيميائية محدودةٍ يُفرزها المبيض، ولذا فقد بيَّن الدكتور بأن الجهل بهذه الحقيقة الجوهرية أدَّى بالمدافعين عن الأنثى والأنوثة إلى الاعتقادِ بأنه يجب أن يستوي الأنثى والذكَر في المسؤوليَّات والقُوى وكلِّ شيء، والحقيقة أن الأنثى تختلفُ عن الذكر اختلافًا كبيرًا، فكلُّ خلية من خلايا جسمها تحمل طابَعَ جنسِها، وهذا الأمر ينطبقُ على أعضائها، وأجهزتها العصبيَّة وغيرها، ولذا فعلى الأنثى أن تُنمِّيَ أهليتَها وفقًا لطبيعتها، من غير المحاولة لتقمُّص شخصية الذكَر أو تقمُّص الذكرِ لشخصيتها، خاصةً وأن دورها كأنثى في المجتمع والحضارة دورٌ جوهري وسامٍ[2].

---

(١) الموقع الرسمي للشيخ ابن عثيمين: سلسلة اللقاءات الشهرية، قسم: فتاوى المرأة (فتنة النساء).
https://binothaimeen.net/content/1449

(٢) انظر: الإنسان ذلك المجهول (ص: ٧٨).

ويقول الفيلسوف الفرنسي «روسو»: (ومن حيث إنه ثبَت أن الرجل والمرأة ما كان ينبغي لهما تكوينٌ واحد، ولا خلقٌ واحد، ولا مِزاج واحد، يترتَّب على هذا أنه لا ينبغي لهما تربيةٌ واحدة، وإذا اتبَعنا الطبيعةَ وجَدْنا أن الرجل والمرأةَ يجب أن يكون بينهما توافُقٌ وتناسُق، ولكن يجب أن لا تُناط بهما أمورٌ واحدة وأعمالٌ واحدة، أجل، إن الغاية من أعمالهما مشتركة، ولكنَّ الأعمال نفسَها مُتباينة، كذلك الأذواقُ والطِّباع التي تُوجِّه تلك الأعمال)[1].

وإقرارُ مثل هذا الاختلاف هو أمرٌ فطري تُدرِكه النفوس والطباعُ دون أن تشعر، فالقُراء مثلًا حينما يلتقطون كتابًا في سيماء الأنوثة ـ ككتابنا هذا ـ ساعينَ إلى التفقُّه حول أنوثةِ الأنثى؛ فإنهم بمجرَّد التقاطهم ورغبتِهم في الاستزادة بمعرفة هذه السِّيماء، يُترجِمون بطريقةٍ ما عقيدةً فطرية سابقة، وصورةً ذهنية راسخةً حول وجود هذا الاختلاف الفطري، وإنما هم أرادوا بالقراءة الاستزادةَ حول طبيعة هذا الاختلاف، والاستفادةَ من حقيقة هذه السيماء.

وستجدون في صفحات هذا الكتاب بيانًا لتلك الاختلافاتِ الفِطرية عن طريق معرفة سيماء الأنوثة، وستَنظرون كيف أنها مُفرِطة الجمال، بديعةُ الحسن بسيمائها.

(١) إميل (ص: ٢٤١).

۞ الحقيقة الأنثوية والتباينُ في فَهمها:

لو عرَضنا تساؤلًا حول النار إن كانت مُحرِقة أو لا ، لأثَرْنا الغرابة والشكَّ حولنا في صحةِ قدراتنا العقلية ؛ فإنه قد عُلِم بالضرورة الفطريةِ أن النار مُحرقة!

وكذلك النفس تَعجبُ وتتساءل عن صحةِ تلك القدرات العقليةِ التي تساءلَت يومًا ما عن إنسانيةِ الأنثى ، وكأنَّ الأمر بحاجةٍ إلى إثباتٍ بالحُجَج الواضحةِ والبيِّنات الدامغة!

ولكنَّ الحقيقة المؤلمة واللَّذْعة الموجِعة ، أن هذا التساؤلَ قد سلك مسلكًا رئيسًا عند الكثير من المجتمعات عبر التاريخ ؛ ففي فرنسا (ق. ١٦) عقَد الفَرنسيون مؤتمرًا للبحث:

هل تُعَدُّ المرأة إنسانًا أم غيرَ إنسان ؟

وهل لها روحٌ أم ليست لها روح ؟

وإذا كانت روحًا فهل هي روح حيوانيَّة أم روح إنسانية ؟

وإذا كانت إنسانيةً فهل هي على مستوى روحِ الرجل أم أدنى منها ؟!

وهل لهذه الروح إرادةٌ وقدرة ، أو مجردُ أداة مخلوقةٍ للتناسُل والتكاثر[1] ؟!

ولم يكن هذا التساؤلُ مقتصِرًا على المجتمع الفرنسي ، وإنما دار في بعض المجتمعات الأخرى على مدار التاريخ الإنساني .

(١) انظر: أوروبا والهجرة (ص: ١٥٣).

ويُمكننا تلخيصُ التوجُّهات عند الأوائل التي نظَّرَت في حقيقة الأنثى الإنسانيَّة، ومالت بهذا التنظيرِ عن الفطرة؛ على ثلاثة طوائف:

الطائفة الأولى: أظهرَت الأنثى كمخلوقٍ مَعيب، مما كان سببًا في سلبِ الأنثى حقيقتَها الإنسانية بالتنقيص والتحقير.

والطائفة الثانية: بالَغَت في الحقيقة الأنثوية، ولكن بطريقة أوصلَتْها إلى تقديس الأنثى ورفعِها عن مستوى الإنسانية إلى الألوهية، وهذه أيضًا سلبَت الأنثى حقيقتها الإنسانية بالتقديسِ والتأليه.

والطائفة الثالثة: أقرَّت بإنسانية الأنثى، إلا أنها تَفصِل بينها وبين حقيقة الأنوثة، فقدَّسوا الأنوثة ورفعوها لمستوى الألوهية، دون الأنثى، فمالوا بمفهوم الأنوثة.

ومن صور الطائفة الأولى، التي سلبَت الأنثى إنسانيتها بالتنقيص والتحقير: ما كان من شريعةِ حمورابي البابلية (١٧٦٣ ق. م.)؛ فقد فسَّروا حقيقة الأنثى تصريحًا بأنها ليست إنسانًا، وبأنها جنسٌ لا يُقابل الرجل وإنما يُقابل الحيوانات[١].

وفي الحضارة اليونانية (٨٠٠ ق. م.) ذهبوا إلى كون الأنثى إنسانًا من صِنف الرجال، ولكنه ناقص؛ وذلك لكونِها صنفًا ليست له قدرةٌ وإن كانت له إرادة، والطبيعة جعَلَتها في الدَّرْك الأسفل من درجات الخلق كما صرَّح بذلك الفيلسوفُ اليوناني «أرسطو»[٢]. وعقيدة النظرة الدُّونية هذه لم تزل

(١) انظر: المرأة منذ العصر الحجري (ص: ١٥).
(٢) انظر: المرجع السابق.

تدور في بعض المجتمعات الجاهلة، حتى أصدر البرلمان الإنجليزيُّ قرارًا في عصر هنري الثامن ملك إنكلترا (١٥٤٣م) يحظر على المرأة أن تقرأَ كتاب العهد الجديد؛ فقالوا بأنه لا يُمكن لأي امرأة أن تقرأ الكتاب المقدَّس سرًّا أو علنًا، ثم في وقتٍ لاحق، أُضيفت عبارةٌ تسمح للمرأة النبيلةِ فقط أو اللطيفة الجميلة بقراءة الكتاب المقدَّس؛ بشرط أن لا يكون أمام العلَن[١]!

وأما الحضارة الهندية فذهبَت إلى كون الأنثى نِصفَ إنسان؛ لأنها تشتمل على جسدٍ بلا روح![٢]. وهؤلاء فسَّروا حقيقة الأنثى المشوهة بشكل مباشر.

وعند التأمل نجد تلك الأحكام قد انبثقَت إمَّا من مشاعرَ نفسيَّة، أو ربما ردودِ أفعالٍ على أحداث مجتمعية، أو طِيَرةً عَقَدية، ثم بنَوا على ما سبق تصوراتٍ لمفهوم الاختلاف بين الذكَر والأنثى في نظرهم، يُعبَّر عنه بالاختلاف بين السعادة والتعاسة، وبين الألم والمعافاة، وبين الطهارة والنجاسة.

ومن ذلك أيضًا ما كان في الحضارة الصينية (١٣٠٠ ق. م.)؛ فقد عبَّروا عن الأنثى بالمياهِ المؤلِمة التي تَغسِل السعادةَ والمال[٣]، وفي الحضارة الرومانية (٧٥٣ ق. م.) شاعت لديهم عقيدةُ الإيمان بنجاسة الأنثى[٤].

---

(١) انظر: The Act for the Advancement of the True Religion
https://spartacus-educational.com/True_Religion.htm

(٢) انظر: تطور المرأة عبر التاريخ (ص: ٤٥).

(٣) انظر: المرجع السابق.

(٤) انظر: المرأة في جميع الأديان والعصور (ص: ٤٢).

وفي جميعِ ما سبق بيانٌ للطائفة التي سلَبَت الأنثى إنسانيتَها بالتنقيص والتحقير، وما ذلك إلا لانطفاءِ شعلة أذهانهم.

وإذا نظرنا للطائفة الثانية، التي مالَت عن الجادَّة برفعِها الأنثى عن مستوى الإنسانية، مع إظهار القداسة والتأليه، فلذلك أيضًا شواهدُ عدةٌ في التاريخ، ومن يتأمَّلْ الحضارات عمومًا يجدْ أن الناس كانوا إما بين مُقدِّس للإناث، أو مقدِّسٍ للذكور، أو مُقدِّس لأصنامهم، وهذا يُدلِّل على ما في القرآن والسُّنة من إرسال الأنبياء لعبادة الله وحده، وما كان عليه الناسُ من الشرك بالله.

وقد كان سببُ التقديس عند تلك الطوائف هو سوءَ فَهمهم للطبيعة الأنثوية، فاعتقدوا بأن تفرُّدها بالأموميَّة والولادة، يقتضي امتلاكَها لقدرات الإله، تعالى الله عما يعتقدون.

ففي عصر النيوليت (٩٠٠٠ ق.م.) عبَدوا الآلهة الأم[١]؛ لأن الأنثى في اعتقادهم تستحوذُ على خصائصِ القمر السحريَّة التي مكَّنَتها من ولادة البشر، كما أن خُصوبتها اقترنت بخصوبة الأرض، وأن في إنجابها الأطفالَ وفي تأثيرِها على الأسرة، وبناءِ حياة مستقرة لمن حولها: دليلَ سيطرتِها على الأرض والشمس؛ فالأنثى عندهم هي الآلهةُ الكونية العُظمى، وهي مَنْشَأ الأشياء ومَرَدُّها، وعنها تَصدُر الموجودات؛ ولذا فالمرأة العاقرُ عندهم تُؤذي الأرض[٢].

(١) انظر: مكانة المرأة في بلاد الرافدين (ص: ١٠).

(٢) انظر: المرأة في حضارات بلاد الشام القديمة (ص: ٥٤)، مكانة المرأة في بلاد الرافدين (ص: ١٠).

وفي الحضارة السُّومرية (٤٠٠٠ ق.م.) رغم أنهم كوَّنوا مفهومًا شِركيًّا جديدًا للإله، يُعبَّر عنه بآلهة المجمع الكوني، فربطوا الآلهة بالعناصر الكونية الخمسة: السماء والعواصف والرياح والأرض والماء، إلا أن الأنثى ظلَّت في حضارتهم مقدَّسة ذاتَ سِماتٍ وأبعاد رمزية ووظيفيَّة وشخصية[١]. ولذا جرى تجسيدُ هذه القُوى الكونية في الصورة الأنثوية، فجسَّدوا قوة الأرض وخُصوبتها بخصوبة الأنثى كما يعتقدون بآلهتهم إنانا السومرية، ثم جرى هذا التجسيدُ بعد ذلك في عشتار آلهة البابليِّين (١٧٦٣ ق.م.) الخاصة بالحب والخصب والزواج، وعناة آلهة الكَنْعانيِّين (٢٥٠٠ ق.م.) الخاصة بالحنان والحب[٢]. واستمرَّ هذا النوع من التأليه حتى عند الحضارة المِصْرية (٣١٥٠ ق.م) فجسدوا الأنثى كآلهة للسماء، وآلهة للحب[٣].

وأما الطائفة الثالثة: التي فَصَلَت في الحكم بين الأنثى والأنوثة، فقد ظهرت في الحضارة الصينية (٣٥٠٠ ق. م.) مع كتاب «التغيرات: أي تشينغ» ـ أحد الكتب الشرائعية الصينية ـ الذي تفرَّعَت عنه «الطاوية» و«الكنفوشية» وهي دياناتٌ صينية، فاعتقدوا أن الأنوثة ليست صفةً خاصة بالأنثى، إنما هي في نظرهم جوهرٌ قائم بذاته، وقوة كونية تُسمَّى بطاقة «الين» تتجلَّى في بعض الكائنات كالأرض، والأسفل، والاستسلام، والسالب، والمرتخي، والبطيء، والليل، والأنثى كذلك، وهذه الطاقة عندهم تَنْكُت في

(١) انظر: المرأة منذ العصر الحجري (ص: ١٢)، المرأة في حضارات بلاد الشام القديمة (ص: ٥٤).

(٢) عشتار وهي الآلهة الخاصة بالخصب والحب والزواج، انظر: أساطير بلاد الرافدين (ص: ٢٨).

(٣) انظر: دور المرأة في الحضارات القديمة وأدوات الزينة (ص: ٣٢).

الذكر أيضًا رغم تمثيله للعنصر الذُّكوري «اليانغ».

وبتوازُنِ القوَّتَين «الين واليانغ» يحصل اتحادُ الكون، وبيان ذلك أن طاقة الأنوثة «الين» كقوةٍ كونية إذا اتحدت وتوازنت مع طاقة الذكورة «اليانغ» نتجَ عن ذلك وحدةُ الوجود، وهو اتحادُ المخلوق بالخالق؛ تعالىٰ الله عن قولهم، الذي يُعبَّر عنه أيضًا بالسلام الداخليِّ عند حصول هذا الاتحاد بالذات الإنسانية[1]. وبالتالي نقَلوا الأنوثة ـ والذُّكورة كذلك ـ من كونهما صِفتَين مخلوقتَين لكائناتٍ محدَّدة، إلىٰ قُوًىٰ كونيةٍ تُحقق التوازنَ ذاتيًّا بقدراتٍ كقدرات الخالق، تعالىٰ الله ﷻ، والله سبحانه خلق الكونَ والمخلوقات أساسًا علىٰ اتزان، فليس الأمرُ بتصرف المخلوقات لا الأنوثة ولا الذكورة؛ فلا اتحادَ ولا افتراق، إنما هو ميزان الله سبحانه جعله في الخلق ابتداء، فجعل سبحانه كلَّ شيء موزونًا، بحُسبانٍ وضَعَه، ومقدارٍ قدَّره، فقال سبحانه: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾[2]. وقال: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾[3]. والآيات حول ذلك كثيرة جدًّا.

---

(١) ونجد فلسفة «الين يانغ» في ممارسات قُدماء السحَرة الصينيِّين، واستعمالهم للعصيِّ في العِرافة الصينية: العصا المتكسرة التي تمثل العنصر الأنثوي المتلقِّي، والعصا الكاملة التي تُمثل العنصر الذكَري الخالق للتنبؤ، ومحاكاة الظواهر الكونية بعنصُرَيِ الذكورة والأنوثة. انظر: حكمة الصين (ص: ٦١ ـ ٦٣)، التاو (ص: ١٠ ـ ١٨).

(٢) [الحجر: ١٩ ـ ٢١].

(٣) [القمر: ٤٩].

۞ أثر الفَهم على السلوك:

إن سلوك الإنسان يُعبِّر عن باطنه، وأقوالُه وأفعاله تدلُّ على عقيدته وفكرِه وأبعاد فَهمه؛ ولذا نجد أنَّ في سلوكيات المجتمع تجاهَ الأنثى وكيفيةِ معالجته لقضاياها: ترجمةً لفكر واعتقادٍ راسخ عن ماهية الأنثى.

ولذا فإن عقيدة الإنسان وفَهمه للأمور بالميزان الصحيح سببٌ للتعامل الصحيح. وحينما ننظر في عقائد تلك الحضارات تجاهَ حقيقة الأنثى وطبيعتها الخِلْقية؛ نستطيع أن نفهم بعد ذلك أبعادَ وأسباب تصرُّفاتهم تجاهها.

فعند النظر في الطائفة الأولى التي ذهبَت إلى التحقير: حينما شاع في شريعة حامورابي أن الأنثى جنسٌ لا يُقابل الرجل، وإنما يُقابل الحيوانات، نتج عن ذلك تمادي الرجل وتعامُله معها معاملة المُلْك والمتاع، وأصبح نتاجَ هذا الاعتقادِ: سَنُّ قوانينَ تنتهك من كرامة الأنثى وإنسانيتِها، وتَحرمُها من أبسطِ حقوقها؛ كمنع حقِّها في الإرث، ومنع حقِّها في الحياة بغير وجه حق، كإلقائها في الماء لو أهملَت شؤونَ بيتها[1]. ولذا كان السبب باختصار لهذه الجرائم: انتكاسةَ العقل في فهمِ الحقيقة الأنثوية الإنسانية.

وعندما اعتقد الرومانُ بنجاسة جسد الأنثى، ظهر أثرُ ذلك على انتكاستهم الفطرية في كراهيَّة الذُّرية؛ لكونها تخرج من أجسادٍ نجسة[2].

(١) انظر: المرأة منذ العصر الحجري (ص: ١٥)، المرأة في جميع الأديان والعصور (ص: ٣١).
(٢) انظر: المرأة في جميع الأديان والعصور (ص: ٤٢).

ولما اعتقد الهنود بأن الأنثى جسد بلا روح ـ بخلاف الرجُل الذي يشتمل على جسدٍ وروح ـ حرَموا الأنثى من العيش بعدَ زوجها؛ لأنها عبارةٌ عن جسد فارغ لا فائدة منه ولا قيمةَ له بعد موتِ روح السيد! فتُحرَق معه بعد موته[١].

ولما اعتقد اليونانُ بأن الأنثى جنسٌ ناقص ليست له قدرة، أهدَروا كرامة المرأة؛ فإنْ كانت بلا قوَّة فهي بلا قيمة في نظرهم، حتى وصل بهم الحدُّ إلى إعارة الزوجات[٢]. وهذا السلوك استصحَبه بعضُ الغرب مع الأنثى، فاتخَذوها كسِلْعة جنسيَّة[٣]، وأنها جنس ناقص لا تستطيع الوصول إلى الكمال، وقد كان الغربُ حتى في عصر النهضة في جميع الطبقات ينظرون إلى الأنثى بأنها أدنى من الرجل بحُكم الطبيعة[٤]، ولعلنا نجد هذا الأمرَ حتى في المجتمعات العربية، ولا شكَّ بأنهم لا يُمثِّلون الشريعة الإسلامية المتزنة.

وحينما اعتقد الصينيون أن المرأة مصدرٌ للألم، أصبح الرجل يأكل طعامه بمفرده ولا يدعو زوجتَه ولا أولاده، وأصبحوا يكرهون البنات ويُعاملونهن كالرقيق، فمن ذا الذي يَقْوى على مباشرة الألم![٥].

---

(١) انظر: المرأة منذ العصر الحجري (ص: ١٨)، المرأة في جميع الأديان والعصور (ص: ٣٣)، المرأة العربية عبر التاريخ (ص: ٣٥).

(٢) انظر: المرأة عبر التاريخ (ص: ٢٣)، المرأة منذ العصر الحجري (ص: ١٦).

(٣) انظر: تحرير المرأة القصة الكاملة (ص: ١٧).

(٤) انظر: قصة الحضارة (٣٥/٩٤ ـ ٩٥).

(٥) انظر: المرأة في جميع الأديان والعصور (ص: ٣٤). تطور المرأة عبر التاريخ (ص: ٤٢).

وعند النظر في الطائفة الثانية التي ذهبت إلى التقديس: حينما اعتقَدوا بامتلاك الأنثى لقدرات الإله: نتج عن ذلك تفشِّي ظاهرة العَهْر المقدَّس، فيجتمع رجلٌ غريب من أنثى يَختارها في المعبد ليُجامعها، فيُمثل هو الجانب البشري، والأنثى الجانب الإلهي، ليتَّحد الرجل من خلالها مع الآلهة، وكان الرجل فيهم يُقدِّم القربان للمرأة كنوع من إعلان عبوديته لها، وألوهيتها له، ولأنهم كانوا يعتقدون بأن الحكمةَ لا تظهر إلا على أفواه النساء لذا يجب أن يَبتهِلوا لتكون شِفاهُ الإناث حلوةً كالرُّمان[1].

وأما النظر في الطائفة الثالثة التي فصلت بين الأنثى والأنوثة: حينما اعتقد قُدماء الصين في فلسفة «الين يانغ» أنَّ الأنثى كِيان، والأنوثة كِيان آخر؛ وأن الأنوثة قوة كونية تتجلَّى في المخلوقات ومن ضمنها الأنثى؛ أدى ذلك إلى إخضاعهم كلَّ شيء لقانون الأنوثة والذكورة. فكل شيء إما يكون أنوثةً أو ذُكورة، ويشمل ذلك حتى الأزمان والصفات الأخلاقية، فالأرض أنوثة، والأزهار أنوثة، والليل أنوثة، والحنان أنثَوي، والعطف أنثوي... ونحو ذلك، مجتهِدين في أن يُحقِّقوا التوازن بين تصنيفاتهم، وقد بيَّنَّا حقيقة التوازن سابقًا. وأما الشريعة فقد بيَّنَت بأن الأنوثة صفة ملتصقة بالكائنات الحية الأنثوية. يقول سبحانه: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾[2]. فأقسم سبحانه بخلقه لصِنفَي الذكر والأنثى من كل نوع له تَوالُد وما يقتضي ذلك من التناسُل والتكاثر؛ لبقاء النوع وعدمِ اضمحلاله، فقاد كلًّا

(١) انظر: الأنثى المقدسة (ص: ٩٧)، صرح ومهد الحضارة السورية (ص: ٩٩)، معجم الآلهة والكائنات الأسطورية في الشرق الأدنى القديم (ص: ٢٣٠).

(٢) [الليل: ١ ـ ٣].

منهما بسلسلة الشهوة، وجعل كلًّا منهما مناسبًا للآخَر[1].

فالذكورة للذكَر فقط، والأنوثة للأنثى فقط، وليس الليلُ أنثويًّا، ولا النهار ذكوريًّا، وإنما هي أزمانٌ فرَّق الله بينها وبين الذكَر والأنثى كما هو ظاهرٌ في الآية. وكذا الصفات الأخلاقية وغيرُ الأخلاقية، ليست كذلك، فهي بلا جنس ذكوريٍّ أو أنثوي، بل أخلاقي مستقلٌّ يشترك في إتيانها أو تركِها الذكرُ والأنثى، فرغَّبَت الشريعة في إتيان الحسَنِ منها، ونهَت عن إتيان القبيح منها، ووعَد الله من اجتهد في ذلك بأنه سيُحْييه حياةً طيبة في الدنيا، ويَجْزيه الجزاءَ الحسَن في الآخرة، فقال سبحانه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ بغيرِ فلسفة توازُن ذاتية، ولا قُوًى خارقة، ولا طاقاتٍ كونية، تحصل من خلالها سلاماتٌ داخلية، وسيأتي بيانٌ آخرُ للذكورة والأنوثة في سيماء: «الأنثى زوج».

وكل ما سبق يدلُّنا على أثر الاعتقاد على العمل، وأن سلوك الإنسان مظهرٌ من مظاهر إيمانه القلبي، وأن سلامة التفكير سببٌ لسلامة السلوك، ولذا قدَّم القرآن في مواضعَ كثيرةٍ الإيمانَ على العمل، فقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾[2]، وقال: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾[3]. فكان من المهم أن يبنيَ الإنسانُ عقيدته على

(١) انظر: تفسير البيضاوي (٥/٣١٧)، التحرير والتنوير (٣٠/٣٧٩)، تفسير السعدي (ص: ٩٢٦).

(٢) [الرعد: ٢٩].

(٣) [العصر].

مصادر صحيحة، وإذا كانت تلك الاعتقاداتُ متعلقة بالدين، فإنها تُؤخَذ من مصادرَ معصومة، وهذه العصمة لا تكون إلا في الكتاب والسنة.

كما أن التعرُّض لعقائدِ الحضارات السابقة حول إنسانية الأنثى؛ يدلُّنا على أن التقدُّم في العلوم الدنيوية والتطوُّر في العمران لا يقتضي أبدًا سلامةَ الفطرة العقلية؛ فكم من حضارةٍ متطورة عمرانيًّا وعِلميًّا جاءها العذابُ بسبب تخلُّفِها الفطريِّ ونُكرانها العَقدي بعد إرسال الله لهم الرسلَ! كما قال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا﴾[1] يقول «ابنُ تيميَّة ﷺ»: (فأخبر أن الذين أهلَكهم قبلهم كانوا أحسنَ صُوَرًا وأحسنَ أثاثًا وأموالًا؛ ليُبيِّن أن ذلك لا ينفعُ عنده ولا يَعبأُ به)[2].

۞ الحقيقة الأنثوية وزوايا النظر:

إن الاختلافَ في النظر للأمرِ الواحد، يُرشِدنا إلى كونِ النظر يشتمل على عدَّة زوايا، كما أن زاويةَ النظر التي نتأمَّل من خلالها الصورَ والأشياء تتأثَّر بالمحيطِ الخارجي، والمؤثِّرات الحسِّية المختلِفة، وهذا الاختلافُ في النظر يَنْبني عليه اختلافُ السلوك، وتبايُنُ التراكيب.

وأما الأنثى فإن صورتها ثابتةٌ وواحدة، وسهلةٌ واضحة، ولكن تلك الزاوية التي مِن خلالها ينظر كلٌّ منا إليها ويُشكِّل من خلالها أفكارَه واعتقاداتِه، ثم يُترجمها بسلوكياتٍ ـ هي التي جعَلَت الأمرَ مختلفًا في

(١) [مريم: ٧٤].
(٢) مجموع الفتاوى (١٢٧/٢٢).

المجتمَعاتِ والحضارات.

ولعلنا نُمثِّل على ذلك بما كان في الجاهليَّة؛ فإنَّ العرَب في الجاهلية قد فهموا أن الأنثى إنسان، وأنَّها تختلف في طبيعة جسدها عن جسد الرجل، وأن جسد الأنثى يَميل إلى الرِّقة، ولكنهم قد نظروا إلى هذه الرقة الجسدية من زوايا مختلِفة، شكَّلَت عندهم اعتقاداتٍ متباينةً، ومِن ثَم سلوكيات متفاوِتة.

وإذا طبَّقنا هذه النظرية على قبائلِ العرب قديمًا فإنها نجد أنهم انقسَموا إلى طائفتين:

الطائفة الأولى: نظرت إلى طبيعة جسد الأنثى الرقيقِ نظرةَ ضعفٍ مشوَّه، ونقصٍ وقلةِ ربحٍ ومنفَعة.

الطائفة الثانية: نظرَت إلى طبيعة جسد الأنثى نظرةَ جمالٍ وجلالٍ وقوَّة.

أما الطائفة الأولى التي نظرَت إلى الأمر نظرةً مشوَّهة، فهؤلاء كتلك المجتمعات التي تُقِر بإنسانية الأنثى إلا أن ذلك لم يكن ظاهرًا في سِيمائهم؛ ولذا تجد سُلوكيَّاتِهم وأقوالَهم وأفعالهم لا تُدلل أبدًا على إقرارهم بإنسانية الأنثى، بل العكس؛ فهؤلاء أخدعُ بحديثِهم من السراب.

فقالوا بأن الأنثى إنسانٌ مَعيب بالضعفِ وقلة الحيلة، وافتقارِ المقدرة على النفع، فكَرِهوا البنات؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾[1]، واتخذوا بِناءً على هذه

(١) [النحل: ٥٨].

النظرة أحكامًا جائرةً تُجاه الأنثى، فوأَدوا الأنثى وهي حية[١]؛ خوفًا من الفقر أو كراهيةَ أن تتعرَّض للسَّبي والمعرَّة في حالة الضعف[٢]. حتى كان أحدهم ليَغْذو كلبَه ويَئِد ابنتَه، وذلك لكون الكلب في نظرهم حيوانًا نافعًا، والأنثى وإن كانت إنسانًا إلا أنها غيرُ نافعة! ولذا فإن بعضهم كانوا يحرمون الأنثى من أبسط مُتَع العيش، فكانوا يَقصُرون ألبانَ الأنعام ولحومَ ذُكورِها على رجالهم[٣]، وفي ذلك قال الله تعالى واصفًا حالهم ومتوعِّدًا عنصريتَهم البغيضة: ﴿وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾[٤]. وهؤلاء كمن يقول: أنت إنسان، ولكن نسمح لك بالتمتُّع بإنسانيتك بشرط أن تُحقِّق المنفعة للغير؛ ولذا لم تكن الأنثى مصدرَ رِبح أو منفعةٍ في نظرهم، فاتخذوا أحكامًا عنصرية تجاهها؛ تبريرًا لعدم منفعتِها، وليس إنكارًا لأصلِ إنسانيتها! وما فعلوه هو عينُ الإنكار.

بخلاف الطائفة الثانية من العرب التي نظرَت إلى طبيعة جسد الأنثى نظرةَ احترامٍ وإجلال، وقد تمثَّلوا قولَ قتادة رحمه الله: (لَرُبَّ جاريةٍ خيرٌ لأهلها من غلام)[٥].

---

(١) انظر: تفسير السمعاني (١٧٩/٣)، تفسير ابن عطية (٤٠١/٣)، زاد المسير في علم التفسير (٥٦٦/٢)، تفسير القرطبي (١١٦/١٠).

(٢) انظر: مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ﷺ (ص: ٧٣).

(٣) انظر: تفسير البغوي (١٦٣/٢)، تفسير القرطبي (٩٦/٧)، التحرير والتنوير (٨ ـ أ/١١١)، تفسير الزمخشري (٧١/٢).

(٤) [الأنعام: ١٣٩].

(٥) انظر: تفسير الطبري (٢٥٦/١٤).

فهؤلاء فهموا الطبيعةَ الأنثوية على وجهها، وعلموا أنها حُرَّة الخِلال، فكثرت عندهم ذواتُ الكَمال من نساء العرب، اللاتي اشتهَرن بالمعرفة، والفطانة والذكاء؛ وشارَكنَ الرجال في التجارة[1]، وفي كثير من الأحداث المحورية، وسيأتي في ثنايا الكتاب ما يُفيد ذلك.

ولذا فقد كان للأنثى عند الكثيرِ من طوائف الجاهلية شأنٌ عظيم، وقدرٌ رفيع، فكم مِن حروبٍ قامت، ودماءٍ أُهدِرَت من أجل أنثى!

فهذه حادثةُ يوم الكلاب الأول، سجَّلها التاريخُ عندما انتفضَت فيه بنو تَغلِبَ على غسَّانَ من بطون اليمن؛ إذ إن ملكًا من ملوك غسَّان يُقال له «لبيد»، تزوج امرأة من بني عِمران ابن تَغلِب يُقال لها: «عَمْرة بنت الحُباب التغلِبية»، فتحدث معها بحديث، فنازعَته امرأتُه الكلام، فهاج لذلك فلطَمها، وقال: كأنكِ ترَين أنكِ حرة؟ فخرَجَت «عَمرة» حتى أتت «كُليبًا» وهي تبكي وتقول في مطلع كلامها:

ما كُنْتُ أَخْشَى والحَوَادِثُ جَمَّةٌ ... أَنَّا عَبِيدُ الحَيِّ مِن غَسَّانِ

حتَّى عَلَتْنِي مِنْ لَبِيدٍ لَطْمَةٌ ... سَدِرَتْ لِحَامِي حَرِّهَا العَيْنانِ

فلما سمعها «كُليب» خرَج وهتك سِتر «لبيد» وصدَع هامتَه بالسيف، فاشتعلت الحرب من أجل امرأة[2].

والسؤال الوارد بعد عرض تلك الزوايا العربية في الجاهلية: ما هي الزاوية التي ينبغي أن نُقِرَّ لها بالصحة والسلامة في النظر إلى العقائد؟ فإن

(١) انظر: أسواق العرب في الجاهلية والإسلام (ص: ١٠٥).
(٢) انظر: الأنوار ومحاسن الأشعار (ص: ٣٤).

فرعون حينما قال: ﴿مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾[1]، لم تكن زاويةُ نظره تُمثِّل الهدىٰ ولا الرشاد!

ولعلنا نجد الإجابة واضحة في القرآن؛ فقد قال سبحانه: ﴿قَدۡ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَنۡ أَبۡصَرَ فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ عَمِيَ فَعَلَيۡهَاۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ﴾[2]، فَمِن الله سبحانه نستبصر جميع المطالب الإلٰهية والمقاصد الإنسانية، فمن تفكَّر وتدبَّر، علم أنه تنزيلٌ من حكيم حميد، لا يأتيه الباطلُ من بين يدَيه ولا من خلفه، وبه قامت الحُجة علىٰ كل من بَلَغه[3].

فيُمكننا أن نفهم بعد هذا أهميةَ أن نعرف حقيقة الأنثىٰ وطبيعتَها الأنثوية وخصائصَها الفطرية، وَفْق ميزانٍ معصوم، وهو ميزانُ الشريعة الإسلامية.

(١) [غافر من الآية: ٢٩].
(٢) [الأعراف: ٢٠٣].
(٣) انظر: تفسير السعدي (١/٣١٤).

الإنسانية والوعي الأنثوي

٢

إن التحلِّيَ بالوعي يجعل مِن الأنثىٰ إنسانةً منهجية، يَقِظةً بحول الله أمام المزالِق الاعتقادية والفكرية، خاصةً وقد مرَّ معنا أهميةُ الاعتقادِ وأثرُه علىٰ السلوك؛ ولذا فإن هذا الاعتقادَ تَبْنيه الأنثىٰ بالعلم السليم، والمصادر الصحيحة، وقد انتقدَت الشريعةُ مَن يقفز إلىٰ الحكم والتنظير والتحليل، والاستنتاج، دون علمٍ ووعي صحيح، فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[١].

ومثلُ هؤلاء غالبًا يتكلمون بالحَدْس والظن أو بحظِّ التجربة لا بالعلم[٢].

وقد وصف القرآنُ قلةَ الوعي عند الإنسان بمن يتلقَّىٰ المعلومة باللسان دون الصبر عليها لتصل إلىٰ منطقة العلم، والفَهم، والوعي، وهذا الأسلوب بلا شك يُؤدي إلىٰ مزالق في الحكم.

قال تعالىٰ: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم

(١) [الإسراء: ٣٦].

(٢) انظر: تفسير السمعاني (٣/٢٤١).

مُّؤۡمِنِينَ ١٧ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[١]. ولذا نهَت الشريعة عن الحكم والتنظير والحديث بلا مُعطَيات صحيحة.

۞ الوعي بحقيقة النفس:

قد يتساءل المرءُ هل من الممكن أن يَتوه المرءُ أو يَضطرب في معرفة ذاتِه بقلة وعيِه؟ والجواب: نعم؛ ولذا يقول «ابن تيميَّة ﵀»: (فانظر كيف اضطرب الناس في أنفسهم التي قيل لهم: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾[٢])[٣]. ولذا فإن في التأمُّل الصحيح والوعي بحقيقة النفس؛ منفعةً عظيمة تَزيد الأنثى إيمانًا[٤].

وأما هذا الاضطراب في معرفة الحقيقة فإن علاجه في الرجوع إلى المصادر الصحيحة؛ ليترتَّب عليه الوعيُ الصحيح ثم الحكم الصحيح، وقد أشار القرآنُ إلى بيان هذا المصدر لمعرفةِ حقيقة المخلوقات وحقيقة الإنسان؛ بقوله سبحانه: ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾[٥]؛ فإنه يمتنع أن يخفى عليه حقيقةُ خلقه؛ لأن علمه بنفسه مستلزم لعلمه بخلقه[٦]، فالخالق سبحانه لا بد أن يَعلم بمخلوقه، وإذا كنا مُقرِّين بأنه خالقُنا فكيف تخفى حقيقتُنا عليه

---

(١) [النور: ١٥ ـ ١٧].
(٢) [الذاريات: ٢١].
(٣) مجموع الفتاوى (٦/٣١٤).
(٤) انظر: مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١/٢٧١)، الصواعق المرسَلة في الرد على الجَهْمية والمعطِّلة (٤/١٥٦٦).
(٥) [الملك: ١٤].
(٦) انظر: درء تعارض العقل والنقل (١٠/١٢٤).

وهو خالقها[1]، وكيف نُقدِّم كلام المخلوق على كلام الخالق.

وقد بيَّن سبحانه في غيرِ موضع في القرآن سِيماءَ الأنثى الإنسانيةَ، ومقابلتها كأنثى للصِّنف الآخر الذكَر، وتفرُّدَها واختلافها عن الذكَر بالصِّبغة الأنثوية، وتمتُّعَها بخصائصها الأخرى الفطرية كما سيأتي في بقية الكتاب.

۞ الوعي بمكانة النفس:

إن من الفقه والوعي أن تفهم الأنثى مكانتَها التي أرادها الله لها، وتَعقِل بأن التمييز بين الذكر والأنثى الذي يُقصَد منه التنقُّص من حقِّ الأنثى أو الذكر: قد محَتْه الشريعة الإسلامية، وهذا الفَهم واليقين يظهر أثرُه على سلوك الأنثى وردودِ أفعالها، حتى اتجاه النُّصوص الشرعية. فحينما تكون على يقينٍ بدينها وإيمانٍ بربِّها، ووعيٍ بمكانتها، فإنها لا تهتزُّ ببعض النصوص الشرعية إذا لم تَفهمها، فتستفسر استفسارَ مَن خالط الإيمانُ قلبَها، لا انتقادَ الشاكَّة المُنكِرة. ولذا قال سبحانه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ﴾[2]. فهؤلاء الذين يعبدون الله على حرف، أي على ضعفٍ وشك، يكون إيمانُهم غيرَ مستقر، ولا يَثبُت أمام الفتن والمِحَن[3].

فعلى الأنثى أن تكون على يقينٍ وعلم ووعيٍ بموضعها الإنسانيِّ والشرعي، وأنَّ لها ما للذكَر من الثواب العظيم، وعليها ما عليه من التكاليف،

(١) انظر: مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (ص: ٩٣).

(٢) [الحج: ١١].

(٣) انظر: تفسير السمعاني (٤٢٣/٣)، تفسير السعدي (٥٣٤/١).

إلَّا ما استثنىٰ الشارعُ الحكيم؛ فهي في الإسلام لها منزلتها التي تستحقُّها، بلا إفراطٍ ولا تفريط، وقد مرَّ معنا ذلك. فلا يغترَّ الذكَرُ علىٰ الأنثىٰ فيظن أنه أقربُ إلىٰ الله وأنفعُ في الدنيا منها، ولا تغترَّ الأنثىٰ أيضًا وتظنَّ بأنها أنفعُ بخصائصها الأنثوية والأمومية، وأنها مقدَّمة علىٰ الرجل لسُكونه والمجتمَعِ إليها.

ومن الغريب أن تجد بعض الإناث رغم تقدُّمهن في التعليم إلا أنهن غيرُ واعيات بحقيقتهن ولا مكانتهن، وربما ترتضي الأنثىٰ لنفسِها نظرةً دونية كما ارتضَتْها «الليدي ماري»[1] أشهرُ أديبات عصر التنوير (ق. ١٨)، ورغم اشتهارها بالتكبُّر والتمرُّد، إلا أنها تقول باقتناع: (لا شك أن الله والطبيعة قد ألقَيا بنا في مرتبةٍ أحطَّ، فنحن جزءٌ أدنىٰ من الخليقة!)[2].

ولذا علىٰ الأنثىٰ أن تتحلَّىٰ بالوعي أمام حقيقة نفسِها الإنسانية والأنثوية، والدينية؛ لتعلم أنها مِن مَعدِن كرم، وسُلالة شرف.

---

(١) هي: ماري بونتاجيو، قد بلغت غايةَ ما تبلغ نساءُ عصرها الإنجليزيات من علم وثقافة، وهي زوجة سفير إنجليزي استقرَّت مع زوجها في القُسطنطينية لمدة ١٣ شهرًا، ولها رسائلُ تُسمىٰ برسائل السفارة، ترسل فيها لصديقاتها وأسرتها؛ تُفصِّل مشاهداتها في القسطنطينية، وتَنقُل الأحداثَ والوقائع. وقد ألَّفت الكاتبة كاثرين برانتج كتابًا: (شاي تركي من فضلك) يحتوي علىٰ رسائلَ بعثَت بها خيالًا لماري تستعرض فيها الانطباعات التي أخذتها عن تركيا طيلةَ ١٣ عامًا.

(٢) انظر: قصة الحضارة (٣٥/٩٤ ـ ٩٥).

۞ الوعي بالسؤال:

ومن أسباب الوعي الأنثوي، الحرصُ على سؤال أهل الاختصاص؛ فإن السؤال نصفُ العلم، ولذا فحينما تساءلت أم سلمةَ ﵂ وقالت: «**يا رسولَ الله، ما بالُ الرِّجال يُذكَرون في الهجرةِ دون النساء؟**»[(١)]، نزلت الآية: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾[(٢)]. وفي قوله سبحانه: ﴿بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ دلالة على كون الإناث من الذكور، والذكور من الإناث[(٣)].

فتأمَّلوا خاطِرَ الأنثى الذي أُفشِي على لسانِ أمِّ سلمة ﵂، كيف جبَره الله سبحانه لها، وللإناث جميعًا! مع التقرير بلفظ الأنثى؛ للتأكيد على كِيانها وقيمتها في العمَلية الإنسانية والدينية، فرفع قدر النساء المسلمات في أنفسِهن وعند الرجال المسلمين[(٤)].

وقد رُوي أن زوجات النبي ﷺ قلن: «**يا رسولَ الله، ذكَر اللهُ الرجالَ في القرآنِ بخير، أفما فينا خيرٌ نُذكَرُ به؟ إنا نخاف أن لا تُقبَل منا طاعة!**»[(٥)]. فأنزل الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّآئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ

(١) رواه الترمذي (٣٠٢٣)، والحاكم في المستدرك (٣١٧٤)
(٢) [آل عمران: ١٩٥].
(٣) انظر: تفسير العز بن عبدالسلام (١/٢٨٩).
(٤) انظر: تفسير المراغي (٤/١٦٠).
(٥) انظر: تفسير الثعلبي (٨/٤٥)، تفسير البغوي (٣/٦٣٩)، تفسير البيضاوي (٤/٢٣٢)، رواه بمعناه النسائي في الكبرى (١١٣٤٠)، وأحمد في المسند (٢٦٥٧٥)، والترمذي في السنن (٣٢١١).

وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[1]. وقيل في سبب نزول الآية إنه لما ذكَر تعالىٰ ثوابَ زوجاتِ الرسول ﷺ، وعقابهن ـ لو قُدِّر عدمُ الامتثال ـ في القرآن، وأنه ليس مِثلَهن أحدٌ من النساء؛ دخل النساءُ المسلمات عليهن فقلن: «**ذُكِرتُنَّ ولم نُذكَر، ولو كان فينا خيرٌ ذُكِرنا**»[2]، فذُكِرَت بقية النساء في هذه الآية[3].

ويُؤخَذ من هذا البيان أنه ليس من الغريب أن تتساءل الأنثىٰ عن مكانتها وقدرِها من أجل معرفة الحق، ولا ينبغي أن نَستنكر سؤال الإناث من أجل ذلك وسعيِهن لأخذ مكانتهن التي كتبَها الله لهن، فكم مِن سؤال كان برَكةً في إتيان الجواب! وكم من سعيٍ كان خيرًا للنِّتاج! وإنما الإنكارُ علىٰ سؤال المتصيِّد المُنكِر لدينه.

فالسائلات من الصحابيات رضي الله عنهن أرَدْن التنصيصَ بذِكْرهن تشريفًا لهن لا بكونهنَّ تبعًا، وإلا فهُن يدخلن في لفظ الجمع: كالمسلمين، والمؤمنين[4]، لكنهن أردنَ زيادةً في التأكيد علىٰ منزلتهن، وليعلم الناسُ أن للأنثىٰ شأنًا في التنزيل، فما إنْ أودعَت طلبتَها حتىٰ جاءها الجواب، فقد ذكر ابن كثير في شأن أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت: «**فلَم يَرُعْني منه ذاتَ يوم إلا ونداؤُه علىٰ المنبر، وأنا أُسرِّح شعري، فلفَفتُ شعري ثم خرجتُ إلىٰ حجرتي حجرة بيتي، فجعلتُ سَمعي عند الجريد، فإذا هو يقولُ عند المِنبَر: «يا أيُّها الناس، إن الله**

(١) [الأحزاب: ٣٥].

(٢) رواه عبد الرزاق في التفسير (٣/٣٩) (٢٣٤٣) عن قتادة.

(٣) انظر: زاد المسير (٣/٤٦٤)، تفسير السعدي (ص: ٦٦٥).

(٤) انظر: مختصر التحرير (٣/٢٣٨)، فتح القدير (٤/٣٢٥)، شرح الكوكب المنير.

تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾»[1]. فكان الجواب بـ(إنَّ) لتأكيد دخولهن في هذه الأوصاف كلِّها[2]، فجبرَت خواطرهن، وشَرُفن بأنوثتهن، وكان ذِكرهن سَلْوىٰ لكلِّ أنثىٰ تجد أنها أصالةً لا تبعًا مذكورةٌ لا مغمورة.

وبما سبق نعلم حقيقةَ الأنثىٰ والأنوثة، وقد مرَّ معنا في سِيماء «الأنثىٰ إنسان»، أن الأنثىٰ إنسانٌ مكرَّم، شقيقٌ للرجل، خصَّه الله بصفة الأنوثة، وأنه علىٰ الأنثىٰ أن تسعىٰ لأنْ تكون واعيةً بحقيقتها ومكانتِها من المصادر الصحيحة الموثوقة، وإذا أرادَت أن تعرف طبيعة خلقها الكونية والشرعية فلتأخُذْه مِن كلام خالقها، وهو الله سبحانه تعالىٰ وتقدَّس.

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٤١٧/٦)، رواه أحمد في المسند (٢٦٦٠٣)، والنسائي في الكبرىٰ (١١٣٤١)، والطبراني في المعجم الكبير (٦٥٠).

(٢) انظر: التحرير والتنوير (٢١/٢٢).

السِّيماء الثانية

الأنثى زوج

مغازل الشوق

إنَّ مِن كمال حِكمة الله سبحانه أنْ خلَق من كل صِنفٍ كتب له البقاء زوجَين من: ذكَر وأنثى؛ ليبقى النوعُ ولا يَضمحِل، وقاد كلًّا منهما إلى الآخَر بسلسلة الشهوة والرغبة، وجعل كلًّا منهما مناسبًا للآخر(١).

ثم كوَّن الإنسان بصِنفَيه الذكَر والأنثى في أجملِ صورة، بتكوينٍ عادل يأتَلِفان فيه على السرَّاء والضراء بالمشاركة والتكامل، لا المنافسة والتسابق.

فهما يجتمعان على النَّعماء والبأساء بما رُزِقا من أُلْفة الخَلْق، حتى إذا ازدَوَجا واتحَدا؛ تأثرا ببعضِهما البعضِ تأثرًا طبعيًّا كونيًّا قدَريًّا؛ نتج مِن خلاله فوارقُ بين الأنثى والذكر، تجعل لكلٍّ منهما حاجاتٍ فطريةً متغايرة، ووظائفَ عمليةً متباينة(٢).

وفي هذه السِّيماء تَنشطُ النفسُ لمغازلِ الشوق مع كريمةِ المنبت، شريفةِ المنصب: «أنثى الزوج».

---

(١) انظر: تفسير السعدي (١/٩٢٦).

(٢) انظر: أضواء البيان (٧/٤١٧).

الزوجية والاتصال الفطري

١

حينما تتأمَّل الأنثى خَلْقَها؛ ستجد كيف أن الله جعل فيها سيماءَ الوصل والاتصال الفِطريةَ للذكَر، وهو كذلك بالنسبة لها، حتى انتظَم عقدُ اجتماعِهما وباتوا في الوصل كأنجُمِ الثريَّا.

يقول الله سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا﴾[١] فجعلهم أصنافًا وزوَّج بعضَهم من بعض، ذكرانًا وإناثًا[٢]، وقد شاع إطلاق الزوج على صِنف الذكور مع صنف الإناث؛ لاحتياج الفرد الذكَرِ من كل صنفٍ إلى أنثاه والعكس[٣]. والأصلُ في الزوج الصِّنف والنوع من كل شيء، فزوج الأنثى: بَعلُها. وزوج الذكر: امرأتُه[٤].

ثم كان مِن متطلَّبات الزوجية والاتصال أنْ جعل لكلِّ صنف خصائصَ ووظائف، وإذا تأمَّلنا الأنثى كأحد الزوجين نجد أنها قد تباينَت عن الذكر بخصائصها ابتداءً من خليَّتِها التي تأخذ الجسيمات الملونة: (XX) كوحدة لتكوينها الجسدي، والتي تختلف عن خلايا الذكر التي تأخذ الجسيمات الملونة (XY).

---

(١) [فاطر: ١١].

(٢) انظر: تفسير البغوي (٣/٦٩٠)، تفسير السمعاني (٤/٣٥٠).

(٣) انظر: تفسير التحرير والتنوير (٢٥/٥).

(٤) انظر: مادة (زوج)، لسان العرب (٢/٢٩٢)، الصحاح (١/٣٢٠)، مقاييس اللغة (٣/٣٥).

فملايينُ الخلايا في جسدها الرقيق، كل خلية منها موسومةٌ بسيماء الأنوثة؛ كخلايا الجلد، وخلايا الشعر، وخلايا الفم، وخلايا المخ والعظام، فكانت خصائصُها تلك الرقيقة نابعةً من جسدها، إلىٰ رغبتها وتوجُّهها، ومرتفعة من خليتها إلىٰ سلوكها، ومن عظمها الىٰ فكرها، ومن جلدها إلىٰ منزعها[١].

۞ مرجع الاتصال:

إذا تأمَّلنا في الاقتران الزوجي وما حوَاه من فرط الاتصال والاتحاد؛ وجدنا مرجِعَه نابعًا من: وَحدة الأصل الإنساني[٢]، فقال سبحانه في كتابه: ﴿مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖ﴾[٣]، فالذكر مولودٌ من الأنثىٰ، والأنثىٰ مولودة من الذكر، فلما كانوا من نفسَين: إحداهما مخلوقة من الأخرىٰ؛ صاروا بهذا الاعتبار من نفس واحدة[٤]، وفي ذلك يقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا﴾[٥]. فذكر سبحانه أن الذكر والأنثىٰ خُلِقا من نفسٍ واحدة، فأصبح بذلك كلٌّ منهما قرينًا للآخَر، وهذا هو: مفهومُ الزوجية.

وإذا رجَعنا إلىٰ مفهوم الزوجية في اللغة وجَدْنا هذا المعنىٰ أيضًا؛ فالزوج في اللغة هو: الفرد الذي له قرين، وهو يُطلَق علىٰ الأنثىٰ والذكر[٦]،

(١) انظر: خلق الإنسان (ص: ١٢٧)، عمل المرأة في الميزان (ص: ٣٨).
(٢) انظر: تفسير البيضاوي (٢/٥٥).
(٣) [آل عمران: ١٩٥].
(٤) انظر: تفسير المنار (٤/٢٧٢)، تفسير المراغي (٤/١٦٠).
(٥) [النساء: ١].
(٦) انظر: مادة (زوج)، لسان العرب (٢/٢٩١)، المحكم والمحيط الأعظم (٧/٥٢٥).

ولذا قال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ﴾[1]. ليستقيم ناموسُ التناسل ويتفرَّع عنهما خلقٌ كثير؛ ولذا سُمِّيت الأنثىٰ القرينةُ للذكَر بنكاحٍ زوجًا؛ لأنها اقترنَت به وصيَّرَتْه ثانيًا، وكذلك الذكَر بلا فرق[2].

فكان من تمام رحمته سبحانه ببني آدمَ أنْ جعل أزواجهم من جِنسهم، وجعل بينهم وبينهنَّ مودةً ورحمة، ولو أنه جعل بني آدم كلَّهم ذكورًا، ثم جعل إناثهم من جنس آخر ـ إما من جانٍّ أو حيوان ـ لما حصَل هذا الائتلافُ بينهم وبين الأزواج، بل كانت تحصل نُفرةٌ لو كانت الأزواج من غير الجنس.

۞ عمق الاتصال:

والنظر في آيات الزوجيَّة في القرآن يضَعُنا أمام صورة دقيقة عميقة لعلاقة الأنثىٰ بالذكر، وهذه العلاقة تُشير إلىٰ امتزاجٍ واتحادٍ وتداخُل كتداخل الإنسان وثوبه، بكل ما يُوحي به التعبيرُ من معاني الملامَسة والمكاشفة والالتصاق الجسديِّ والرُّوحي والوِجْداني، وقد وصف الله سبحانه هذه العلاقةَ العميقة بينهما فقال: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمۡ وَأَنتُمۡ لِبَاسٞ لَّهُنَّ﴾[3].

فلما كانت الأنثىٰ تتَّصل بالذكر اتصالًا لا افتراقَ معه، وتُعانقه العناقَ الذي يفتقر معه صبرُ كلٍّ منهما عن الآخر، ويصعب معه الاجتنابُ لكثرة المخالَطة وشدة الملابسة[4]؛ جعل سبحانه منزلتهما بمنزلة ما يُلبَس علىٰ

(١) [النجم: ٤٥].
(٢) انظر: التحرير والتنوير (١/٤٢٨).
(٣) [البقرة: ١٨٧].
(٤) انظر: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٧/٢٥).

الجسد من الثياب، فقيل لكل واحد منهما: ﴿لِبَاسٌ﴾ لصاحبه.

فكان في اللباس كِنايةٌ عن كونِ كلٍّ منهما سكَنًا للآخر وسترًا له[1]، وأنه شديد الاحتياج إليه، يلمسه ويُباشره كما يُباشر اللباس. فركَّب فيهم الغريزة الدافعة لكلٍّ منهما إلى الآخَر، وجعل في الأنثى رغبةً وتطلعًا للذكَر، وجعل في الذكر شوقًا وحنينًا للأنثى.

وقد تمثَّل هذا اللباسُ بين النبي ﷺ وحبيبة قلبه عائشةَ رضي الله عنها حتى آخرِ رمَق في حياته، حين قالت رضي الله عنها: **(فقبَضه اللهُ وإنَّ رأسَه لبَيْنَ نَحْري وسَحْري، وخالطَ ريقُه ريقي، ثم قالت: دخلَ عبدُ الرحمن بنُ أبي بكر ومعه سِواكٌ يَستنُّ به، فنظرَ إليه رسولُ الله ﷺ فقلتُ له: أعطِني هذا السِّواكَ يا عبدَ الرحمن، فأعطانيه، فقضَمتُه، ثم مضَغتُه، فأعطيتُه رسولَ الله ﷺ فاستنَّ به، وهو مستندٌ إلى صدري)**[2]، فصلى الله على أحنِّ الخلق، ورضي الله عن وفيَّةِ القلب.

وهذا الاتصال ما هو إلا حاجةٌ فطرية مشتركة بين الصنفَين، وهو فطرة مستقرَّة منذ بدءِ الخليقة كما مر معنا.

وقد عبَّرَت الحضاراتُ في منحوتاتها عن هذا الاتصال، ففي الحضارة البابلية (١٧٦٣ ق.م.) وُجِد تمثال صغير في عين ساخري بفِلَسطين يُصور الذكر والأنثى في احتضان؛ إشارةً إلى العلاقة الحميمية التي كانت مجتمعاتُ ما قبل التاريخ تنظر لها بقدسية[3].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٣/٢٣٢).

(٢) **متفق عليه**؛ رواه البخاري (٤٤٥٠)، ومسلم (٢٤٤٣).

(٣) انظر: المرأة في حضارات بلاد الشام القديمة (ص: ١٤).

وقد اشتهَر في الحضارة السومرية (٤٠٠٠ ق.م.) تمثال الزوجين المتعانقين الجالِسَين على مقعدٍ واحد، ويُسمى بتمثال ماري[١]، ويُعبرون به عن مدى الاتصال الجسدي والعاطفي بين الزوجين.

وكذلك منحوتات الحضارة الفِرْعونية (٣١٥٠ ق. م.) تُظهِر الاتصال والقرب بين الذكَر والأنثى في وقوفهم وجلوسهم، وهم أيضًا لا يُترجمون هذا العمق في الاتصال بالمنحوتات فقط، بل وفي واقعهم وأقوالهم؛ فهم يُلقِّبون الأنثى (بالزوجة المستقرة بالقلب)، و(حلوة المحبة)، وهذا الترابط شمل المجتمع الفرعوني بأكمله بأفراد الشعب منهم والملوك على السواء[٢]، وفي ذلك إشارةٌ إلى عمق الاتصال بين الذكر والأنثى في زمنهم.

وقد نجد مِن آثار شدة الاتصال بين الذكَر والأنثى تلك السعادةَ التي تفيض من المحبِّين عند القُرب، وعكس ذلك من الألم والحزن الذي يُخلِّفه البُعد والشوق، ونجد ذلك ظاهرًا في الأشعار والرسائل بين المحبين.

ومن ذلك قولُ سعيد بن حُميد وهو يشكو شوقه[٣]:

تَنامِينَ عن لَيْلي وأسهَرُه وَحْدِي ... وأنْهَى جُفوني أنْ تَبُثَّكِ ما عِنْدي

فإنْ كنتِ لا تَدْرينَ ما قد فعَلتِهِ ... بنا فانظُرِي ماذا على قاتِلِ العَمْدِ؟

(١) انظر: المرجع السابق (ص: ١٠٠).

(٢) انظر: دور المرأة في الحضارات القديمة وأدوات الزينة (ص: ٢٧)، دور المرأة في المجتمع المصري (ص: ١٠/١٢٧).

(٣) انظر: الإماء الشواعر (ص: ٧٧).

۞ الاتصال والاشتراك:

وإذا فَهِمنا أن هذا الاتصالَ مشترك، فإننا نَفهم من ذلك أن العلاقةَ بين الذكر والأنثى ليست علاقةَ طلبٍ من الذكر واستجابةٍ من الأنثى، إنما هي مشاعرُ مشتركة، واتصالٌ مزدوج، رغم كونها عند الذكر أكثرَ إلحاحًا[1]، ولكنها ليست حاجةً منحصِرة في الذكوريَّة، بل هي فطرةٌ مشتركة يُراعى فيها رغباتُ الصِّنفين، واحتياجاتهما، ولذا فإن الأنثى تَميل للذكر بغريزتها الفطرية كما يميل إليها.

ومما يُنبئ عن هذه السِّيماء الأنثوية ما نُقِش من نصوصٍ تاريخية، فهذا نصٌّ فِرعوني تُعبِّر فيه الأنثى عن رغبتها في الرجل فتقول لزوجها: (رغبتي فيك كُحْل عيني، وعيناي تلمعان لأني أنظر إليك وألمسُ حبَّك، أيها الرجل يا مَن ملَكْتَ قلبي، يا لها مِن لحظة هنيَّة، عساها تدوم إلى الأبد)[2].

ومن ذلك ما كان مِن بنات رجلٍ من العرب يُقال له: «ذو الإصبع العدواني» وقد كان رجلًا غَيورًا، وله بناتٌ أربع، وكان لا يُزوِّجهن غَيْرة، فاستمع إليهن يومًا، وقد خلَوْن يتحدَّثن، فقالت قائلةٌ منهن: لتقُل كلُّ واحدةٍ منكن ما في نفسها، ولنصدُق جميعًا:

فقالت كُبراهن:

أَلَا لَيْتَ زَوْجي مِن أُناسٍ ذَوِي غِنًى ... حَديثُ الشَّبابِ طَيِّبُ النَّشْرِ والذِّكْرِ

لَصُـوقٌ بأكْبـادِ النِّسـاءِ كأنَّـهُ ... خليفـةُ جَـانٍ لا يُقِـيمُ علـى هَجْـرِ

(١) انظر: الموسوعة النفسية الجنسية (ص: ٧٠).

(٢) انظر: مقال الحب والعشق في زمن الفراعنة. (موقع BBC).

وقالت صُغْراهن:

زَوجٌ مِن عُود، خيرٌ مِن قعود.

قال: فخُطِبن، فزوَّجتُهن جميعًا[١].

وربما ظنَّت بعض النساء أن في تركِ هذه الغريزة، والاستقلالِ بالذات الأنثوية، أو ادِّعاء الترفُّع عنها أو عدمِ الحاجة إليها ـ مَمْدحةً في حقِّها وعلوَّ مقام، وليس الأمر كذلك؛ فإن مشاعر التَّركِ هذه ما هي إلا انتزاعٌ للأنثى من أنوثتها الفطرية، وقد نهى النبيُّ ﷺ عن التبتُّل، وهو رفضُ الرجال للنساء، والعكس كذلك[٢]، وعن سَعدِ بنِ هِشامٍ أنَّهُ دخَلَ على أُمِّ المُؤمِنينَ عائشةَ رضي الله عنها، قال: «**قلتُ: إنِّي أريدُ أن أسألَكِ عن التبتُّل، فما ترَينَ فيه؟ قالت: فلا تفعَلْ؛ أمَا سمعتَ اللهَ عز وجل يقولُ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾**[٣] **فلا تتبتَّلْ**»[٤].

وقد ظهَرَت فعلًا بعضُ الأصوات الأنثوية حديثًا لتدعو إلى الترفُّع عن هذه الرغبة الأنثوية، وتُنكِر وجودها، وتُعطيها دورًا سلبيًّا في الاتصال المشترَك، وربما انتشَر هذا المفهوم في تفكير وتقاليد الكثير من النساء، بينما في الجهة الأخرى تَظهر أصوات أنثوية تدَّعي بأن الأنثى صِنف كامل، ولا يَميل بفطرته للاتصال بالصنف الآخر، وإلا كان في حقِّ الأنثى نقصًا، ودَعَت

(١) انظر: الكامل في اللغة والأدب (٢/١١١).

(٢) انظر: التيسير بشرح الجامع الصغير (٢/٢٦٨)، فيض القدير (٥/١٩٦).

(٣) [الرعد: ٣٨].

(٤) أخرجه النسائي في السنن (٣٢١٦)، وقال الألباني في صحيح وضعيف سنن النسائي (٧/٢٨٨): "صحيح، إن كان الحسن سمعه من سعد، موقوف".

هذه الأصواتُ الأنثىٰ بأن تُدير ظهرها لأيٍّ من نوازعِ الرغبة إلىٰ الرجل[١].

ولا شك أنَّ في هذا التوجه شذوذًا عن فطرة الزوجية التي خلقها الله في الأنثىٰ كما مر معنا، يقول «ابنُ القيِّم رحمه الله» في ذلك: (لما أراد الله سبحانه أن يُذِرَّ نسلَهما ـ أي آدمَ وحوَّاء ـ في الأرض ويُكثره؛ وضَع فيهما حرارةَ الشهوة ونارَ الشوق والطلَب، وألْهَم كلًّا منهما اجتماعَه بصاحبه... ثم اقتضَت حِكمتُه سبحانه أنْ قدَّر لخروجِها ـ أي الشهوة ـ أقوىٰ الأسبابِ المستفرِغة لها من خارجٍ ومن داخل؛ فقيَّض لها صورةً حسَّنَها في عينِ الناظر وشوَّقه إليها، وساق أحدَهما إلىٰ الآخر بسلسلةِ الشهوة والمحبة، فحنَّ كلٌّ منهما إلىٰ امتزاجِه بصاحبه واختلاطِه به ليقضيَ اللهُ أمرًا كان مفعولًا، وجعل هذا محلَّ الحرث، وهذا محلَّ البَذْر؛ ليلتقيَ الماءان علىٰ أمرٍ قد قُدِر)[٢].

وقد راعَت الشريعةُ هذه الفطرةَ الأنثوية وأوْلَتْها عنايةً ظاهرة، ومِن ذلك أنها أعطَت الزوجة حقَّ الفسخ في حال عدم قدرة الزوج علىٰ إتيانها، فعن سعيدِ بنِ المُسيِّب رضي الله عنه قال: (قَضىٰ عمرُ بنُ الخطَّابِ في الذي لا يستطيعُ النِّساءَ أن يُؤجَّلَ سنَة)[٣]. فإذا عجز الزوج عن الإتيان، فلم يطَأْ زوجته ولو مرةً واحدة، كان لها رفعُ الأمر إلىٰ القضاء، فإن ثبتَت عُنَّته أجَّلَه القاضي سنة، فإن لم يطأ، كان لها الفسخ[٤].

---

(١) انظر: مفهوم النسوية ـ باحثات ـ (ص: ١٥٣).

(٢) انظر: التبيان في أقسام القرآن (ص: ٣٢٧).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٦/٢٥٣) (١٠٧٢٠).

(٤) انظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (٢/٣٢٢)، التاج والإكليل لمختصر خليل (٥/١٥٢)، المجموع شرح المهذب (١٦/٢٧٧)، المغني لابن قدامة (٧/٢٠٥)،

وقد بيَّنَت الشريعة بأن الاهتمام بالأنثىٰ ومراعاتَها في جانب الاتصال يكون حتىٰ في لحظاتِ ضعفها الدورية ـ أي: الحيض ـ التي نُبِذَت بسببها من مُجتمعات عدَّة، فاليهود علىٰ سبيل المثال كانوا إذا حاضَت المرأة فيهم لم يُؤاكِلوها، ولم يُجامعوها في البيوت، بل قد جاء في أسفارهم: (إذا كانت امرأةٌ لها سيل، وكان سَيلها دمًا في لحمِها، فسبعة أيام تكون في طَمثِها، وكل مَن مسها يكون نجسًا إلىٰ المساء، وإن اضطجعَ معها رجلٌ فكان طمثُها عليها يكون نجسًا سبعة أيام، وكل فراش يَضطجع عليه يكون نجسًا)[1].

ومن عجائبِ ما كان يُمارسه أهلُ الجاهلية: ألَّا تُساكِنَهم حائضٌ في بيت، ولا تُؤاكِلَهم في إناء[2].

أما في الإسلام فالأنثىٰ لا تفقد شيئًا من أنوثتها في فترة حيضها، فقد كان ﷺ يُقبِّل نساءه في حيضهن ويتودَّد إليهن ويُلاطفهن، ويضطجع معهن وينام بقُربهن، وكان يُشير بذلك للصحابة رضي الله عنهم فيقول ﷺ: **(اصنَعوا كلَّ شيءٍ إلا النِّكاحَ)**[3]، بل ويقرأ القرآن وهو علىٰ حجر إحداهن وهي حائض[4]. والمسلم عمومًا ذكرًا كان أو أنثىٰ لا يَنجُس، كما ذكر ذلك النبيُّ ﷺ[5].

---

(١) سفر لاوي ١٥: ١٩.

(٢) انظر: المرأة بين الجاهلية والإسلام (ص: ١٢٣).

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٣٠٢).

(٤) عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان النبي ﷺ يقرأ القرآن ورأسه في حجري وأنا حائض»؛ متفق عليه؛ رواه البخاري (٧٥٤٩)، ومسلم (٣٠١).

(٥) كما روىٰ البخاري (١/٦٥) (٢٨٣) عن أبي هريرة أن النبي ﷺ لقيه في بعض طريق المدينة وهو جُنب، فانخنس منه، فذهب فاغتسل ثم جاء، فقال: «أين كنت يا أبا هريرة» قال: كنت جُنبًا، فكرهتُ أن أجالسك وأنا علىٰ غير طهارة، فقال: «سبحان الله، إن المسلم لا ينجس»؛ متفق عليه؛ رواه البخاري (٢٨٣)، ومسلم (٣٧١).

وقد راعَت الشريعة الإسلامية ضعف الأنثى أثناءَ حيضها، فمنعَت عنها ما يُؤْذيها من الجِماع، وخفَّفَت عنها بعضَ التكاليف كالصلاة والصيام. فقد قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى﴾[1]. وفي قوله سبحانه ﴿أَذًى﴾ وصفٌ دقيق، فإن الغِشاء المبطن للرحم يقذف بالكامل أثناءَ الحيض، ويكون الرحمُ متقرحًا نتيجةً لذلك تمامًا كما يكون الجلد مسلوخًا، فيكون معرَّضًا بسهولة لعُدوان البكتيريا؛ لذا فإن الجماع يُشكل خطرًا على الأنثى، وليس إلا إدخالًا للميكروبات في وقت لا تستطيع فيه أجهزة الدفاع أن تُقاوِم، مما يُؤدِّي إلى نموِّ الميكروبات في الرحم وحدوثِ التهابات مزمِنة يصعُب علاجها، وقد يتعدَّاه إلى مشاكل في العُقم وغيرِه، كما أن الرجل يكون معرَّضًا للأذى بانتقال البكتيريا وغيرِ ذلك من الأعراض[2]، وقد لخص الشارعُ كل ما سبق بكلمة ﴿أَذًى﴾، فالمحيض أذًى للمرأة ووَطْؤُها يَزيد من أذاها، ويجعله يَسْتشري وينتقل للزوج. وذلك من إعجاز الشريعة وفَهمِها لطبيعة الأنثى وخصائصها الجسدية وظروفها النفسية.

وبما سبق نعلم أن الاتصال هي حاجةٌ مشتركة، تُلامس الجنسَين، وأن في تَرَفُّع الأنثى عن ذلك والتحجُّجِ بالاستقلال الذاتي: ميلًا عن الفطرة الأنثوية.

(١) [البقرة: ٢٢٢].

(٢) انظر: خلق الإنسان (ص: ١٠١ ـ ١٠٥).

۞ ضوابط الاتصال:

إن عمق الاتصال بين الأنثى والذكر، وما يترتب عليه من طبيعةٍ إنسانية وشهوة فطرية، يُبيِّن لنا أنه لا يستقيم أن تُبدِّل الأنثى شَطْر زوجيَّتِها من الذكور بالإناث، وكذلك العكس؛ يقول تعالى في قوم لوط: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾[1]. والإسراف وضعُ الشيء في غير مَحلِّه وموضعِه الذي خُلق له[2]. فكان هذا الاتصالُ منضبطًا بضابطِ الزوجية التي أرادها الله سبحانه.

ولذا نجد أنَّ قوم لوط وأتباعَهم قد وضعوا الشهوة في غير موضعها، وأبدلوا الاتصال الفطري بالاتصال الشاذ، والإنسان إذا أطلق شهوته وجعلها بلا ضابط، وأكثرَ من وسائلها؛ فإنها تتفاقم ويرتفع سقفُها حتى يستغنيَ عن الشهوة السليمة، فيهضم الصِّنف الآخر الذي جعله الله موضعًا للإتيانِ والإفضاء[3]، فهؤلاء قد آذَوُا الإناث حينما تَرَكوا إتيانَهن فهضَموا حقوقَهن[4]. فمالوا عن مفهوم الزوجية الذي جعَله الله نظامًا لهذا الكون المتوازِن، الذي لا يقبل الميل عنه، فالإلكترون يُقابل البروتون، والسالب يُقابل الموجب، والذُّكورة تُقابل الأنوثة[5].

---

(١) [الأعراف: ٨١].

(٢) انظر: تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل (٢/٢٢٥).

(٣) انظر: تفسير المنار (٨/٤٦٥).

(٤) انظر: أيسر التفاسير للجزائري (٤/٣٠).

(٥) انظر: خلق الإنسان (ص: ١٤١).

إذًا فهذه العلاقةُ الزوجية بما فيها من اتصالٍ ومحبة ومودَّة وذُرية لا تكون إلَّا بين ذكرٍ وأنثى، وكان هذا الأمرُ معقولًا في التاريخ والحضارات.

ففي الحضارة الفِرْعونية (٣١٥٠ ق.م.) لم تكن المثليَّة الجنسية عندهم ـ كما في كتاب الموتى ـ إلا كفعلٍ كريه لا يجب اقترافُه أو ارتكابه[١].

وفي روما (٧٥٣ ق.م.) على الرغم مما عمَّ بها من فسادٍ ومُجون فإنها رغم ذلك تُقدِّس شأن الأسرة وتُجِلُّها، وظلَّت الفضائلُ باقيةً في البيوت الرومانية حتى في أيامِ الطغاة والمستبدِّين[٢]، وهو كذلك بالنسبة للحضارة الفارسية (٦٠٠ ق.م.)[٣].

وقد شرَعَت بعضُ الحضارات العقوباتِ على مرتكب الشذوذ؛ فهذا قانون آشور (١٣٩٢ ق.م.) ينص على أنه إذا كان الرجل يُمارس الجنس مع رجل آخر فإنه يُعاقَب وتُوجَّه إليه تهمةٌ وإدانة، ويتم اعتباره مدنَّسًا ويُعاقَب بجعله مخصيًّا[٤].

وفي التاريخ الأوروبي كذلك نجد أن بعض الإمبراطوريات شدَّدَت في عقوبة الشواذ، ومن ذلك ما كان من «الإمبراطور جستنيان» فإنه لم يكتفِ بتقرير عقوبة الإعدام للِّواط، بل كان في كثير من الأحيان يُضيف إليها التعذيب، وبتْرَ الأعضاء، وعرض المذنِبَين على الجماهير في الشوارع قبل إعدامهما[٥].

---

(١) انظر: الحياة الجنسية في مصر القديمة (ص: ٢٦).

(٢) انظر: المرأة بين السماء والأرض (ص: ٥٩).

(٣) انظر: قصة الحضارة (٢/٤٤٠).

(٤) انظر: تسلسل زمني لتاريخ المثليين: (موقع: ويكيبيديا).

(٥) انظر: قصة الحضارة (١٢/٢٢٨).

وقد حفظت الشريعةُ هذه الفِطرةَ الأنثوية بوسائلَ عدة؛ لئلا تَميل، ولذا فقد صانت الأنثى من التشبُّه بالرجال حتى في أدنى الرغبات، لئلَّا تَصطبِغَ سيماؤها بأدنى الرغبات، فتميلَ عن فِطرتها بأعلى الشهوات.

عن أبي هُريرة ﷺ، قال: «**لعَن رسولُ الله ﷺ الرجلَ يلبس لِبْسةَ المرأة، والمرأةَ تلبسُ لِبْسةَ الرجل**»[(١)]، وقالت عائشة ﷺ: «**لعَن رسولُ الله ﷺ الرَّجُلةَ من النساء**»[(٢)]. يقول «ابن رسلان ﷺ»: (وهذا مُشاهَد معلوم وهو متزايِد)[(٣)].

ونقول بل إنه قد تكاثَر وتفاقم في زمننا هذا إلا أن وجوده وتزايده لا يدل أبدًا على صحته، والرجلة في الحديث: هي التي تُشبِّه نفسها بالرجال في اللباس[(٤)]، فإذا كان التشبُّه في اللباس مستوجبًا للَّعنات، فكيف بالحركات والسكَنات، والتصنُّع بالأعضاء والأصوات؟[(٥)] والرغبة بما هو أعلى مِن ذلك من خاطئ الملذَّات، ولذا حرَّم على الأنثى أن تُشوِّه أنوثتها بتشبُّهها بالرجال في زيِّهم أو مشيهم أو رفع صوتهم[(٦)].

وقد قال تعالى مبينًا فيما جُعل في الأرض: ﴿جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾[(٧)]، والوصف بقوله: ﴿ٱثْنَيْنِ﴾ للتأكيد حول هذا المعنى؛ تحقيقًا للامتنان بخَلقه

(١) رواه أبو داود (٤٠٩٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٠٩٥)، وصحيح أبي داود (٤٠٩٨).

(٢) رواه أبو داود (٤٠٩٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٠٩٦).

(٣) انظر: شرح سنن أبي داود لابن رسلان (١٦/٣٥٥).

(٤) انظر: المفاتيح في شرح المصابيح (٥/٥٥).

(٥) انظر: التيسير بشرح الجامع الصغير (٢/٢٩٢).

(٦) أما التشبه بهم في العلم والرأي فمحمود. انظر: التيسير بشرح الجامع الصغير (٢/٢٩٢).

(٧) [الرعد: ٣].

لهذَين الصِّنفَين[1]، وحتىٰ لا يتجاوزَ الأنامُ هذا الحدَّ في التناغُم بين هذه الخِلقة الفطرية التي جعلها الله مقتصِرة بين اثنَين فقط، وهما الذكَر مع الأنثىٰ. فكان في ذلك ضابطًا للاتصال.

ومن ضوابط الاتصال الأنثوي، أن يكون اتصالها بالذكر شرعيًّا، فإن هذه الرغبة لا تُسوِّغ بين الجنسَين الاتصالَ غيرَ المشروع، ولذا فقد جعلَت الشريعةُ هذا الاتصالَ الأنثوي مقرونًا بالزواج، وهذا من رحمة الله ﷻ بعد أن خلَق الزَّوجين بهذه الفِطرة أنبأهم بالطريقِ الذي يستقيمُ به هذا الاتصالُ الفطري، ولذا عزَّز الإسلامُ في الزواج هذه الفطرةَ، مع المحافظة علىٰ النَّسل والعِرض للجنسين.

يقول «القرافي» في المقاصد الشرعية للزواج: (مقصود الزوجية التراكُن والوُد والإحسان من الطرفَين)[2]. ويقول «الجُوَيني»: (إن النكاح شُرِع لتحصين الزوجين من فاحشة الزنىٰ وغيرِه من المقاصد، والحُرة محتاجةٌ إلىٰ التحصين بالمستمتع الحلال)[3]. ولذا ذكَر «النووي» في النوايا التي تُستحضَر أثناء الزواج فقال: (وأن ينويَ بالنكاح المقاصدَ الشرعية؛ كإقامة السُّنة، وصيانةِ دينه وغيرِهما). ففي الزواج احتواءٌ للفطرة مع صيانةِ الدين، واحتفاظٌ بالكرامةِ الإنسانية، وما يتبعُها من النَّسل والعِرض.

(١) انظر: التحرير والتنوير (١٣/٨٣).

(٢) انظر: الذخيرة (٤/٣٤١).

(٣) انظر: البرهان في أصول الفقه (٢/٧٥).

الزوجية والسَّنَد

٢

إن مِن أسمىٰ صُوَر التكامُلِ البديع بين الذكَر والأنثىٰ في الزوجية: هو استنادُ كلٍّ منهما إلىٰ الآخَر، فتكون الأنثىٰ تارةً مستنِدةً للرجل، وتارةً ساندةً له وداعِمة؛ لِيَصلا بالزوجية إلىٰ نتيجةِ السَّند المثمِرة التي تدور بين جَمال التأثُّر والتأثير، وهذه مِن أبرز سِمات الزوجية، بل مِن بديهيات الصِّنف الإنساني.

فقد يطرأ علىٰ الأنثىٰ نقصٌ في شيء ليُكمِلَه الرجل، ويطرأ علىٰ الرجل نقصٌ في شيء لتُكمِله الأنثىٰ؛ سعيًا إلىٰ تكوين الحاجةِ الفطرية الطبيعية بينهما، ورغبةً في دوام الالتقاء وضَمان استمرار الحياة، وتحقيقِ التكامل بالسَّند.

وصدَقَت أُمامةُ بنتُ الحارث القولَ لابنتها وهي تتجهَّز للانتقال إلىٰ بيت الزوجية: (أيْ بُنيَّةُ، إنَّ الوصيَّة لو تُرِكَت لِفَضل أدبٍ تُرِكتْ لذلك منكِ، ولكنَّها تذكرةٌ للغافل، ومَعونةٌ للعاقل، ولو أنَّ امرأةً استغنت عن الزوج لِغِنىٰ أبوَيها وشدَّة حاجتهما إليها كنتِ أغنىٰ الناسِ عنه، ولكنَّ النساء للرجال خُلِقْنَ، ولهنَّ خُلِق الرجال)[1].

(١) انظر: الفاخر (ص: ١٨٦)، مجمع الأمثال (٢/٢٦٣).

۞ السَّند والاشتراك:

إن السَّند بين الذكَر والأنثى، فطرةٌ مشتركة، ورغبة متبادَلة، وهي وسيلةٌ لتحقيق التكامل الزوجي كما ذكَرنا. ولم تزَل الأنثى ساندةً للذكر في أمور حياته محتضِنة له: بزوجيَّتها، وسكَنها، وسيمائها الأنثوية، فهي خيرُ سندٍ للذكَر في حياته الدِّينية والدنيوية، وقد قال ﷺ: «**إذا تزوَّجَ العبدُ؛ فقد استَكملَ نِصفَ الدِّينِ، فليتَّقِ اللهَ في النِّصفِ الباقي**»[1] أي: كَمُل نصفُ دينه[2]، ففيه إعلامٌ أن زواج الرجل بالأنثى سببٌ لاستكمال نصف الدين[3]. وذلك لأن الرجل بارتباطِه بالأنثى يتحصَّن جسديًّا وروحيًّا فيُكمِل بها نقصَ دينه.

وسيأتي في سيماءِ «الأنثى سكَن» التفصيلُ في هذا المقام ـ الإسناد الأنثوي ـ، ومدى احتواء الأنثى للرجل، وسكونِه إليها.

وكما أن الأنثى تَسند الذكَر في أمور كثيرة، فهي أيضًا تستند إليه، فتستند إلى عقله وقلبه، وروحه، ومشورته، وحكمته، وولايته لِيَحصل التكامل كما ذكرنا؛ فهي كقول القائلة:

أُنــوثَتِي تتَســامَى فــي رُجولَتِــهِ حتَّــى كــأنَّي هُــوْ أو كنــتُ إيَّــاهُ

وقد دلَّت الآيات القرآنية التي مرَّت معنا على أن الأنثى الأولى ـ حوَّاء ـ كان وجودُها الأول مستنِدًا إلى وجود الرجل وفرعًا عنه، وهذا أمر كونيٌّ قدَري

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٥١٠٠)

(٢) انظر: مرقاة المفاتيح (٥/٢٠٤٩).

(٣) انظر: مرقاة المفاتيح (٥/٢٠٤٩)، شرح المشكاة: الكاشف عن حقائق السنن (٧/٢٢٦٦).

من الله سبحانه، أنشأ الأنثى في إيجادها الأولِ عليه. وحينما نتأمَّل طبيعة هذا الاستنادِ في قوله: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾[1] فإننا نجد أن هذا الخبر يُنبئ أن حوَّاء خُلِقَت بعد أن سكَن آدمُ الجنة، وفي ذلك بيانٌ لمدى استناد الأنثى على الذكر من جهة السُّكنى والمعيشة باقتضاء الفِطرة[2].

وفي قوله سبحانه: ﴿ٱسْكُنْ﴾ ولم يقل (اسكُنا) إشارةٌ إلى أن استناد الأنثى للذكَر هو استنادٌ يقتضي من الرجل بذْلَ جهدٍ وكَدٍّ، وتأديةَ واجباتٍ ومسؤوليات، وتقديمَ رعاية واهتمام؛ لتحقيق الأمن والراحة والطمأنينة للأنثى، وفي ذلك يتجلَّى معنى الزوجية ومقاصدها.

وهذا أمرٌ تحتاجه الأنثى مهما بلَغَت من الاكتفاء، فهذه مريمُ ابنة عِمران التي أخبر عنها النبيُّ ﷺ بأنها كاملة: كفَّلَها الله زكريا عليه السلام فقال سبحانه: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾[3]؛ لكونها أنثى احتاجت إلى من يكفلها ويحضنها، حتى اقترَعوا على كَفالتِها؛ لأن الأنثى تحتاج إلى الحفظ والصيانة[4].

وقد أكدَت نتائجُ الأبحاث العِلمية على أن سُلوك الذكر ورغبتَه في حماية الأنثى ورعايتها، ورغبةَ الأنثى في ذلك أيضًا أمرٌ فِطري حتى عند الجِنس الحيواني بعد عمل مجموعة من التَّجارِب، وأن هذا السلوك لا يرجع إلى المحيط الاجتماعي، بل إلى عواملَ وراثيةٍ لا سبيلَ إلى تعديلها[5].

---

(١) [البقرة: ٣٥].

(٢) انظر: تفسير الطبري (١/٥٤٨)، تفسير المنار (٨/٣٠٨).

(٣) [آل عمران: ٣٧].

(٤) انظر: جامع المسائل لابن تيمية (٣/٤١٧).

(٥) انظر: المرأة بين شريعة الإسلام والحضارة الغربية (ص: ٧٧ ـ ٧٨).

وجاء الشرعُ الكريم المنزَّل من الله على الذكر والأنثى لِيَعيشا بمراعاةِ هذا الأمر الكَوني القدَري، فجعل الذكرَ قائمًا عليها وجعَلها مستندةً إليه في شؤونٍ كثيرة[1]، فقال سبحانه: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾، يقول القُرطبيُّ: (أي يَقومون بالنفَقة عليهن والذبِّ عنهن)[2]. وقِوامةُ الرجل على الأنثى في اللغة: أن يقومَ بأمرها وما تحتاجُ إليه، مع المحافظة والإصلاح، وقد نبَّه ابن منظورٍ في لسانِ العرب أنه ليس المقصودُ هاهنا القيامَ الذي هو التنصُّب، إنما هو مِن قولهم قُمت بأمرك، فالرجال متكفِّلون بأمور النساء معنيُّون بشؤونهن[3].

وكما يَظهر فإن القِوامة ليست استعلاءً ولا استبدادًا، كما يظنُّ بعض الرجال والنساء، إنما هي وسيلةٌ تنظيمية، وتطبيقٌ مباشر لمفهوم التكامل بين الزوجين.

فهي رعاية ومسؤولية في تدبير المعاش والحمايةِ والأمن، وقيادةٌ عادلة واحترامٌ لكرامة الأنثى بصَونها وحِفظها، وتوفيرِ سُبل الراحة لها، وحمايتها من الضرر، وهذا حقٌّ للأنثى وواجبٌ على الذكَر، وتستدعي من الذكَر جهدًا وسعيًا وكدحًا.

ولذا فإن الزوج الذي يعيش عالةً على كَسبِ زوجته، قليلُ المنطق، ضعيفُ الحيلة والشخصية؛ لا تشعر الأنثى برجولته، فهي تسعى إلى مَن تغفو عنده براحةٍ وطُمَأنينة، وتَكِلُ إليه حمايتَها وحمايةَ أولادها، وتترك له الكَدْح

(١) انظر: أضواء البيان (٧/٤١٤).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٥/١٦٨).

(٣) انظر: مادة (قوام) لسان العرب (١٢/٥٠٣ ـ ٤٩٧).

والسعيَ والنضال وتحمُّلَ الأعباء، لتتفرَّغ هي لمسؤولياتها العُظمىٰ، ورعايتها القُصوىٰ.

ومِن الآثار الفِطرية لسلوك الذكر في الرعاية: دفاعُه عن الأنثىٰ واحتماؤها به؛ فالذكَر لم يزَل منذ سالفِ العصور مدافعًا عن أُنثاه، مبارزًا لمن يَجترئ علىٰ حريمه: سواءٌ في ذلك الأمُّ أو الزوجة أو الأخت أو البنت، فهي تستند إليه مستعينةً علىٰ ذلك بعاطفتها الأنثوية، فيكتمل كلٌّ منهما بالآخَر؛ يقول ابن حزم: (لا تَبذُل نفسَك إلا فيما هو أعلىٰ منها، وليس ذلك إلا في ذات الله ﷻ: في دعاءٍ إلىٰ حق، وفي حمايةِ الحريم)[1].

وكان من جميل شِيَم العرَب الدفاعُ عن النساء، وقد اشتهَر في أمثال الجاهلية: (مِن كرَم الكريم الدفاعُ عن الحريم)[2]. ولا يقتصرُ الأمر علىٰ رجال العرب، بل وكذلك الغرب فالرجل الغربي هو أيضًا المدافع عن أُنثاه وصِغاره، وهذا الأمر الفِطري من المعلوم بالضرورة فلا يحتاج إلىٰ إثبات.

وقد وجَّهت الشريعةُ الذكَر في فطرة الرعاية والقوامة، فأمرت بحُسن عِشرة الأنثىٰ، فقال سبحانه: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[3]، ووصىٰ النبيُّ ﷺ بالاهتمام بها ومراعاتها، فقال ﷺ لخادمه: «**رويدك بالقَوارير**»[4]، فشبَّههن النبي ﷺ بالقوارير لضعف بِنيتِهن ورِقَّتهن ولطافتهن، وقد قال النبي ﷺ

(١) انظر: الأخلاق والسِّير في مداواة النفوس (ص: ١٦).
(٢) انظر: التشكيل الفني لصورة المرأة في الأمثال العربية من الجاهلية (ص: ١٧٨).
(٣) [النساء: ١٩].
(٤) رواه البخاري (٦١٦١).

ذلك بسبب الإبل التي كانت تُسرع كلما سمعت الحاديَ يحدو، فخشي النبيُّ ﷺ من أن تُؤذىٰ النساء بذلك[1].

وفي هذا الحديث مثالٌ جميل يُبين حِرصَ الإسلام علىٰ الأنثىٰ، فقد كان ذلك في سفر النبيِّ ﷺ، وكان يُسافر بنسائه، والأنثىٰ المسلمة لا تُسافر مسافةَ قصرٍ بدون زوج أو مَحرَم، وما كان ذلك إلا لحِفْظها وصَونها، فالرجلُ يُهيئ لها في مركبها ما يُريحها من هودجٍ وفِراش وثير، ومشيٍ وئيد، وها هو رسولُ الله ﷺ يُسافر ببعض نسائه، فيُهيئ لهن الركائب، ويُعِد لهن الهوادج، ويخصِّص لهن عبدًا وخادمًا يقودهن، ويراعي مصالحهن، ويَحْدو لهن، ولا يكتفي ﷺ بذلك، بل ويرعىٰ بنفسه شؤونَهن، ويتعهَّد أحوالهن، فيذهب إلىٰ رَحْلهن بنفسه، يطمئنُّ عليهن، ويُوصي بهن وبِراحتِهن، فيقول للخادم:

(يا أنجشة، ويحك ارفق بالقوارير)[2] فهل نرىٰ حنانًا ورقَّة وعطفًا علىٰ النساء مثل هذا؟[3].

فَرِقَّةُ الأنثىٰ الفطريةُ تحتاج إلىٰ قوة الرجل الفطرية، يقول «القرطبي»: (في الرجال زيادةُ قوةٍ في النفس والطبع ما ليس للنساء؛ لأن طَبْع الرجال غلَب عليه الحرارةُ واليبوسة، فيكون فيه قوَّة وشدَّة، وطبعُ النساء غلَب عليه الرطوبةُ والبرودة، فيكون فيه معنىٰ اللينِ والضعف، فجعل لهم حقَّ القيام عليهن بذلك)[4].

(١) انظر: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٩/٩٢).
(٢) رواه أحمد (١٢٧٦١).
(٣) انظر: فتح المنعم شرح صحيح مسلم (٩/١٦٧).
(٤) انظر: تفسير القرطبي (٥/١٦٩).

۞ السَّند والانصهار:

إن مما نبَّهَت عليه الشريعة أن استناد الأنثى للذكَر، والذكر للأنثى لا يعني انصهارَهما وذَوبانهما؛ فلكلِّ صِنفٍ إنساني خصائصُ فطرية ليس من المفترض من الصِّنف الآخر أن يسعى لتغييرها أو تقويمها على ميزانه.

ولذا فإنَّ قِوامة الرجل على الأنثى ورعايته لها، لا تعني استبدادَه وتسلُّطَه، وقد نبَّه ﷺ على الآثار السيئة لمحاولةِ الذكَر تغييرَ الأنثى، فقال: «**إذا ذهبتَ تُقيمُه كسَرتَه**»[(١)]، والكسر ممنوع. فقد أرشد الشارع الحكيم الرجلَ في هذا الحديث بعدم الاشتغال بما لا يُستطاع ـ أي تغيير الأنثى ـ والدعوة إلى حُسن مُلاطفتِها والإحسان إليها والاستئناس بها كما هي، فلا غِنى بالرجل عن أنثى يَسكن إليها ويستعينُ بها على مَعاشه ودُنياه[(٢)].

فهو وإن كان مسؤولًا عن حِفظها ورعايتِها، وإصلاحِها الدِّيني والدُّنيوي، ومنع الضَّرر عنها، إلا أن الشريعة منَعتْه من الطمع في سلامة حالها من أيِّ عِوَج[(٣)]، ومَن طَمِع في ذلك فقد رام مستحيلًا[(٤)].

وإن لم يتيسَّر التوافقُ في الوصل، فالله ﷻ قد جعل في الفراق بالمعروف سبيلًا؛ فقال سبحانه: ﴿فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾[(٥)].

---

(١) متفق عليه؛ رواه البخاري (٣٣٣١)، ومسلم (١٤٦٨).

(٢) انظر: فتح الباري لابن حجر (٩/٢٥٤)، شرح صحيح البخاري لابن بطال (٧/٢٩٥).

(٣) انظر: مسند أحمد (١٥/٣٢٢)، شرح صحيح البخاري لابن بطال (٧/٢٩٥)، البدر التمام شرح بلوغ المرام (٧/٢١٦)، سبل السلام (٢/٢٠٤).

(٤) انظر: شرح القَسطلَّاني (٨/٧٨).

(٥) [البقرة: ٢٢٩].

فلا ينبغي للرجل أن يُغيِّر من خصائص الأنثى ثم يقلبها على ميزانه الذكوري، يقول «روسو»: (إن تنمية خواصِّ الرجل لدى المرأة وإهمالَ خواصِّها الأصلية خليقٌ أن يُضِرَّ بالمرأة ضررًا واضحًا)[1].

وطبيعة الإنسان عمومًا لا تَسْلم من النقص، ألم يَقُل الله تعالى: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾[2] أي: خُلِق الإنسان عَجولًا يُبادر بالأشياء ويستعجل وقوعها؟![3]، فهذه صفةُ نقصٍ أيضًا لا ينفكُّ عنها، ولكلِّ صنفٍ نوعٌ من النقائص؛ ولذا كان من حكمة الله ﷻ أنْ جعل من كل شيء خلَقَه زوجَين اثنين، فالذكر يُكمل الأنثى، والأنثى تُكمل الذكر، وفرقٌ بين التكميل والذوبان، فلا تذوب الأنثى في الذكر بل تُكمله، والعكس كذلك.

وقد سار النبيُّ عليه السلام بسيرة الأنصار في إعطاء الأنثى مَكانتَها، وعدمِ التضييق عليها لتنصهرَ وتَذوب، فعن عُمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: (**وكنَّا معشرَ قُريشٍ نغلبُ النِّساء، فلمَّا قَدِمْنا على الأنصارِ إذا هم قومٌ تغلبُهم نساؤهم، فطَفِق نساؤنا يأخُذن من أدبِ نساءِ الأنصار، فصِحتُ على امرأتي، فراجعَتْني، فأنكرتُ أن تُراجعَني، فقالت: ولِمَ تُنكر أن أراجعَك، فوالله إنَّ أزواج النبيِّ ﷺ ليُراجِعْنه**)[4]. فقوله: (**كنا نَغْلِب النساء**)، يريد أن شدة المواطَأة على النساء مذموم؛ لأن النبي ﷺ سار بسيرة الأنصار فيهن، وترك سيرة قومِه قريشٍ[5].

---

(١) انظر: إميل (ص: ٢٤٢ ـ ٢٤٣).

(٢) [الأنبياء: ٣٧].

(٣) انظر: تفسير الطبري (٢٧١/١٦)، تفسير السعدي (٥٢٣/١).

(٤) متفق عليه؛ رواه البخاري (٢٤٦٨)، ومسلم (١٤٧٩).

(٥) انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (٥٩٦/٦)، التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٦٥٥/١٥).

إن الاتصالَ بين الأنثى والذكر، واستنادَها عليه، لا يعني أبدًا انصهارَها عن ذاتِها وكِيانِها، وخاصة كيانها الدِّيني؛ ولذا فقد قدَّمَت الشريعةُ دينَها على طاعة زوجها، فقال ﷺ: «**إذا صلَّت المرأةُ خمْسَها، وصامَت شهرَها، وحفظَت فرْجَها، وأطاعت زوجَها قيل لها: ادخُلي الجنةَ من أيِّ أبواب الجنة شئتِ**»[(١)]، فطاعة الزوج مؤخَّرة عن تلك الواجبات[(٢)].

ولم تزَل الشريعة تُشدِّد وتُثمِّن سلامة الأنثى، ومراعاة طبيعتها وفطرتها، والتنبيه على حسن التعامل معها، حتى في خطبة الوداع حينما قال النبي ﷺ: «**فاتقوا اللهَ في النساءِ؛ فإنَّكم أخذْتُموهنَّ بأمانِ اللهِ واستحلَلْتُم فروجَهنَّ بكلمةِ اللهِ**»[(٣)].

وفي الحديث تنبيهٌ على أهمية العِشرة الحسنة وتوصية الرجال بألَّا يتسلَّطوا على زوجاتهم لكونهنَّ يستندن عليهم، ومن ذلك ما حصل في العصور الأوروبية المظلِمة؛ فقد كان الزوج يستخدم الكثيرَ من العقوبات ضد المرأة المزعِجة، ومنها: لِجامُ التأنيب، وهو: قفصٌ حديدي للرأس تَبرز منه للداخل قطعةٌ تُوضَع تحت اللسان[(٤)]. فكم من ذكَرٍ في عصرنا هذا استخدم لجام التأنيب حقيقةً أو مجازًا، فأهان الأنثى، وضيَّع الأمانة، وخان الحفظ!

(١) رواه أحمد في المسند (١٦٦١)، وابن حبان في صحيحه (٤١٦٣).
(٢) انظر: التنوير شرح الجامع الصغير (١٢١/٢).
(٣) رواه مسلم في صحيحه (١٢١٨).
(٤) انظر: تحرير المرأة القصة الكاملة (ص: ٤).

۞ فقدُ السَّند الزوجي:

وقد يتساءل البعض إذا كانت الأنثى بطبيعتها الزوجيةِ تستند على الرجل، والرجل بطبيعته الزوجية يَستند على الأنثى؛ أهذا يَعني أنهما بفقدِ الزوجية: يفقدون الذكورة والأنوثة؟

نقول: إن كان القصد بالسُّؤال الحكمَ على الأفراد فالأنثى تحمل صفاتها الأنثويةَ ولو لم تتزوج، والذكرُ كذلك، رغم أن الله خلَق فيهما فِطرة الازدِواج ورغبةَ كلِّ صنف في الصنف الآخر، إلَّا أن ذلك رزقٌ يسوقه الله تعالى، فمن لم تتزوَّج لا يعني أنها فقَدَت أنوثتها! فإن كانت الزوجية سيماءً للأنوثة وعلامةً لها، إلا أن فَقْدها لا يعني فقدَ الأنوثة، فربما تفقد الأنثى الزوجَ ولكن الله يجبر فطرةَ زوجيَّتِها بأرزاق أخرى.

أما من حيث طبيعةُ الجنسِ البشري ككلٍّ، فلا يُمكن أن يكمل جنسُ الذكور بغير جنسِ الإناث، والعكسُ صحيح، وهكذا جرى خلقُ الكون كلِّه، ولا يقتصر هذا النظام على الإنسان، فقد قال سبحانه: ﴿وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ﴾[1]. فخلق لكلِّ خلقٍ مِن خلقه ثانيًا له مُخالِفًا في معناه، فكلٌّ واحد منهما زوجٌ للآخَر[2].

ومن أعظمِ صور الكمال الأنثويِّ الفردي ما ساقه الله تعالى في قصة مريمَ ابنة عمران؛ فمريمُ لم تقترن بزوج، لكنها كَمُلَت، فقال النبي ﷺ: «**كَمُل من الرجال كثيرٌ، ولم يَكمُل من النساء إلا آسيةُ امرأةُ فِرعون ومريمُ**

(١) [الذاريات: ٤٩].

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢١/٥٤٧).

بنتُ عِمران»[1].

وقد كانت مريمُ مصطفاةً؛ ولذا قال سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ﴾ فاصطفاها وأعطاها الخيرَ والكمال.

وعلىٰ هذا فإن الأنثىٰ تَحمل معها سيماءها الأنثويَّة ولو لم تتزوَّج، وإن كان الزواج يُضيف لها كمالًا، ويُشبع حاجتَها الفطرية، ويَدوم به استمرارُ البشرية.

هذا وقد تبيَّن معنا في سيماء «الأنثىٰ زوج»: أن الزوجية فِطرةٌ خَلْقية تفضَّل الله بها علىٰ الأنثىٰ والذكَر، وأودعَها الله تعالىٰ كلًّا منهما لحكمةٍ ارتضاها، ورحمةٍ أوْلاها، ليحصلَ التكامل، ويستقيمَ قاموس التناسُل، ويَدومَ الاتصال، وتستمرَّ الحياة.

(١) متفق عليه؛ رواه البخاري (٣٤١١)، ومسلم (٢٤٣١).

السِّيماء الثالثة

الأنثى سكَن

محاضن الود

إنَّ الفَلك وجميعَ ما تَحْويه أقطارُ الأرض، جعلها الله للذكَر والأنثى خَولًا ومتاعًا إلى حين، ثم جعل أقربَ وأطيبَ ما سُخِّر للذكر من روحه، وألطفَه عند نفسِه: الأنثى، فخُلِقَت منه لِيَسكن إليها، ثم جَعل بينهما مودةً ورحمة[1]، فكانت الأنثى أحقَّ به، وهو أولى بها.

والإنسان لا يسكن إلى شيء كسكونِه للأنثى، حتى إذا فقَدها، هام قلبُه واضطرب، وكأنَّ حاله تَمثَّل قولَ «ابن نُباتة»[2]:

مضَتْ أحبَّةُ قَلْبي حيثُ لا سكَنٌ ... يُسْلِي المحبَّ ولا أهْلٌ ولا دارُ

فلو طاف الذكَرُ البلدان؛ لا يستقرُّ قلبه حتى يرجع إلى أهله، فإذا رجع اطمأنَّ واستقر[3].

وفي هذا الركنِ تبرقُ الأسارير بسيماءِ مَحاضن الوُد، فتُبصر النفس كيف يكون احتضانُ سمحةِ الكفَّين، راجحةِ العقل: «أنثى السكَن».

(١) انظر: الرسائل للجاحظ (٢/١٤٦).

(٢) انظر: ديوان ابن نُباتة المصري (ص: ٢٤٣).

(٣) انظر: تفسير السمرقندي (٣/٨).

السكن والسكون الأنثوي

١

إن في السكن أنسًا للقلب، ومُنْيةً للنفس، وسَكينةً للروح، والساكن إذا أقبل على سكنه، لاحت عليه ديباجةُ الود، وأشرقت في مُحيَّاه صباحاتُ البِشْر.

ولقد خلق الله ﷻ الأنثى الأولى: أمَّنا حواء، لأبينا آدم عليه السلام من ضِلَعه؛ ليسكن إليها، ويأنَسَ بها، فكان هذا السكون الأول: سُنَّةً كونية بعد ذلك للذكر والأنثى، وآيةً من آيات الله المُعجِزة، وفي ذلك يقول الله ﷻ: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾[١]. ومعنى سكون الذكر للأنثى في الآيات: أنه يألَفُها، ويأنَسُ بها، ويأوي إليها، ويطمئنُّ إليها اطمئنانَ الشيء إلى جزئه وجنسه[٢].

وقد عبَّر التنزيل عن ميل الذكر إلى الأنثى بالسكون؛ لأن المرء إذا بلَغ سِنَّ الحياة الزوجية وجد في نفسه اضطرابًا خاصًّا، لا يسكن إلا إذا اقترن بأنثى من جنسه، فاتحَدا بذلك اتحادًا لا تكمل حياتُهما المنتِجة إلا به[٣].

---

(١) [الروم: ٢١].

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٠/٦١٧ ـ ١٨/٤٧٨)، تفسير ابن كثير (٣/٥٢٥ ـ ٦/٣٠٩)، تفسير البغوي (٢/٢٥٧).

(٣) انظر: تفسير المنار (٩/٤٣٢). تفسير المراغي (٩/١٣٩).

ثم كان من تمام نعمةِ الله ﷻ في فطرة السكَن: أنْ صبَغَها بصِبْغة المودة والرحمة، فقال ﷻ: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾. تلك المودة والرحمة التي فسَّرها العلماء بالحب والعطف. ثم كان السبيل إلىٰ الحب والعطف بين الذكر والأنثىٰ: بالمباشَرة والمجامَعة؛ فتكمل كينونة الحب بعد ذلك بثمرة استمرار النسل؛ ولذا نجد أن الجِماع من أسباب المودة، وهو من معانيها في القرآن، كما فسرها «ابنُ عباسٍ ﷺ» في آية السكَن فقال إنها: الجماع، ثم فسَّر الرحمة: بالولَد[1].

ونجد أن التفاسيرَ في معنىٰ المودَّة والرحمة تضافَرَت لبيان معنًىٰ سامٍ وهو: أن السكن ليس مِهنةً مجرَّدة، وإنما مَدارُه علىٰ تلك العواطف والرحَمات، والغريزةِ التي تَفيض بها الأنثىٰ علىٰ الذكر بعهدٍ لا يُذَم، وَوُدٍّ لا يُتَّهَم.

۞ مفهوم السكن:

وحينما نرجع إلىٰ مفهوم السكن نجد أن كلمة «سكن»: تدلُّ علىٰ الاستقرار والثبات[2]، وهو خلافُ الاضطراب والحركة[3]؛ ولذا سُمِّيت النار بذلك؛ لأن الناظر إليها يسكن[4]. ومنه تؤخذ السكينة: وهي الوقار

(١) انظر: تفسير القرطبي (١٤/١٧)، تفسير السمعاني (٤/٢٠٤).

(٢) انظر: مادة: (سكن)، الصحاح (٥/٢١٣٦).

(٣) انظر: مادة: (سكن)، مادة (سكن) مقاييس اللغة (٣/٨٨)، مادة (سكن) المحيط في اللغة (٢/٣١).

(٤) انظر: مادة: (سكن)، مادة (سكن) مقاييس اللغة (٣/٨٨)، مادة (سكن) تاج العروس (٣٥/٢٠٠).

والدَّعَة[1]، ولا شك أننا إذا سكَنَّا إلى الشيء أحسَسْنا بالسكينة.

وتُطلَق كلمة السكن أيضًا على الأهل[2]، وعلى المنزل فهو: المسكن[3]، وعلى الرحمة والبَركة[4]. وقد تكرَّر في معنى السكن ذِكرُ المسكنة والمسكين، ومَدار ذلك على الخضوع والتواضع[5].

فكأنَّ سيماءَ السكَن قِوامُها: السَّاكِن: وهو الذكَر الباحث عن الاستقرار، والمسكَن: الذي هو موضعُ السكينة، والمسكونُ إليه: وهي الأنثى التي تَقَرُّ في المسكن، وكيفيةُ السكون: وهي الخَفْض والتواضع، وأثر السُّكْنى: وهو الرحمة والوقار والدعَة.

وجميعُ المعاني السابقة تتناسب مع طبيعة سُكون الذكَر الفطري بقلبه وبدنه إلى محبوبته الأنثى: سيدةِ قلبه، وبيته، فيسكنُ إليها سكونَ الثبات والاستقرار الذي يتخلَّله شيءٌ من الخضوع والتواضع للمحبوبة، فتَفيض عليه هي الأخرى بالسكون الذي تملؤه الرحمة، وسكينة الوقار.

---

(١) انظر: مادة: (سكن)، الصحاح (٥/٢١٣٦). مادة (سكن) مقاييس اللغة (٣/٨٨)، مادة (سكن) المحيط في اللغة (٢/٣١).

(٢) انظر: مادة: (سكن)، مادة (سكن) مقاييس اللغة (٣/٨٨)، مادة (سكن) المحيط في اللغة (٢/٣١).

(٣) انظر: مادة: (سكن)، مادة (سكن) المحيط في اللغة (٢/٣١).

(٤) انظر: مادة (سكن) تاج العروس (٣٥/١٩٩). كقوله تعالى: ﴿إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ أي: رحمةٌ لهم كما ذكَر ابنُ عباس ﷺ، انظر: تفسير ابن عطية (٣/٧٨)، تفسير ابن كثير (٤/٢٠٧).

(٥) انظر: مادة (سكن) الصحاح (٥/٢١٣٦)، مادة (سكن) مجمع بحار الأنوار (٣/٩٣)، مادة (سكن) تاج العروس (٣٥/١٩٩).

وقد كان هذا المفهوم الفطريُّ حاضرًا في الحضارات، فكانوا يُلقِّبون الأنثى بألقابٍ تدل على سلطتها في السكن، وسكونِهم إليها، ومن ذلك ما كان في الحضارة المِصرية (٣١٥٠ ق.م) حيث كان الرجل يلقِّب الأنثى بلقب: «بنت بر»، و«ربة البيت»، و«سيدة البيت»[١]. وكانوا في الجاهلية كذلك يُلقبونها بلقَب: «ربة البيت»، كما يقول «مُرَّة بن مَحْكان التميميُّ»[٢]:

يـا ربَّـةَ البيـتِ قُـومي غيـرَ صـاغِرَةٍ ضُـمِّي إليـكِ رِحَـالَ القَـومِ والقُرُبَـا

ومن أقوال حكيمِ الفراعنة «بتاح حُتُب»: (أعِدَّ لنفسك بيتًا، واتخِذْ لنفسك زوجة؛ تكون بمثابة سيدةٍ لقلبك)[٣].

وهكذا جرَت عادة الرجال أن يسكنوا للأنثى، فتكونَ سيدةً للمسكن، وسيدةً لقلب الساكن.

۞ علة السكون:

وقد يتساءل البعضُ عن سبب سكونِ الذكَر للأنثى دون غيرِها، هل لكونها كِيانًا جميلًا، أم لشيء آخر؟

والمتأمِّل في القرآن يجد الجواب والبيان ظاهرًا؛ فإن علة سكون الذكر إلى الأنثى، لكونها خُلِقت من جنسه وجوهرِه؛ ولذا قال ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾[٤].

---

(١) انظر: المرأة العربية عبر التاريخ (ص: ١٥)، دور المرأة في المجتمع المصري (ص: ١٢٧ ـ ١٦٥).

(٢) انظر: أدب الكتاب للصولي (ص: ١١٧).

(٣) انظر: دور المرأة في المجتمع المصري (ص: ١٦٥).

(٤) [الأعراف: ١٨٩].

فدلَّت الآية على أن العلة ليست بحُسن الصورة، ولا التوافُق في الإرادة والطِّباع ـ وإن كانت هذه أيضًا من أسباب السكون والمحبة ـ[١]، إلا أن العلَّة تحديدًا في كون الأنثى مخلوقةً من الذكر؛ ولذا حصل بينهما من المناسَبة والموافقة ما يَقتضي سُكونَ أحدِهما إلى الآخر، وانقيادَ كلٍّ منهما إلى صاحبِه[٢]، مما يجعل السكون والمحبة أبلَغ[٣].

ولا غرابة في ذلك؛ فإن الجنس إلى الجنس أميَلُ، وبه آنَسُ، فالجنسيةُ علَّة للضمِّ، والاختلافُ سببٌ للتنافر[٤]، وقد عُلِم بالفطرة في أحوالِ تصرُّف الإنسان أن الشكلَ يستدعي شكلَه، والمِثل إلى مثلِه ساكن[٥]. وفي ذلك يقول «أبو الحسن محمدُ بن الموسوي»[٦]:

سَكَنْتِ القلبَ حينَ خُلِقتِ مِنهُ ... فأَنتِ مِنَ الحَشَا والنَّاظِرَيْنِ

أُحِبُّكِ أنَّ لوْنَكِ مِثلُ قَلْبي ... وإنْ أُلبِسْتِ لونًا غيْرَ لَوْنِي

ولذا نجد أنَّ هذا المفهومَ الفِطري بعد أن نشأ بين آدمَ وحواء، استصحبَه البشرُ في الأزمنة والحضارات، وربما بلَغ ببعضهم من شدةِ ارتباطهم بقيمة الأنثى وتأثيرها في السكَن؛ أنهم أشرَكوها بالله ﷻ، بجعلِها طاقةً وقوة كونية متمثِّلة في الآلهة «إنانا» كما في الحضارة السومرية (٤٠٠٠ ق.م.)، وبالآلهة

(١) انظر: الطب النبوي لابن القيم (ص: ٢٠٢).

(٢) انظر: تفسير السعدي (ص: ٣١١).

(٣) انظر: تفسير القاسمي (٥/٢٣٤).

(٤) انظر: تفسير ابن كَثير (٦/٣٠٩)، تفسير البيضاوي (٤/٢٠٤).

(٥) انظر: طوق الحمامة لابن حَزْم (ص: ٩٤).

(٦) انظر: نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة (٦/٢٣١).

«عشتار» كما في الحضارة البابلية (١٧٦٣ ق. م.)، بل إن بعضهم جعَلها مَنْشأَ الكون كما في العصر النيوليتي (٩٠٠٠ ق. م.)، فاختلط عليهم المفهومُ الحقيقي للأنثى، ومالوا عن الفطرة برَفعِهم إياها إلى التأليه والتقديس، تعالى اللهُ ﷻ عن مَزاعِمهم، وقد مرَّ هذا معنا في سيماء: «الأنثى إنسان».

۞ كيفية السكون:

إن السكَن بغير سُكون، كالسماءِ بغير شمسٍ وقمرٍ ونجوم، والسكون تَسكُن فيه الحركاتُ والنفوس؛ ولذا جعل الله الليلَ سكنًا؛ ليهدأَ فيه الناسُ من التصرف والحركة[١]، فقال سبحانه: ﴿وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا﴾[٢]. قال «السعديُّ ﷺ»: (فيسكن كلٌّ إلى داره ومأواه، فيأخُذ نصيبَه من الراحة)[٣].

والأنثى تَسكن كالليل؛ ليُسْكَن إليها، وسكونُ الأنثى قَرارُها في بيتها؛ لِيَرجع إليها الذكَر، ويَنشُدَ حاجتَه ونصيبه من الرعاية والراحة والأُنس، فيتمُّ سكَنه بسكونها الجسديِّ والروحي، وهذا لا يحصل إلا بقرارها، فالباحثُ عن السكن لا يسكن أبدًا لغير ساكن.

وقد عزَّزَت الشريعةُ السكونَ الأنثوي، فقال الله ﷻ للنساء: ﴿وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾[٤]. وحينما نتأمَّل معنى ﴿وَقَرۡنَ﴾ نجدُه يدور على معنيَيْن:

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٢٧/١٢).
(٢) [الأنعام: ٩٦].
(٣) تفسير السعدي (ص: ٢٦٦).
(٤) [الأحزاب: ٣٣].

القرارُ في البيت، والوقارُ والسكينة[1]. وتلك الخَصْلتان من الأمور التي يحصل بها تمامُ السكن.

والشريعة الإسلامية رغَّبَت الأنثىٰ في السكون، فقال النبيُّ ﷺ في المرأة: «**وأقرَبُ ما تكونُ من وجهِ ربِّها وهي في قَعْر بيتها**»[2]. فكان في قَرارها بالبيوت: قربةٌ من ربِّها وطاعة، وكان تخصيصُها بالفضل: تشريفًا وصيانةً لها، وبصيانتها صيانة ورعاية لغيرها[3].

وقد جعل الله تعالىٰ معنىٰ السكونِ الجسديِّ والقلبي من صفاتِ الحور العين في الجنَّة، فقال سبحانه: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِي ٱلْخِيَامِ﴾[4] أي: ساكناتٌ، قارَّات، مَسْتورات، مَصُونات في خيامِهن صيانةَ كرامةٍ؛ تهيَّأْن وأعدَدْن أنفسَهن[5]، ولا ينفي ذلك خُروجَهن في البساتين ورياض الجنة، كما جرَت العادة لبنات الملوك ونحوِهن[6].

وقد كان سكونُ الأنثىٰ وقَرارُها أمرًا فطريًّا تشعر به منذ صِغَرها، فقد

---

(١) انظر: تفسير السمعاني (٤/٢٧٩)، ووجه ذلك أنها تأتي علىٰ قراءتين: (وقَرْن) بفتح القاف، بمعنىٰ: واقْرُرن في بيوتِكن، وأما (وقِرْن) بكسر القاف، بمعنىٰ: كُنَّ أهلَ وقارٍ وسكينة؛ (من الوقار) قال ابنُ جرير: وهذه القراءة وهي الكسر في القاف أولىٰ عندنا بالصواب. انظر: تفسير الطبري (١٩/٩٦).

(٢) رواه ابن خزيمة في صحيحه (١٦٨٥)، وابن حبان في صحيحه (٥٥٩٩).

(٣) انظر: مجموع الفتاوىٰ (١٥/٣٧٩)، فيض القدير (٦/٢٦٦)، التنوير شرح الجامع الصغير (١٠/٤٧٤)، المفاتيح في شرح المصابيح (٤/٢٣).

(٤) [الرحمن: ٧٢].

(٥) انظر: تفسير ابن عطية (٥/٢٣٥)، تفسير القرطبي (١٧/١٨٩)، تفسير الرازي (٢٦/٤٠٢ ـ ٢٩/٣٧٥).

(٦) انظر: تفسير السعدي (ص: ٨٣٢).

لُوحِظ بالتجربة العمَلية حينما طُلب من بنات وأولاد أعمارهم، ما بين العاشرة إلىٰ الثانيةَ عشْرة سنة، صُنعُ بيوتٍ من قِطَع الألعاب: كان للإناثِ اهتمامٌ أكبرُ بإقامة وتحسين الأجزاء الداخلية للبيت، بينما الأولاد ركَّزوا علىٰ تحسين الأجزاء الخارجية[1].

ولا شك أن هذه الفطرة قد تواتَرَت في جميع الأزمنةِ والحضارات، فمن الدراسات التاريخية اللافتة حول هذا السياق، ما قام بها أحدُ الآثاريِّين في أمريكا، وهو عميد كلية بنسلفانيا «دان سنو» الذي نشر أواخر العامِ «٢٠١٣م»، دراسةً في ناشيونال جيوغرافيك أفادت بأن شكل طبعات الأصابع المتكررةِ علىٰ الجدران في الكهوف تُمثِّل أصابع نساء بنسبةٍ تَزيد علىٰ (٧٥ ٪)[2].

وفي الحضارة البابلية (١٧٦٣ ق. م.) كان البيت في العادة بمثابة المملكةِ للأنثىٰ التي قلَّما غادَرَته[3]. وأما الأنثىٰ اليونانية (٨٠٠ ق. م.) فمِن شدة سكونها وقَصْرِ طَرْفِها أنه كان يُخصَّص لها في البيت المحلُّ التي لا يكون مُطلًّا علىٰ الطرقات[4]. وأما الأنثىٰ في الحضارة الصينية (١٣٠٠ق.م) فلم تختلف عن مثيلاتها، فهي ساكنةٌ في كُوخها أو بالقرب منه، تصنع النسيجَ، وتُربي دود القز؛ لاستخراج خيوط الحرير، وكانت كِلتا الحِرفتَين من

(١) انظر: المرأة بين شريعة الإسلام والحضارة الغربية (ص: ٧٨ ـ ٧٩).

(٢) انظر: مكانة المرأة في بلاد الرافدين (ص: ٨).

(٣) انظر: المرأة في حضارات بلاد الشام القديمة (ص: ٧٦).

(٤) انظر: تطور المرأة عبر التاريخ (ص: ٣٢ ـ ٣٥). ربما يكون في هذا السكون مبالغة، إلا إذا كانت الغرفُ المطلَّة علىٰ الطرقات مكشوفةً غيرَ مستورة.

الصناعات الأساسية المهمَّة[١]، فهي مُنتجة عاملةٌ مع استِمْساكها بسكَنِها.

وربما كثُرَت التوصيات الغربية حول السكون الأنثوي، ومن ذلك قول عالم الاجتماع والفليسوف الفرنسي «أوغست كونت»: (يجب أن تكون الحياةُ النِّسوية منزليةً على قدر الإمكان)[٢].

وقد الْتصقَ معنى السكون الأنثوي بمسمَّى رَبَّات الخدُور عند إناث العرب، لكونهنَّ مقصوراتٍ في خدورهن، وكان هذا الوصف موضعَ مدح، ومن ذلك قول «جرير»[٣]:

كَأنَّ غَمَامًا في الخُدورِ التي غَدَتْ دَنَا ثُمَّ هَزَّتْهُ الصَّبَا فتَرَفَّعَا

فشَبَّه النساءَ في خدورِهنَّ بالغمامِ في بياضِه وصفاءِ لونه وحُسنه، هزَّتْه رياحُ الصَّبا فرفعَتْه إلى السماء.

وكانوا يرَون في إخراج الإناثِ من خُدورهن عيبًا على الرجال، وهضمًا لحقِّ الإناث، ومن ذلك قولُ «المُهَلهل» في قصيدته الطويلةِ التي رَثى بها أخاه «كليبًا»:

علَى أنْ لَيْسَ عدْلًا مِن كُلَيبٍ إذا خرَجَتْ مُخبَّأةُ الخُدُورِ

وتقول «هندُ بنتُ المهلب»: (ما رأيتُ لصالح النساء وشِرارهن خيرًا لهن من إلحافِهنَّ بإسكانِهن)[٤].

---

(١) انظر: قصة الحضارة (٤/٢٤٤).

(٢) انظر: خدمة المرأة زوجها (ص: ١٣٠).

(٣) انظر: شرح نقائض جرير والفرزدق (٣/٩٤٣).

(٤) انظر: تاريخ دمشق لابن عساكر (٧٠/١٩٣).

وبهذا نعلم أن تلك السِّيماءَ لا تنفكُّ عن الأنثى؛ فهي ساكنةٌ بقلبِها وبدَنِها، سكونًا يَستند الرجلُ على أكتافِه لِيَألَفَ ويطمئنَّ، ويأويَ ويَسكُن.

السكَن والحب الأنثوي

٢

بالحبِّ تتجدد الحياةُ ويَلين الجَناح، وبالحبِّ تستريح الطباع، وتنسجم الأخلاق، وبالحب يُعجَن السكون[١] بطينة الكرَم، فكلما كانت الأنثى أعمقَ حبًّا؛ لانَت عَريكةُ الدنيا، وسَهُل المنعطَف، وعظُمَ الوصل، وتجلَّت الرحمات.

وبهذا نعلم أنَّ السكن، لا يقتصر على سُكون البدن بالقرار، وإنَّما يتَجاوزه إلى سكونِ الروح واستعدادِها للحبِّ والأُنس، خاصةً وأن السكَن: كلُّ ما سكَنْتَ إليه من محبوب[٢]. فحقيقةُ السكن هو التحوُّل من ضجيجِ الحياة إلى سكينةِ الروح وصفاءِ الحب؛ فيَسكُن الذكر إلى حبيبتِه الأنثى، وتُفيضُ هي عليه من حبِّها.

وهذا السُّكون والازدواجُ والحبُّ مِن أعظم مقاصدِ الزواج الشرعي؛ ولذا كان من حِكْمة الشريعة تحريمُها ومنعُها للمناكِح الفاسدة، كتحريمِ نكاح المتعة، **فعن عليِّ بن أبي طالبٍ** رضي الله عنه، **أنَّ رسول الله** ﷺ: «**نهى عن مُتعةِ النِّساء يومَ خَيْبر**»[٣]؛ لأن الرجل يَشعر أنه بهذا النكاح إنما أراد أن ينال الشهوةَ فقط، والأنثى تشعر فيه بأنها مُستأجَرةٌ للمتعة فقط، ولا تشعر بسكنٍ ولا حب، ولا

(١) انظر: فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام (٤/٤٣١).

(٢) انظر: مادة: (سكن) مقاييس اللغة (٣/٨٨).

(٣) متفق عليه؛ رواه البخاري (٤٢١٦)، ومسلم (١٤٠٧).

مودَّةٍ ولا رحمة[1]، وقد ذكر «الشاطبي رحمه الله»: أنَّ للأحكامِ مَقاصِدَ؛ فالزواج مثلًا شُرِع للتناسُل على المقصَدِ الأول، ويليه طلبُ السكَن والازدواجِ ومقاصِدُ أخرى، وأنَّ في مُناقضة هذه المقاصد: مُضادَّةً لما أراده الشارع، ولذا كان في نكاحِ المتعة مُناقَضةٌ لمفهوم المواصَلة والسكن الذي شُرِع من أجله الزواج[2].

۞ ليس في الحب لوم:

وأولُ حُب كان في هذا العالم حبُّ آدمَ وحوَّاء، وصار ذلك سُنَّةً في ولدِه، متمثلةً في المحبة بين الزوجين[3] كسُنِّيَّة السكن؛ ولذا كان هذا النوع من الحب والعشق مندوبًا إليه ومرغوبًا فيه، بل هو من أعظم أنواع الحب؛ ولهذا ذكَر ﷻ أن الساحر ربما توصَّل بكيده إلى التفرقة بين المرء وزوجه[4]، فقال سبحانه: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾[5]، فلا لومَ على هذا الحب، ولا استنكار.

يقول «ابنُ القيم رحمه الله»: (وأما محبة النِّسوان فلا لومَ على المُحب فيها، بل هي مِن كماله، وقد امتنَّ الله سبحانه بها على عباده... فجعل المرأةَ سكنًا للرجل يسكن قلبُه إليها، وجعل بينهما خالِصَ الحب، وهو المودةُ المقترِنة بالرحمة)[6].

---

(١) انظر: فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام (٤/٤٩٩).

(٢) انظر: الموافقات (٣/١٣٩ ـ ١٤٠).

(٣) انظر: روضة المحبين ونزهة المشتاقين (ص: ١٦٩).

(٤) انظر: تفسير ابن كثير (٣/٥٢٥).

(٥) [البقرة: ١٠٢].

(٦) انظر: الداء والدواء (١/٥٥٢).

فـدَعِ المُحِـبَّ مِـن المَـلامِ فإنَّـهُ بِـئْسَ الـدَّواءُ لِمُوجَـعٍ مِقْـلاقِ[1]

وهذا النوعُ من الحبِّ والعشق بين الأنثىٰ وزوجها، هو: عشقُ قُربةٍ وطاعة، فهو نافعٌ لأنه أدعىٰ إلىٰ المقاصِد التي شرَع اللهُ لها الزواج، وأكَفُّ للبصرِ والقلبِ عن التطلُّع إلىٰ غيرِ أهله. ولهذا يُحمَد هذا العاشقُ عند الله وعند الناس[2]، بخلاف العشق الذي هو مقتٌ من الله، وبُعْد من رحمته، وأضرُّ شيء علىٰ العبد في دينه ودنياه؛ وهو العشق الشاذُّ الذي تعشق فيه الأنثىٰ الأنثىٰ، والذكرُ الذكرَ؛ ولذا قال «ابن القيم رحمه الله» في هذا النوع من العشق: (هو مِن أعظم الحُجُبِ القاطعة عن الله، كما قال بعضُ السلف: إذا سقط العبد من عين الله ابتلاه بمحبَّة المُرْدان[3]، وهذه المحبة هي التي جلَبت علىٰ قوم لوط ما جلبَت، فما أُتُوا إلا من هذا العشق، قال تعالىٰ: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[4])[5]. فالعشق يَحسُنُ بأهل العفَّة والوفاء، ويَقبحُ بغير ذلك.

ومِن أرَقِّ قصص العشق، ووفاء الحب ما كان بين «زينب رضي الله عنها» ابنةِ النبي ﷺ وزوجها «أبي العاص»، وفي هذه القصة يتأكَّد أن حبَّ الأنثىٰ العفيفَ للذكر لا لومَ فيه.

تقول «عائشة رضي الله عنها»: **(لمَّا بعَث أهلُ مكة في فِداء أُساراهم بعثَت زينبُ ابنة رسول الله ﷺ في فِداء أبي العاصِ بمال، وبعثَت فيه بقِلادةٍ كانت خديجةُ**

(١) انظر: التشبيهات لابن أبي عون (ص: ٦٠).
(٢) انظر: الداء والدواء (١/٥٦٥).
(٣) انظر: الداء والدواء (١/٥٥٢).
(٤) [الحجر: ٧٢].
(٥) انظر: الداء والدواء (١/٥٦٦).

أدخلَتْها بها على أبي العاص حين بَنى عليها، فلما رأى رسولُ الله ﷺ تلك القلادةَ رقَّ لها رِقةً شديدة، وقال:

«إن رأيتُم أن تُطلِقوا أسيرَها وتردُّوا عليها الذي لها فافعَلوا»، فقالوا: نعم يا رسول الله، فأطلَقوه، وردُّوا عليه الذي لها)[1].

وعندما أسَر المسلمون أبا العاصِ بعد ذلك في السَّرِية التي أرسلها النبيُّ ﷺ: «أقبَل أبو العاصِ من الليل في طلبِ ماله، حتى دخلَ على زينبَ ابنةِ رسول الله ﷺ، فاستجار بها فأجارَتْه». وعن عائشة ﵂ قالت: **«صرخت زينب ﵂: أيها الناس، إني قد أجرتُ أبا العاصِ بنَ الربيع، قال: فلما سلَّم رسولُ الله ﷺ من صلاته أقبلَ على الناس، فقال: «أيها الناس، هل سمعتُم ما سمعتُ؟» قالوا: نعم، قال: «أمَا والذي نفسُ محمدٍ بيده، ما علمتُ بشيء كان حتى سمعتُ منه ما سمعتم، إنه يُجير على المسلمين أدناهم»، ثم انصرف رسولُ الله ﷺ فدخل على ابنتِه زينب، فقال: «أيْ بُنيَّة، أكرِمي مثواه، ولا يَخلُصْ إليكِ؛ فإنكِ لا تَحِلِّين له»**[2].

فسبحان الله كيف راعى النبي ﷺ هذا الحب بعد أن استرقَّت قلبَه ابنتُه «زينب ﵂»، وأثارت أشجانه حينما أرسلت له قلادةَ الفقيدة «خديجة ﵂»، فكأنها تقول في قرارة نفسها: يا أبتِ قد أحببتَ أمي «خديجة ﵂» وأحبَّتْك، وأنا أُحب «أبا العاص» ويُحبني، فلا تلمني.

---

(١) رواه أبو داود في سننه (٢٦٩٢)، وأحمد في المسند (٢٦٣٦٢).

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٤٢٦/٢٢) (١٠٥٠)، والحاكم في المستدرك (٢٦٢/٣) (٥٠٣٨).

فقد حفظت «زينب ﵂» العهد، وأجارت زوجها بعد أن استجارها طريدًا، فلم يَهِمْ بوجهه إلَّا إلىٰ سكنه، ومحلِّ عطفه وحنانِه وأنسه، وقد أقرها النبي ﷺ علىٰ ذلك، وساعدها في فدائه، وأمرَها بإكرام مثواه.

وقد فاض التاريخ بقصص الحب، ومن ذلك ما كان في الحضارة الفرعونية (٣١٥٠ ق. م.) فقد كانوا يُقدِّسون الحب، ويُلقبون الزوجة بألقاب تدل علىٰ حب الرجل لزوجته: مثل: «حلوة المحبة»، أو «ذات الجاذبية»[١].

ومن أمثلة وُفور الودِّ والتآلف العجيب، والتواد بين الزوجين، ما قالته «صفيةُ الباهلية» في رثاء زوجها[٢]:

حَتَّىٰ إِذَا قِيلَ قَدْ عَمَّتْ فَرُوعُهُمَا ... وَطَالَ قِنْوَاهُمَا وَاسْتُنْضِرَ الثَّمَرُ

عِشْنَا جَمِيعًا كَغُصْنَيْ بَانَةٍ سَمَقَا ... حِينًا عَلَىٰ خَيْرِ مَا تَنْمِي لَهُ الشَّجَرُ

أَخْنَىٰ عَلَىٰ وَاحِدِي رَيْبُ الزَّمَانِ وَلا ... يُبْقِي الزَّمَانُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَلا يَذَرُ

فَاذْهَبْ حَمِيدًا عَلَىٰ مَا كَانَ مِنْ حَدَثٍ ... فَقَدْ ذَهَبْتَ وَأَنْتَ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ

وَمَا رَأَيْتُكَ فِي قَوْمٍ أُسَرُّ بِهِمْ ... إِلاَّ وَأَنْتَ الَّذِي فِي الْقَوْمِ تُشْتَهَرُ

كُنَّا كَأَنْجُمِ لَيْلٍ بَيْنَنَا قَمَرٌ ... يَجْلُو الدُّجَىٰ فَهَوَىٰ مِنْ بَيْنِنَا الْقَمَرُ

ومن أشهرِ خِطابات الحبِّ الزوجية في العهدِ العُثماني، تلك التي كانت بين السُّلطان «سُلَيمان القانوني» وزوجتِه السلطانة «خُرَّم»، فقد كانت «خُرَّم» تسعىٰ إلىٰ إسكانِ قلب زوجها السلطان، وترقيق قلبِه العسكري، بقصائدها

(١) انظر: دور المرأة في المجتمع المصري (ص: ١٢٧).

(٢) انظر: حماسة البحتري (ص: ٥٢٢).

الغزَلية اللطيفة، وتُهوِّن العالم الذي كان يعيش فيه، وتأخذه من صهيلِ الخيول ووَقْع السيوف وقرْع الطبول، إلىٰ عالَمٍ آخَر، هو عالم العشق والشعر، ومن ذلك قولُها[1]:

يا مَن يُداوي قلبيَ الحزين..

يا مرهمَ فُؤاديَ الجَريح..

إن عشقَك هو سلطانُ عرشِ قلبي..

وأمَّا في المجتمَعِ الأندلسيِّ فإنَّ مِن أبرز قصصِ الحب الغريبة التي نُقِلَت، ما ذكَره «ابن حزم رحمه الله»: أنه أدرك «بنت زكريَّا بنِ يحيىٰ التميمي»، وعمُّها كان قاضيَ الجماعة بقُرطبة، وأخوها الوزيرُ القائد، تُوفِّي زوجها وهما في أغضِّ عيشِهما وأنضرِ سرورهما، فبلغ من أسفها عليه أن باتت معه في دِثارٍ واحد ليلةَ مات، وجعَلَته آخِرَ العهد به وبوصلِه، ثم لم يُفارقها الأسفُ بعده إلىٰ حين موتها[2].

❁ برهان الحب الصادق:

وليس كلُّ من قالت: أُحبُّ، فقد أَحبَّت، فإن للحب الصادقِ برهانًا ودلالاتٍ.

ولعلَّنا نجد في علاقة الحبِّ بين النبي ﷺ وزوجته «عائشة رضي الله عنها» دروسًا لكل أنثىٰ وذكَر، ومَنارةً لكل قصص الحب بين الزوجين في الدنيا؛ فقد سُئل

(١) انظر: السلطانتان خرم ومهرماه (ص: ٤٣).

(٢) انظر: طوق الحمامة لابن حزم (ص: ١٨٨).

النبي ﷺ: **(أيُّ الناس أحبُّ إليك؟) فأعلَن حبه الصادق لسكنه، فقال: «عائشةُ»** رضي الله عنها[1].

وكان ﷺ يُدلِّلها ويُناديها: (يا عائش) ويتَلمَّس موضع فيها مِن الإناء، فيشرَبُ منه، وكانت تُحبه حبًّا عميقًا لامس شغافَ قلبها.

وسمَّتْه رضي الله عنها: (حبيبي) و(حِبِّي)، وكانت تُحب ما يُحبه، وتَكره ما يكرهه؛ مُراعاةً لقلبه ومحبةً لفعلِ ما يحبه[2]، حتى إنها لما سُئلت عن الخِضاب قالت: «**لا بأسَ به، ولكن أكرَهُه؛ كان حبيبي رسولُ الله ﷺ يَكرهُ ريحَه**»[3].

ومن الدروس التي تستفيدُها أنثى السكَن من حبِّ «عائشة رضي الله عنها»: الرِّفقُ عند الخلاف، فإن الخلافَ إذا غُلِّفَ بالرِّفق جعلَه مُعينًا على كمال الحب، فهذه «عائشة رضي الله عنها» تُجسِّد لنا هذا المعنى البديعَ، من خلال هذا المشهدِ الذي نقله «البخاريُّ رحمه الله» في صحيحه حيث قالت رضي الله عنها: «**قال لي رسولُ الله ﷺ: إني لَأعلَم إذا كنتِ عني راضيةً، وإذا كنتِ عليَّ غَضْبى، فقلت: مِن أين تعرف ذلك؟ فقال: أمَّا إذا كنتِ عني راضية، فإنكِ تقولين: لا وربِّ محمد، وإذا كنتِ عليَّ غَضْبى، قلتِ: لا وربِّ إبراهيم، قلتُ: أجَل والله يا رسولَ الله، ما أهجرُ إلا اسمَك**»[4]. ففي قولها «**ما أهجرُ إلا اسمَك**»: لطفٌ في الجواب

(١) متفق عليه؛ رواه البخاري (٣٦٦٢)، ومسلم (٢٣٨٤).

(٢) انظر: شرح سنن أبي داود لابن رسلان (١٦/٤٨٩).

(٣) رواه أبو داود في سننه (٤١٦٤)، والنسائي في سننه (٥٠٩٠)، وفي سنده كريمة بنت هُمام، وهي مجهولة، وضعفه الألباني.

(٤) متفق عليه؛ البخاري ٥٢٢٨، ومسلم (٢٤٣٩).

يُفسِّره «الطِّيبي رحمه الله» بقوله: (هذا الحصر من اللطف في الجواب؛ لأنها أخبرَت أنها إذا كانت في غايةٍ من الغضب الذي يسلب العاقلَ اختياره، لا يُغيرها عن كمال المحبة المستغرِقةِ ظاهرَها وباطنَها الممتزِجةِ بروحها، وإنما عبَّرَت عن التَّرك بالهِجْران؛ لتدلَّ بها على أنها تتألم من هذا التَّرك الذي لا اختيارَ لها فيه، فهو كما قيل:

إنِّـي لَأَمنَحُـك الصُّـدودَ وإنَّنـي قسَمًا إليكَ مَع الصُّدودِ لأَمْيَلُ[1][2]

فكان مُرادُها أنها كانت تترك التسمية اللفظيَّة ولا يترك قلبُها التعلقَ بذاته الكريمةِ مودةً ومحبَّة.

وفي اختيار عائشةَ ذِكر «إبراهيم عليه السلام» دونَ غيرِه من الأنبياء دلالةٌ على مزيدِ فِطنتها؛ لأن النبيَّ ﷺ أولى الناس به كما نصَّ على ذلك القرآن[3]، فلما لم يكن لها بُدٌّ من هجر الاسم الشريف أبدَلَته بمن هو منه بسبيل؛ حتى لا تَخرج عن دائرة التعلُّق في الجملة[4]، فدلَّ أن قلبها وحبَّها له كان مليئًا[5].

وفي ذلك تنبيهٌ للأنثى بأن الحبَّ الصحيح لا يسلب العقل، بل يَزْدان برجاحةِ عقل الأنثى وفِطْنتها ورفقِها.

وكانت رضي الله عنها تُدلِّل النبيَّ ﷺ فتُمشط له شعره، وتقول في ذلك: «**كان**

(١) انظر: الأمثال المولدة (ص: ٣٤٠).
(٢) انظر: شرح المشكاة للطيبي (٢٣٢٨/٧).
(٣) قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٨].
(٤) انظر: فتح الباري لابن حجر (٣٢٦/٩).
(٥) انظر: إكمال المُعْلِم بفوائد مسلِم (٤٤٦/٧).

النبيُّ ﷺ يُصغي إليَّ رأسَه وهو مُجاوِرٌ في المسجِد، فأُرجِّلُه وأنا حائض»[١]، وعند مسلمٍ: «**يُدْني إليَّ رأسَه**»[٢]، والترجيل أن يُبَل الشعر ثم يُمشَّط[٣]، فهي التي تلي هذا الأمرَ، وتعتني به، والأنثى مجبولةٌ على العنايةِ والاهتمام، وأولى مَن تعتني به هو زوجُها الذي تُحِب، وبهذا يتبيَّن أنَّ للحبِّ الصادق برهانًا يظهر على جوارحِ المُحب.

۞ الأُنْس ترجمان الحب:

إنَّ للأنثى قدرةً عجيبة على إدخالِ البهجة في قلب حبيبِها، بمعرفتها ما يَسُر ناظرَه منها، وما يُسعد خاطرَه وقلبه ومَسامعه، فتَبْرق الثَّنايا، ويهنأ الوصل.

والمرأةُ متى ما سكَنَت نفسُها واطمأنَّت، أَنِسَت وآنسَت من حولها، فهي المؤنِسة كما قال النبيُّ ﷺ في النساء: «**فإنهنَّ المُؤنِساتُ الغاليات**»[٤].

وقد قال ﷺ في وصفِ خير النساء للرجل أنها: «**التي تَسُرُّه إذا نظر، وتُطيعه إذا أمر، ولا تُخالفه في نفسِها ومالها بما يَكره**»[٥]، فتجعلُه مسرورًا إذا نظر إليها، ورأى منها البشاشةَ وحُسن الخلُق ولطف المعاشرة.

وإن اجتمعَت الصورةُ والسيرة فهي سرورٌ على سرور، ونورٌ على

(١) رواه البخاري (٢٠٢٨).
(٢) رواه مسلم (٢٩٧).
(٣) انظر: شرح الزرقاني على الموطأ (٢/٣٠٤).
(٤) رواه أحمد (٢٨/٦٠١) (١٧٣٧٣).
(٥) رواه النسائي في سننه (٣٢٣١)، والحاكم في المستدرك (٢٦٨٣).

نور[١]. وهذا السرور يَحصل بتحلِّي الأنثى بحُسن الخلق، وطيب اللسان، وهما نابعانِ من وُفور الودِّ في قلبها[٢].

وقد كان حِرصُ الأنثى على إسعادِ الزوج وطاعته بالمعروف متواترًا، حتى في السِّياق التاريخي، ففي الحضارة البابليَّة (١٧٦٣ ق. م.) رغم أنَّ الأنثى كانت تتمتع بالاستقلالية وتتبوَّأ مكانةً لا تقلُّ عن الرجل، إلا أن اهتمامَها بالزوج كان متداوَلًا في السِّياق التاريخي للحياة الاجتماعية ببابل، فقد كانت بشكلٍ عام حريصةً على توفير الراحة لزوجها وإدخالِ السرور على قلبه[٣].

وأما الأنثى العربية في الجاهلية فقد كانت أُنسًا لزوجها، فهو لا يملك أمرَ مادته ولا معناه إلا بها، فهي تعلم من أمر الحياةِ ما يعلم، وتُحسِن من رِياضة الكلام ما يُحسن، وتُجيد من الرأيِ وتصريفِ الأمر ما يُجيد، فهي عَديلُ نفسِه، وقِوامُ نظامِه، إنْ أعوَزَه السَّمرُ أطرَبَته، أو جدَّ به الأمر آزَرَته، أو الْتبَس عليه الرأيُ أوضحَته، أو ضاق به الصدرُ فرَّجَته[٤].

وقد درَجَت عادةُ العرب على تلقين بَناتِهن قبل الزواج نصيبَهنَّ من الصلاح والأخلاقِ والمحاسن؛ فهذا «قيسُ بن مسعودٍ الشَّيباني» يوصي ابنتَه: (يا بُنيَّة، كوني له أَمَةً يكُن لك عبدًا)[٥].

---

(١) انظر: مرقاة المفاتيح (٥/٢١٣٢).

(٢) انظر: حسن التنبُّه لما ورد في التشبُّه (٢/٤٨٠).

(٣) انظر: المرأة في جميع الأديان والعصور (ص: ٣٢).

(٤) انظر: المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها (١/٦٤).

(٥) انظر: أمثال العرب ت إحسان عباس (ص: ٧٣).

وقد كان إيناسُ الأنثىٰ للذكَر موضِعَ تناصُح بين العربيات، فهذه امرأةٌ نصَحَت ابنتها، فقالت: (كوني له وِطاءً، يكُنْ لك غِطاءً، وإياكِ والاكتئابَ إذا كان فَرِحًا، والفرحَ إذا كان كئيبًا، ولا يطَّلِعنَّ منك علىٰ قبيح، ولا يشَمَّن منكِ إلا الطِّيب)[1].

فالرجالُ يعقلون أن في القرب مِن نسائهم سببًا بل أعظَم أسبابِ الأُنس، وقد أرسلَ السلطانُ «سليمانُ القانوني» لزوجته «خُرَّم» لبيانِ موقعها من أُنْس قلبِه فكتب[2]:

يا مَن أشاركه حياتي، يا حبيبتي، يا قمري المضيء..

يا أنيستي يا مستودع أسراري، إنك سلطانة ملكات الجمال..

يا حياتي وعمري وحالي، وشراب كوثري وجنة عدني..

يا ربيعي، وبهجتي، ونهاري، ومصدر سعادتي، وفرحي..

وربما يَسكُن الرجلُ بحُبِّه حتىٰ لذِكْرىٰ زوجتِه المتوفَّاة، فينشط ويأنَسُ بذِكْراها، كالملكِ «عبدالعزيز بن سعود ﷺ» الذي كشَف عن سرٍّ من أسرار حبِّه لزوجته «الجوهرة ﷺ» فقال: (كلَّما كان العالمُ مظلِمًا من حولي لا أتبيَّن منه طريقًا للخروجِ من المخاطر التي تُحيط بي والمصاعبِ التي تُواجهُني، كنتُ أجلس وأكتبُ إليها قصيدةَ حب، وحين أنتهي منها أجدُ العالم قد أضاء أمامي فجأةً وينكشفُ أمامي ما يجب عليَّ فِعله)[3]. ويقول «محمد أسد»

(١) انظر: نثر الدر في المحاضرات (٦/٢٥١).

(٢) انظر: السلطانتان خرم ومهرماه (ص: ٧٠).

(٣) انظر: الطريق إلىٰ مكة (ص: ٢٤٩).

محاولًا لفَهم سرِّ هذا الحب بقوله: (لا بد أنها كانت غيرَ عادية، لا مجردَ سيدةٍ جميلة؛ فقد تزوج ابنُ سعود من جميلات كثيرات في إقباله الدائمِ على الزواج، إلا أنَّها قد وُهبت تلك الحِكمةَ النسائية الغريزيةَ النادرة التي تُمازج بين مُتع الروحِ ومتع البدن، في الغالب لم يَكُن ابنُ سعود يتركُ نفسَه للانغماسِ العميق في المشاعر العاطفية تُجاه النساء، ويُفسِّر ذلك سهولةَ زواجه وسهولة طلاقه لهنَّ، أما مع جوهرة فقد كان يبدو كأنه عثَر أخيرًا على الإشباعِ الكامل للروح والبدن، ولم يتكرَّر ذلك الإشباعُ من بعدها مع أيةِ امرأة أخرى)[1].

فسبحان الذي جعَل من ذِكْرى الأنثى سكنًا للرجل! فإنه كان ﷻ يسكن عند ذِكرها وإن كان قد غيَّب الثرى جسدَها ﷺ.

فحريٌّ بالأنثى أن تلزم باب الأُنس لِتَسعَد، ثم تُسعِد، ولْتَحذر من النكد فإنه خلقٌ رديء، وقد يجرُّها إلى كُفران العَشير؛ إذ يقول ﷺ في شر النساء: «**يَكْفُرنَ العشيرَ، ويَكفرنَ الإحسان، لو أحسَنْتَ إلى إحداهنَّ الدهرَ، ثم رأَتْ منك شيئًا، قالت: ما رأيتُ منكَ خيرًا قط**»[2]. والعشير: هو الزوج، فهذه الأنثى تَجحد إحسانَ زوجها[3]، فإنْ بسَط الكفَّ قبضَتْه، وإن وسَّع الصدرَ ضيَّقَته، وإن ليَّن القشرَ عسَّرَته، فهي عَسِرة الطبع، معقَّدة الفكر.

وكان العربُ يَكرهون النساءَ البذيئاتِ سيِّئاتِ الخلُق، ويُلقِّبونهن بلقب: «السعالي»[4].

---

(١) الطريق إلى مكة (ص: ٢٤٩).

(٢) متفق عليه؛ رواه البخاري (٢٩)، ومسلم (٩٠٧).

(٣) انظر: الباري لابن حجر (١/١٧٩)، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٣/٣٢٤).

(٤) انظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (٨/٢١٠).

وسُئِل أعرابيٌّ عالم بالنساء عن شِرارهن، فقال: (العَسْراء، السَّليطة الذَّفراء[1]، السريعةُ الوَثْبة، كأنَّ لسانها حَرْبة)[2].

وقد كان العرب يَنفرون من فاسدةِ الخلُق، فيقولون في أمثالهم: (لا تَنكحنَّ لئيمةَ المحاسِن)[3].

ومن الجدير بالذِّكر أن نعلم أن فاقدَ الشيء لا يُعطيه؛ ولذا فإن الأنثى إذا لم تَعرف كيف تُؤنِسُ نفسَها فكيف تُؤنس غيرَها؟!

فعلى الأنثى أن تَعرف كيف تَدْفع عن نفسها الوحشةَ والملَل بالعمل، فهي سعيدةٌ في بيتها ولو كانت وحدَها، وكذلك بمَن معها من زوجٍ وأسرة.

ومما ينبغي أن تَعقِلَه الأنثى، أن مفهوم الإيناسِ والصلاح والطاعةِ في الشريعة الإسلامية مختلفٌ؛ ولذا فإنَّ الشريعة فرَّقَت بين الطاعةِ وبين الاستعباد، فالمرأةُ تُطيع زوجها بالمعروف وتُسعِده بما لا يتعارضُ مع الشرع، ولا تُطيعه في معصية، بل لو تَعارض حقُّ زوجها مع حق الله تعالى فحق الله مقدَّم على حق زوجها، فالأنثى الصالحة في المفهوم الإسلاميِّ أنثى متوازِنة، مُدرِكة لأولوياتها، فلا يقتصر دورُها على توفير المتعة للرجل كما نُقِل لنا من بعض الحضارات كالأنثى في الحضارة الهندية (٢٣٠٠ ق. م) التي يَنبغي لها أن تَخدُم سيِّدَها كما لو كان إلهًا، ويقتصر دورُها في الحياة على توفير

(١) الذفراء: النبتة المنتنة، فكأنه شبه كلامها السليط بالنبات المنتن، انظر: مادة (ذفر) لسان العرب (٣٠٦/٤).

(٢) انظر: العقد الفريد (١٢١/٧).

(٣) انظر: التشكيل: (ص: ١٨١).

المتعة للرِّجال[1]؛ ولذا قال النبيُّ ﷺ: «**إذا صَلَّت المرأة خمسَها وصامت شهرَها وحفظت فرْجَها وأطاعت زوجَها دخلَت الجَنة**»[2]. فرغم أن النبيَّ ﷺ أضاف طاعةَ الزوج إلىٰ أبنيةِ الإسلام، واشترط طاعتَه لدخولها، إلا أنه ﷺ قدَّم طاعةَ الله في الحديث علىٰ طاعة الزوج[3].

(١) انظر: المرأة منذ العصر الحجري (ص: ١٨).

(٢) رواه أحمد في المسند (١٦٦١)، والطبراني في المعجم الأوسط (٨٨٠٥).

(٣) انظر: قوت القلوب في معاملة المحبوب (٢/٤١٦).

السكن والسند الأنثوي

٣

إن الأنثى شريكةُ الذكَر وسندُه، وكان مقتضى ذلك أن يتأقلَما، وأن ينصهِرا في بوتقةٍ واحدة، وأن يتَعاونا على الحياة ومَصاعبها[١]. ومن تأمَّل آياتِ السكن وجَد فيها عِظةً وتذكيرًا بنظام الناس العامِّ، وهو نظامُ الازدواج والاشتراك، وسيماءُ السندِ والاستناد، وكينونة العائلة وأساس التَّناسل، وهو نظامٌ عجيب جعله الله مرتكِزًا في الجبِلَّة[٢]. فالأنثى تكون للرجل سندًا رغم استنادِها عليه كما مرَّ في سيماء «الأنثى زوج»، فكان الاستناد في حقِّهما مشتركًا.

ويتمثَّل أصلُ مفهوم الاشتراك عند قوله ﷻ: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ﴾[٣]. فالرجل يُسْكِن الأنثى[٤]، ثم بعد ذلك يَسْكُن إليها بقلبِه وبدَنِه، رغم أنه هو الذي أسكنَها المنزل، كما في قولِه تعالى: ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾. فلم يَقُل سبحانه: (لِتَسكن إليه)، بل هو الذي يَسكُن إليها، لتكون مَلِكةَ قلبه، وسندَ روحه الذي يستند إليه.

وهذه قاعدةٌ مطَّردة أن يكون الرجلُ هو المسؤولَ في توفير المسكن؛ لتكون الأنثى هي سيدةَ البيت، وناظِمةَ الشمل.

---

(١) انظر: فتح المنعم شرح صحيح مسلم (٦/٤٤).

(٢) انظر: التحرير والتنوير (٢١/٧١).

(٣) [الطلاق: ٦].

(٤) انظر: تفسير الطبري (٢٣/٥٩)، تفسير ابن كثير (٨/١٥٢)، تفسير القرطبي (١٨/١٦٦).

وهذا أمرٌ متواتر عبرَ التاريخ؛ ففي الشِّعر السومري (٤٠٠٠ ق.م.) قال «ننليل» في الأنثى «سود» التي أراد الزواجَ منها: (هذه المرأة... هذه المرأة التي أتَت من مكانٍ آخرَ سوف تكون سيدةَ بيتي)[١]. وتقول «إنانا» السومرية وهي تُحاول إقناعَ أبيها بالموافقة على زواجها من رجل: (سوف يوسع لي بيتي.. أنا الملكة.. بيتي سوف يوسعه)[٢].

ولعلَّنا نجد فيما سبق أن أنثى السكن طُموحٌ للرجل لا يَحيد عنه، ولو لم ينعم الرجلُ بغير أنثى السكن إلا بكسرة خبز يأكلها، وفي ذلك يقول «المروذي»: (قال لي رجلٌ: كيف ذاك المتنعِّم؟ يعني أحمد ـ أي الإمام أحمد ـ، قلتُ له: وكيف هو متنعِّم؟ قال: أليس يجدُ خبزًا يأكل، وله امرأةٌ يسكن إليها، ويطَؤها، فذكرتُ ذلك لأبي عبد الله فقال: صدق)[٣].

۞ تأثير السند:

ولِسندِ الأنثى تأثيرٌ في حياة الرجل، وربما يُغيِّر سندُها من مسار تفكيرِه، وطبعِه.

ومن أصدقِ معاني استنادِ الرجل إلى أنثاه ما كان من «خديجةَ ﵂» مِن حكمةٍ ورعاية معنويَّة قدَّمَتها للنبي ﷺ حين تملَّكه الخوف مما رآه، فخفَّفت الأعباءَ عنه، وثبَّتَته على طريق الحق، فعن «عائشة ﵂» أنها قالت في حديث بَدءِ الوحي[٤]: **(فرجَع بها رسولُ الله ﷺ يَرجُف فؤادُه، فدخل على خديجةَ**

(١) انظر: ديوان الأساطير (ص: ٦١).
(٢) انظر: المرجع السابق.
(٣) انظر: جامع العلوم والحكم (٢/٤٧٣).
(٤) أخرجه البخاري (١/٧) (٢) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري=

بنتِ خُوَيلدٍ ﵂، فقال: «زَمِّلوني زمِّلوني» فزمَّلوه حتىٰ ذهبَ عنه الرَّوْع، فقال لخديجة ﵂ وأخبرَها الخبرَ: «لقد خشيتُ علىٰ نفسي» فقالت خديجةُ ﵂: كلا والله، ما يُخْزيك اللهُ أبدًا؛ إنك لتَصِل الرَّحِم، وتَحمل الكَلَّ، وتُكسِب المعدومَ، وتَقْري الضيف، وتُعين علىٰ نوائبِ الحق، فانطلقَت به خديجةُ حتىٰ أتت به ورقةَ بن نوفل)[1].

فكانت خديجةُ ﵂ مؤثِّرةً في تقوية قلبِ النبي ﷺ لتلقِّي ما أنزل الله عليه، فحينما قال لها: «**خشيتُ علىٰ نفسي**»؛ هوَّنَت عليه خشيته، بعد أن أصغَت إليه بمسامعها، فذاكرَتْه بما عرَفَته من أخلاقه الكريمة وطريقته الحسنة[2].

وسبحان الذي خلَق للأُنثىٰ قدرةً لُغوية فاقت بها الرجلَ منذ طُفولتها، حتىٰ إنكم لتَجِدون الأنثىٰ تَميل إلىٰ المُناغاة في صِغَرها أسرعَ من الذكَر، وسببُ ذلك عِلميًّا أن آلية اللُّغة والكلام والقواعد عند الأنثىٰ في النصفِ الأيسر في جزء المقدمة من الدماغ، بخلاف الذكَر؛ حيث إنها توجد في النصف الأيسر في جزء المقدمة والمؤخرة عند الرجل، وهذا يعني أن القدرة عند الأنثىٰ أكثرُ تحديدًا، وعند الرجال أكثر انتشارًا؛ ولذا تفوقَت عليه[3]، فكيف إذا مُزِجت تلك القدرة اللُّغوية بالعواطف والمناغاة الأنثوية؟! وهذا ما كان من «خديجة ﵂».

= الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، (ط: ١)، ١٤٢٢هـ.

(١) متفق عليه؛ رواه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠).

(٢) انظر: فتح الباري لابن حجر (١٢/٣٦٠)، الإصابة في تمييز الصحابة (٨/١٠٠).

(٣) انظر: جنس الدماغ (٦٧ ـ ٧١)، الموسوعة النفسية الجنسية (ص: ٦٩).

ولذا قال النبيُّ ﷺ: «**ما أبدلَني الله ﷻ خيرًا منها؛ قد آمنَت بي إذ كفرَ بيَ الناس، وصدَّقَتني إذ كذَّبَني الناس، وواسَتني بمالها إذ حرَمني الناس، ورزَقني الله ﷻ ولدَها إذ حرَمني أولادَ النساء**»[(١)]. ولم يتزوج النبيُّ ﷺ عليها حتىٰ ماتت، كما ثبت في مُسلم عن عائشة رضي الله عنها؛ لعظيم قدرِها عنده، ومزيدِ فضلها؛ لأنها أغنَتْه عن غيرها، واختصت به بقدر ما اشترك غيرُها فيه مرتَين؛ لأنه عاش بعدما تزوجَها ثمانيةً وثلاثين عامًا، انفردَت خديجةُ منها بخمسةٍ وعشرين وهي نحوُ ثُلثَي المجموع، ومع طول المدة صان قلبَها من الغيرة ونكدِ الضرائر[(٢)].

ومِن أدقِّ ما ذُكر عن سنَد خديجةَ رضي الله عنها ومدىٰ إمدادِها النبيَّ ﷺ بأصدقِ معاني السكن، ما ذكرته عائشة رضي الله عنها حينما قالت في حديث بدء الوحي: «**ثم يَرجِع إلىٰ خديجةَ فيتزوَّد لمِثلها**»[(٣)]؛ ففي تخصيص خديجة بالذِّكر إشارةٌ إلىٰ اختصاص التزوُّد بكونه مِن عندها دون غيرها[(٤)]، وفي قوله «قبل أن يَنْزِعَ إلىٰ أهله ثم يرجع إلىٰ خديجة»: بيانُ أن النبيَّ ﷺ كان يشتدُّ به الحنينُ ويشتاق إليها، فيرجع لها بعد عُزلته في الغار، ولا يغيب عنها طويلًا لاشتياقه لها[(٥)].

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢٤٨٦٤)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/٢٢٤) ح (١٥٢٨١): "إِسْنَادُهُ حَسَنٌ"، وقال الألباني في الضعيفة (٦٢٢٤): "ضعيف بهذا التمام"، وأصله في الصحيحين.

(٢) انظر: فيض القدير (٤/١٢٥).

(٣) متفق عليه؛ رواه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠).

(٤) انظر: عمدة القاري (١٩/٣٠٥).

(٥) انظر: منار القاري (١/٣٥).

وإذا تأمَّلنا التاريخ وجَدنا أن الأنثى لم تزَل سنداً وملجأً وأمانًا، فهي في الحضارة المصرية (٣١٥٠ ق.م) تقف إلى جانب زوجها في جِدِّ الحياة ولهوِها، وقد كان ذلك ظاهرًا حتى في المنحوتات الفِرعونية التي تقف فيها بجانب الرجل، سواءٌ كانت المنحوتات لأفراد الشعب أو الملوك، كل على السواء[١].

وأما الرجل العربيُّ فكان لا يجد غَضاضةً في استشارة زوجته أو سَماعِه رأيَها، وقد كان العربُ في الجاهلية يَصحَبون معهم النساءَ لدعمِهم في الحروب؛ لِيَشدُدن من عزائمِهم، ويُحرِّضنَهم على القتال، حاضَّاتٍ على الأخذ بالثأر والانتقام من الأعداء.

واستمرَّ هذا الإسنادُ عند العربيات حتى بعد الإسلام؛ ففي معركةِ اليرموك، نظَرَت النساء إلى خيلِ المسلمين راجعةً على أعقابها فنادَين: (يا بناتِ العرب، دونَكن والرجالَ رُدوهم من الهزيمة حتى يعودوا إلى الحرب، واحمِلْن أولادكن على أيديكنَّ واستقبِلْنَهم بالتحريض)، فكانت «خَوْلةُ بنتُ الأَزْوَر» تقول[٢]:

يَـا هَارِبًـا عَـنْ نِسْـوَةٍ تَقِيَّـاتْ فَعَـنْ قَلِيـلٍ مَـا تَـرَى سَـبِيَّاتْ

فرجع المنهزمون رَجعةً عظيمة عندما سمعوا تحريضَ النساء.

وقد ورد في المعركة ذاتها عن «هند بنت عُتبة» أنها لما رأَت عودة الرجال وقد انهزموا وفرُّوا: صاحت بهم: (إلى أين تنهزمون! أين تفرُّون من

(١) انظر: دور المرأة في المجتمع المصري (ص: ١٠).

(٢) انظر: البداية والنهاية (١٥/٧).

الله ومن جنته وهو مُطَّلِعٌ عليكم)! ونظرَت إلىٰ زوجها «أبي سُفيان» منهزمًا، فضربَت وجهَ حصانه بعمودها وقالت له: (إلىٰ أين يا ابنَ صخر؟! ارجع إلىٰ القتال وابذُل مُهجتَك حتىٰ تُمحِّص ما سلَف من تحريضِك علىٰ رسول الله ﷺ)، فقد كانت هندُ وكذا المسلِمات سندًا لأزواجهنَّ في المعارك، بل قد كان تأثير كلمتها متعديًا؛ حتىٰ قال «الزبير بن العوَّام»: (فلما سمعتُ كلام هند لأبي سفيان ذكرتُ يومَ أحُد ونحن بين يدَي رسولِ الله ﷺ، فعطف أبو سفيان عندما سمع كلام هند وعطف المسلمون معه، وحمَل المسلمون حملةً مُنكَرة لا يريدون غيرَ رضا الله)[1].

ومن جميلِ قصص التاريخ الإسلامية ما ذُكِر عن الأنثىٰ الصالحة «ربيعة خاتون بنت أيوب»، أختِ السُّلطان «صلاح الدِّين الأيوبي»، وهي أمُّ الملوكِ وأختُهم، وعمةُ أولادهم، وقد اجتمَع لها ما لم يجتمع لأحدٍ من المحارم، فكان لها نَيِّف وثلاثون مَحْرمًا من الملوك سِوىٰ أولادهم وأولاد أولادهم؛ جميعُهم يُقدِّرونها ويُجِلُّونها، فكانت لهم نِعم السكَنُ والمسكن، وقد لُقِّبت بستِّ الشام، وكانت من أكثر الناس تأثيرًا في مجتمعها وهي في قَعْر دارها، فأثرَت بقوة السكَن من الناحية العلمية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، مما جعل الرجالَ يستجيرون بها عند المحن.

ومن ذلك ما حصَل في فِتنة الحجاز أيامَ الحجِّ سنة (٦٠٨ هـ)، ففي يوم النحر بمِنًىٰ بعدما رمىٰ النَّاسُ الجمرة، وَثَبَ الإسماعيليةُ من العراق علىٰ رجلٍ شريف من بني عمِّ قتادةَ أميرِ مكة فظنُّوه إياه، وقتَلوه عند الجمرة،

(١) انظر: فتوح الشام (١/١٩٥)، المصباح المضي في كتاب النبي الأمي ورسله إلىٰ ملوك الأرض من عربي وعجمي (١/١٢٥).

فغضب قتادةُ وقال: (ما كان المقصودُ إلا أنا، والله لا أبقيتُ من حاجِّ العراق أحدًا).

وثار أيضًا عَبيد مكةَ والأشرافُ من أجل أميرهم، وصَعِدُوا على الجبَلَين بمِنًى، وهلَّلوا، وكبَّروا، وضربوا النَّاسَ بالحجارة، وقُتِل من الفريقين خلقٌ كثير.

فجاء «محمد بن ياقوت» أميرُ حجاج العراق، فدخل خيمة «ربيعة خاتون» مستجيرًا بها، ومعه خاتون أُمُّ جلال الدين، فبعثَت «ربيعة خاتون»: «ابنَ السَّلَّار» أميرَ حُجَّاج القدس إلى قتادة تقول:

(ما ذَنْبُ النَّاس؟! قد قتلتَ القاتلَ، وجعلتَ ذلك وسيلةً إلى نَهْبِ المسلمين! واستحللتَ الدِّماءَ في الشهر الحرام في الحرَم والمال! وقد عَرَفْتَ مَنْ نحن، ومَنْ أولادُ أخي، والله لئن لم تنتهِ لأفعلَنَّ ولأفعلن!)، فكفَّ عنهم.

وأقام النَّاس ثلاثةَ أيام حول خيمة ربيعة خاتون بين قتيلٍ وجريحٍ، ومسلوبٍ وجائع وعُرْيان، ولولا إجارتُها لهم لانتهى أمرُهم[1].

تلك هي أنثى السكن، تبقى سندًا وخيرَ مُعين للرجل في سِلمه وحَربه.

(١) انظر: مرآة الزمان في تواريخ الأعيان (٢٢/١٨٦ ـ ٣٩١)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان (٤/٨٤)، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب (٣/٢١٠).

السكن والصلاح الأنثوي

٤

إذا تسوَّرَت الأنثى سيماءَ الصلاح، وسَمَت آمالُها به إلى شريف المطالب؛ يسَّر الله لها رِواقَ العز، وحياة القلب؛ فإن الصلاح ضدُّ الفساد، وكان ذلك مأمولَ الأنبياء والمرسلين وأهلِ الإيمان، وحينما جعل الله ﷻ الأنثى سكنَ الرجلِ، ثم يسَّر الموافقةَ بينهما بالوُدِّ والرحمة؛ كان الاعتناءُ بصلاح الزوجة أهمَّ من الاعتناء بصلاح غيرها من الخُلطاء[١].

فبعد أن أمر الله الأنثى بالسكون في المسكَن، أرشدها إلى قِوام ما يَصلُح به السكن وهو: الصلاح الدِّيني أولًا، فقال ﷻ: ﴿وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾[٢] فإقامةُ الصلاة أصلُ الصِّلةِ لما بين الأنثى وبين الخالق؛ لأن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكَر، وأما الزكاة فهي أصلٌ في الإحسان إلى الخلائق[٣].

۞ صلاح الأنثى ممدوح:

إن مما يُظهِر قيمة الصلاح الأنثوي كونَه موضعًا للمَدح، والإشادةِ في الذِّكر؛ ولذا امتدح رسول الله ﷺ الصالحاتِ من نساء قريش لِتَميُّزهنَّ بتحقيق

(١) انظر: حسن التنبُّه لما ورد في التشبه (٢/٤٧٩).

(٢) [الأحزاب: ٣٣].

(٣) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٥/٣٤٥).

معنىٰ السكن وفَهمِهن لأدوارهن المترتبةِ علىٰ صفة السكن، فقال ﷺ: «**خيرُ نساءٍ رَكِبْن الإبلَ: صالحُ نساءِ قريش، أحناهُ علىٰ ولدٍ في صغره، أرعاه علىٰ زوجٍ في ذاتِ يده**»(١). فهن يُحسِنَّ تربية الأولاد والقيامَ عليهم، ويُراعين حقَّ الزوج في ماله، مع حسن تدبير النفقة، وصيانة البيت(٢).

ولا شكَّ أن الأنثىٰ الصالحة هي الرفيقة، التي تُسَر العينُ بالنظر إليها، وتحفظ السرَّ، وتحتضن الحاجات، وتُراعي الأولاد، وتُحامي الأموال(٣). وهذا هو الأصل في الأنثىٰ أن تكون راعيةً في بيتها قائمةً بشؤون الرعاية كما سيأتي في: «السكن والرعاية الأنثوية».

ومن علامات مدحِ الصلاح الأنثويِّ أنه جُعِل من علامات سعادة المرء في الدنيا؛ ولذا قال ﷺ: «**أربعٌ من السَّعادة: المرأةُ الصالحة، والمسكَنُ الواسع، والجارُ الصَّالح، والمركبُ الهنيءُ، وأربعٌ من الشَّقاوة: الجارُ السوء، والمرأة السوء، والمسكنُ الضيِّق، والمركَب السوء**»(٤). فالصلاح الأنثوي سعادة، وخيرُ متاعٍ للدنيا، والمرأة السوءُ شقاءٌ وتعاسة(٥)،

كما أن النبي ﷺ أشاد بذكر الصلاح الأنثوي؛ بجعله خيرَ المتاع فقال: «**الدُّنيا متاع، وخيرُ متاع الدنيا المرأةُ الصالحة**»(٦)، أي: الصالحةُ في دينها

(١) متفق عليه؛ رواه البخاري (٣٤٣٤)، ومسلم (٢٥٢٧).
(٢) انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٨٠/١٦).
(٣) انظر: تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة (٤٥٩/١).
(٤) رواه ابن حبان في صحيحه (٤٠٣٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (٩١٠٩)
(٥) انظر: فتح المنعم شرح صحيح مسلم (٣٤/٦).
(٦) رواه مسلم (١٤٦٧).

ونفسِها، والمُصْلِحة لحال زوجها[١]، فهي بذلك خيرُ متاع الرجل وما يستمتع به في دنياه. ورأسُ صلاح الأنثى: دينُها؛ لأن صاحبة الدين تجتنب السيئات، وتُحسِن أخلاقها، وتصبر على جفاءِ زوجها وقلةِ نفَقتِه، ولا تخونه في ماله، فيَطيب لذلك عيشُه[٢]. ولذا قال ﷺ: «**تُنكَح المرأةُ لأربعٍ: لمالِها ولحسَبِها وجمالِها ولدينها، فاظفَرْ بذات الدِّين، تَرِبَت يداك**»[٣]، فسمَّى الحصولَ على ذات الصلاح الديني «ظفرًا». والظفر لا يكون إلا عند كشفِ شدَّة، وإدراك مطلب سَنِيٍّ، ثم رغَّب ﷺ بهذا الظفَر بقوله: «تَرِبَت يداك»؛ ففيها من الحظ والإغراء والترغيب[٤] لهذا الصلاح.

ومما يُظهر قيمة الصلاح الأنثوي، أن الله ﷻ جعَله موضعًا للامتنان به على خلقه: فقد امتنَّ الله ﷻ على «زكريا عليه السلام» بصلاح زوجته، فقال ﷻ: ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾[٥][٦]. يقول «ابن عباس رضي الله عنهما»: (كانت سيئةَ الخلق، طويلةَ اللسان، فأصلَحها الله تعالى فجعلَها حسَنة الخلُق)[٧].

---

(١) انظر: ذخيرة العقبى في شرح المجتبى (٢٧/١١٦).

(٢) انظر: كشف المشكل (٤/١٢٩).

(٣) متفق عليه؛ رواه البخاري (٥٠٩٠)، ومسلم (١٤٦٦).

(٤) انظر: الإفصاح عن معاني الصِّحاح (٦/٢٧٦).

(٥) [الأنبياء: ٩٠].

(٦) انظر: حسن التنبه لما ورد في التشبه (٢/٤٧٩).

(٧) انظر: تفسير القرطبي (١١/٣٣٦)، تفسير البغوي (٣/٣١٥)، وأكثرُ المفسرين على كون المرادِ أنها جُعِلت وَلُودًا، إلا أنه لا تَنافيَ بين المعنيَين، يقول القرطبي: (ويحتمل أن تكون جمعت المعنيَين فجُعِلت حسَنةَ الخلق وَلودًا). انظر: تفسير القرطبي (١١/٣٣٦).

۞ الصلاح بَوْصَلةُ التأثير النافع:

وممَّا تتبيَّن به أهميةُ الصلاح الأنثوي، قدرةُ الأنثىٰ علىٰ التأثير وإمالةِ الرجل إليها، فإن كان الصلاحُ بَوصَلةً للتأثير؛ كان مَورِدًا لتعديد المآثر، وحُسن التدبير، وإن لم يكن كذلك، كان التأثير مَرْتعًا لتعديد المعايب، وسوء التدبير.

وكما أن الرجل يُطلَب منه الصلاح لتقويم التأثير في جانب سُلطة القوامة، فكذلك الأنثىٰ يُطلب منها الصلاح لكونها مؤثرةً في سلطة السكن، وقد قيل: (المرء علىٰ دينِ زوجته)؛ لما يَستلزِمُه الميلُ إليها من المتابعة، وما يستلزمُه الحبُّ لها من الموافَقة[1]، وهذا إن كان بغير صلاحٍ من الأنثىٰ، أدىٰ إلىٰ ما لا تُحمَد عُقباه، ومن ذلك قولُ «خالد بن يزيدَ بن معاوية» لزوجته[2]:

فـإنْ تُسْـلِمي نُسْـلِمْ وإن تتَنصَّـري يَخُـطُّ رجـالٌ بـينَ أعيُـنِهمْ صُـلْبَا

ولذا فإن صلاح الأنثىٰ يُحمَد وقعُه في النفوس، ويُبصَرُ أثره في مواقع الرُّشد، ومن المآثرِ الحسَنةِ في الصلاح الأنثوي:

ما كان من «أم سُليم بنتِ مِلْحانَ الأنصاريَّة»: **(فقد خطبَها «أبو طلحة» وهو مُشرِك فأبَت، وقالت له يومًا فيما تقول: أرأيتَ حجرًا تعبده لا يضرُّك ولا ينفعك، أو خشبةً تأتي بها النجَّارَ فيَنجُرها لك، هل يضرُّك؟ هل ينفعك؟ فوقَع في قلبه الذي قالت، فأتاها فقال: لقد وقع في قلبي الذي قُلتِ. وآمَن.**

(١) انظر: أدب الدنيا والدين (ص: ١٥٤).

(٢) انظر: حسن التنبه لما ورد في التشبه (٢/٤٧٩).

قالت: فإني أتزوجُكَ ولا آخذُ منك صَداقًا غيره)[1]؛ ولذا كان صلاحها الديني مؤثرًا ومُعينًا على إسلام «أبي طلحة».

وليس هذا التأثيرُ على عمومه؛ فليس كلُّ رجلٍ أمرُه على دين زوجته، وليست كلُّ أنثى مُميلةً للرجل.

وقد درَج في الأمثال وكلامِ الناس ما يدلُّ على قيمة صلاح الأنثى الديني والدنيوي؛ ومن ذلك قولُهم إنها: (أعونُ الأعوان على المعيشة[2]، وإحدى الحُسنيَين[3])، فالأنثى إذا كانت صالحةَ العقل والنفسِ والدِّين؛ كانت مُعينةً على المعيشة، وقال بعض العرب: (خيرُ النساء الهيِّنة اللينة، النقية التقية التي تُعين زوجها على الدهر، ولا تُعين الدهرَ على زوجها).

وفي هذا المعنى تذكيرٌ بتأثير «ابنة شُعيب» الصالحة، حينما كانت خيرَ مُعين على صلاح معيشة أبيها، فقد أحدثَت بنصيحتها تغييراتٍ إيجابيةً عِدَّة في البيت: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾[4]. فقولها: "يا أبت استأجره" دليلٌ على أن أباها لم يَسبِق منه عزمٌ على استئجار موسى عليه السلام[5]، وأن فِعله كان بمشورةٍ منها، فكانت مشورتها سببًا للخير، وقولها ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ كلام حكيم جامع لا يُزاد عليه؛ لأنه إذا اجتمعت هاتان الخصلتان، الكفاية والأمانة في القائم

(١) رواه النسائي في السنن الكبرى (٥٣٧٤)، ورواه في السنن الصغرى (٣٣٤١) مختصرًا.
(٢) انظر: اللطائف والظرائف (ص: ١٦٤).
(٣) انظر: المرجع السابق.
(٤) [القصص: ٢٦].
(٥) انظر: التحرير والتنوير (٢٠/١٠٤).

بأمرك فقد فرَغ بالك وتم مُرادك[١]. وفي ذلك دلالةٌ على صلاح ابنة شعيب ورجاحةِ عقلها، حين استطاعت أن تتعرَّف على شخصية «موسى عليه السلام» من خلال موقفٍ عابر معه عند ماءِ مَدْين.

ولذا صدَق «مَسْلَمةُ بن عبد الله» حين قال: (المرأة الصالحة خيرٌ للمرء من عينَيه ويدَيه)[٢].

۞ التأثير الأنثوي المُشوَّه:

فليَتأمَّل المتأمل كيف يكون الصلاحُ عند الأنثى مُقومًا للتأثير الأنثوي، وخيرَ متاعِ الدنيا، وخير مَعين للدِّين، ومحورًا للسعادة، ثم انظر فيما يأتي كيف يكون فساد الأنثى مشوِّهًا للتأثير الأنثوي، مُميلًا للأخلاق بسوء الطِّباع وإهمال الرعاية[٣]، فينقلب اليُمن إلى الشؤم، والسعادة إلى التعاسة.

وقد قال النبي ﷺ: «**إنما الشُّؤم في ثلاثة: في الفرَس، والمرأةِ، والدار**»[٤]. والشؤم ضد اليُمن والبرَكة، وهما سِمَتان لما يُصيب الإنسانَ من خير وشر، أو نفعٍ وضر[٥]، بمشيئة الله سبحانه، وأهمُّ الأشياء في حياة الإنسان ثلاثة:

منها الدار التي يَسكنها ويأوي إليها ويستتر بها، فكيف يكون المرءُ بلا دارٍ تُؤْويه؟!

---

(١) انظر: تفسير الزمخشري (٣/٤٠٣).

(٢) انظر: اللطائف والظرائف (ص: ١٦٣).

(٣) انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم (٧/١٥١)، شرح النووي على مسلم (١٤/٢٢١).

(٤) متفق عليه؛ رواه البخاري (٢٨٥٨)، ومسلم (٢٢٢٥).

(٥) انظر: أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري) (٢/١٣٧٩).

ومنها وسيلةُ النقل التي يُدبر بها أمورَه ومعاشه كالفرَس في زمن النبي ﷺ، ألا ترىٰ الرجلَ ينكسر ظهرُه وربما تنزل دمعته، إذا فقَد سيارته أو دراجتُه التي يقضي بها معاشه.

ثم الأنثىٰ التي هي: رأس الدار، وموضعُ السكن والنسل، وقد تبيَّن معنا كيف يكون الرجلُ في الدنيا بلا أنثىٰ يسكن إليها.

فتلك الأشياءُ الثلاثة تكون سببًا للبرَكة وتكونُ سببًا للشؤم، كغيرِها من الأشياء، إلا أن تأثير هذه الثلاثة أقوىٰ لعِظَم قيمتها، وكلُّ شيء إذا زادَت قيمته؛ بانَ أثرُه علىٰ مَن حوله، فإن كان نافعًا كان سببًا لانتفاعِ مَن حوله، وإن كان ضارًّا كان سببًا لتضرُّر مَن حوله، بخلاف الشيء الذي لا قدر له ولا قيمة؛ فإن تأثيره النافع والضارَّ يكون أخف.

يقول «ابن القيم رحمه الله»: (النافعُ هو: المبارَك، وأنفعُ الأشياء أبرَكُها، والمبارك مِن الناس أينما كان هو الذي يُنتفَع به حيث حل)[1]. وللرجل أيضًا بركةٌ وشُؤم، وقد يكون سببًا في النفع والضر، إلا أن تأثيره لا يُقارَن بتأثير الأنثىٰ ونفوذها، ولذا فذِكْرُها في الحديث يدلُّ علىٰ قوة النفوذ والتأثير.

ومما يدلُّ علىٰ قوة تأثير الأنثىٰ، قولُ النبي ﷺ: «**ما تَرَكْتُ بعدي فِتنةً أَضَرَّ مِن فِتنةِ النِّساءِ للرِّجالِ**»[2]. فإن أكثر ما يُفتتَن به: الأنثىٰ؛ لسطوتِها علىٰ قلب الرجل، وشدة تأثيرها عليه، فإن الطِّباع تميل إليها أكثرَ مما تميلُ إلىٰ غيرها، فالرجل قد يقعُ في الحرام بتأثيرها، وربما يقع بين الرجال مُقاتَلةٌ

(١) الطب النبوي (١١٧).

(٢) متفق عليه؛ رواه البخاري (٥٠٩٦)، ومسلم (٢٧٤٠).

بسبب الأنثى؛ إما رغبةً بالظفر بها، أو نُصرةً لها، أو غير ذلك[1].

والفتنة ليست في الأنثى وحَسْب، بل في كل شيء خلقه الله تعالى فتنة، ولذا قال سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾[2]، فكلُّ شيء في الدنيا قد يكون موضعَ افتتانٍ للإنسان؛ ولذا فإن مِن أنفع الدعاء: الدعاءَ بثبات القلب، فالرجلُ قد يكون فتنةً، والأنثى كذلك، والأولاد، والمال أيضًا، قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾[3].

وحتى العبادة قد تكونُ للإنسان فتنةً إذا لم تكن خالصةً لله، وكذا القرآن إذا لم يُرَدْ به وجهُ الله كان لصاحبه فتنة.

وفتنة الأنثى أشدُّ على الرجل من كلِّ فتنة، حتى مِن فتنة الولد؛ لأنَّ من الرجال مَن يُحب الولدَ لأجل المرأة، وكذا يحبون الولد الذي أمُّه في عصمته ويُرجحونه على الولد الذي فارقَ أمَّه بطلاقٍ أو وفاة غالبًا، وهذا مُشاهَد في الواقع[4].

فتأمَّل كيف جعل مِن المرأة سببًا لنشر اليُمن والبركات، أو الشؤم والحسرات في الحياة الأسرية والمجتمَع، لذا كان صلاحُها مِن أهم المهمَّات.

يقول الكاتب الفَرَنسي «إميلا زولا»: (إن المرأة إمَّا خَلاصٌ أو هَلاك للعائلة؛ لأنها تَحمل في ثنايا ثوبِها مصيرَ كلِّ فرد من أفرادها)[5].

(١) انظر: المفاتيح في شرح المصابيح (٤/١٠).
(٢) [الفرقان: ٢٠].
(٣) [التغابن: ١٥].
(٤) انظر: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٨/٢٥)، مصابيح الجامع (٩/١٨).
(٥) انظر: خدمة المرأة زوجها (ص: ١٣٠).

فالأنثى بصلاحها بسكنها تبعث الطُّمَأنينة في نفس مَن يُعاشرها، فلا تجلب الهمَّ أو الحَيرة أو الشك، فهي كما قيل[1]:

ليسَــتْ بآفِكــةٍ يظَــلُّ عَشِــيرُها مِنْهــا وجــارُ الحَــيِّ فــي بَلْبــالِ

(١) انظر: المرأة في الشعر الأموي (ص: ٢٧٧).

السكن والرعاية الأنثوية

٥

إذا كانت سُلطة السكَن في حقِّ الأنثى تشريفًا، فإنها أيضًا في حقِّها تكليف، تُشمِّر له عزمَها، وتُجهِّز له حزمَها، فهي تُراعي متطلبات سكنها، وتَبنيه ولا تهدمه، كما قيل عند العرب: (المرأة العاقلة تَبني بيتها، والسفيهةُ تَهدمه)[١].

ولذا كانت الأنثى في الإسلام راعيةً، فقد قال النبيُّ ﷺ: «**والمرأةُ راعيةٌ في بيت زوجِها ومسؤولةٌ عن رعيَّتها**»[٢]. والراعي: هو الحافظُ المؤتمَن، الملتزمُ صلاحَ ما قام عليه، وما هو تحت نظَرِه، ففيه أنَّ كل مَن كان تحت نظرِه: فهو مُطالَبٌ بالعدل فيه والقيامِ بمصالحه في دينِه ودنياه ومتعلَّقاته[٣].

وأما الأنثى الراعية: فهي التي تُحسِن تدبير المعيشة، والنصح للزوج، والشفقة والأمانة وحِفْظ النفس والمال والأبناء[٤].

وقد قامت الأمُّ على مرِّ العصور بدورٍ حاسم في الرعاية، فعلى ضوء الأدلَّة المادية والمكتشَفات الأثرية التي وفَّرَتها لنا مواقعُ بلاد الشام، أثبتَت

(١) انظر: طبائع النساء وما جاء فيها من عجائب وأخبار وأسرار (ص: ٢٦).

(٢) متفق عليه؛ رواه البخاري (٨٩٣)، ومسلم (١٨٢٩).

(٣) انظر: شرح النووي على مسلم (٢١٣/١٢)، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري (١٧/٦).

(٤) انظر: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (١٦٨/٢)، تحفة الأحوذي (٢٩٥/٥).

أن الأنثى بعد أن أسهمَت مع الأبِ في بناء الكوخ الأول، وسهرَت على النار الأولى، قد شقَّت طريقها إلى أكبر كشفٍ اقتصادي غيَّر مجرى التاريخ، فكانت المسؤولةَ عن اكتشاف الزراعة منذ عشَرةِ آلاف سنة قبل الميلاد، فهي تُراقب بُذورَ النباتات ونُموَّها عندما كانت تقضي جُلَّ وقتِها في الكهف مع الأطفال، فعرَفَت ما يُمكن لتُربة الأرض أن تُخرِجه من طيِّبات، لِتُطعم أطفالها والأسرة، واكتشفت ما تهَبُه النارُ من نكهةٍ في الطعام، وقد بحثَت في الحشائش والنباتات البرِّية عن الدواء، وغزَلَت وحاكت ولا تزال، وهي إلى يومنا هذا تسهر على نارِ البيت، وتزرع وتُزخرِف وتَحيكُ وتُداوي[1].

ولو تأملنا، لوجَدْنا ارتباطَ تلك الاكتشافاتِ والمهارات التي أبدعَت بها الأنثى، بمسؤوليَّتها كراعيةٍ لبيتها، فهي لم تفعل ذلك إلا لهمِّها ببيتِها وأبنائها.

وفي الحضارة الفِرعَونية (٣١٥٠ ق. م) كانت الأنثى تَقوم بإعدادِ الطَّعام للأسرة، وتُرسِل الصِّغار إلى الماشية لترعى، أو إلى المدرسة ليتعلَّموا وتخرج إلى النَّهر لتملأ جَرَّتها، وتغسل الملابس، وهي التي تُعِد الخبزَ والطعام، وتنتهزُ أوقات الفراغ لِتَغزِل فيها وتَنسج وتَحيك الملابس، أو ترتقها لزوجها وأولادها، وتذهب إلى الأسواق لِتبيع أعمالَها وإنتاجاتها[2].

وأما الأنثى البابلية (١٧٦٣ ق. م) فكانت تهتمُّ بتربية الأطفال وغسل الملابس والطبخ وإعدادِ الطعام، وكذلك الغَزْل والحياكة، وكذا كان ثَمة

(١) انظر: المرأة في حضارات بلاد الشام القديمة (ص: ٨).

(٢) انظر: دور المرأة في الحضارات القديمة وأدوات الزينة (ص: ٢٠).

أغنامٌ أو ماعز ودواجنُ في البيت، فكانت تقوم بالعناية بها، وكانت مادة الأكل الرئيسية هي الخبزَ الذي كانت النساء تُعِده، وكان غزلُ الصوف من واجب النساء في البيوت، وكانت أيضًا تُمارس بعض الأعمال خارج البيت، فتُساعد الرجل في الأعمال الزراعية؛ لا سيما في مواسم الحصاد والبذور[١].

وفي العصور الأوروبية، في إنجلترا تحديدًا (١٧١٥م) كان البيت الريفيُّ مركزًا للصناعة والزراعة على السواء، والأنثى في البيت هي الخبير المتفنِّن بفنون كثيرة[٢].

وأما الأنثى العربية في الجاهلية فهي بين مُساعدة زوجها في أعمال الزراعة إذا كانت الأسرةُ تعيش في مناطقَ زراعية، وبين الأعمال المنزلية كالطهي وإعداد الطعام وحَلْب الأغنام وغَزْل الصوف ونسجِه، وتحترف أحيانًا بعضَ الأعمال الحرَّة كالتجارة والأعمالِ الوظيفية كالرَّضاع، والنسيج، وتقويم الرماح، ودبغ الجلود وغيرها[٣].

وقد سُئِل أعرابيٌّ في النِّساء وكان ذا تَجرِبةٍ وعلمٍ بهن فقال: (وإذا صنَعَت شيئًا جوَّدَت)[٤].

(١) انظر: المرأة في حضارات بلاد الشام القديمة (ص: ٧٦).
(٢) انظر: قصة الحضارة (٦٦/٣٥).
(٣) انظر: تاريخ العرب قبل الإسلام (ص: ١٧٦).
(٤) انظر: طبائع النساء وما جاء فيها من عجائب وأخبار وأسرار (ص: ٥٦).

۞ الخدمة البيتية:

وقد يتساءل البعضُ عن هذا النوع من الأعمال التي تُمارسها الأنثى في البيت، كما مرَّ معنا في الأمثلة التاريخية، هل هو واجبٌ في حق الأنثى، فتطبخ الطعامَ بنفسها، وتكنس البيتَ بيدَيها؟

إن الأصل في الأنثى خِدمةُ زوجها بما دلَّ عليه العُرف[1]، يقولُ «ابنُ باز ﷺ»: (الأصل أن المرأة تَخدم زوجَها بالمعروف، إلا إذا كانت المرأة من بيئة قد عُرِفوا بأنهم يُخْدَمون، في أي قُطر، أو في أي زمان، فالناس لهم عُرفُهم؛ لأن الله يقول: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[2]، فإذا كانت المرأة من بيئة تُخْدم، ولم يكن من عادتهم أنهم يَخدمون البيت فإن الزوج يأتي لها بخادمة، إن لم تَسمح بأن تخدم بيتَه، أما إن سمحَت، فالحمد لله، وأما الأصل: فالأصل أنها تخدم زوجها)[3].

وكونُ الأنثى مخدومةً لا تُباشر الخدمةَ بنفسها، لا يعني أن تُسلَب منها أنوثتُها من جهةِ كونها سكنًا؛ فالمرأة راعيةٌ في بيت زوجها؛ إما إشرافًا أو مُباشَرة.

خاصَّة وأن الأنثى لا تقتصر رعايتُها على الأعمال المنزلية فحسب، بل لها دورٌ كبير كما تقدَّم في تدبير معيشة البيت، وحفظِ الأموال، ومباشرة

(١) وقد ذهب إلى هذا الحنفية والمالكية، واختاره شيخُ الإسلام وابن القيم وابن باز وابن عثيمين: البحر الرائق (١٩٩/٤)، شرح الزرقاني (٤٤٢/٤)، مجموع الفتاوى (٩٠/٣٤)، زاد المعاد (١٧١/٥)، فتاوى نور على الدّرب (١١٢/٢١)، فتاوى نور على الدرب للعثيمين (٢/١٩، بترقيم الشاملة آليًّا).

(٢) [النساء: ١٩].

(٣) فتاوى نور على الدرب (١١٢/٢١).

الزوج، وتربية الأبناء، والإشراف والتوجيه على كلِّ مَن هو تحتَ نظَرِها في البيت.

يقولُ «ابن خُوَيز منداد ﷺ» في المرأة المخدومة: (خِدمتُها الأمرُ والنهي في مصالح المنزل)[1].

وهذا يعني أن الأنثى وإن كانت لا تُباشر الخدمةَ بنفسِها إلا أن في التوجيه والإشراف والأمر والنهي منها خدمةً ورعاية، وإنما الإهمالُ على مَن ترَكَت ذلك وانشغلَت بنفسها، ففَسَدَت وأفسدَت وضيَّعَت، فهي كمن أخذَ غنمَه للرعي، فتركَها ترعى ثم أهملَها ونام عنها، فأكلها الذِّئب، فضاع وضيَّع.

وينبغي أن تعلم الأنثى أن الفراغ مَدْعاةٌ للمَلل، والملَلُ سبيلُ الفساد؛ ولذا فهناك مِن الأعمال ما تشترك فيه المدلَّلةُ المخدومة وغيرُها، ومنه ما كان لِقضاءِ الواجب، ومنه ما كان لدفعِ الملل[2]، فلا ينبغي أن تجلس الأنثى بدونِ ما ينفعها وينفع سكنَها، ولتكن أنثى السكن الفاعلةَ والمؤثِّرة، وفي أمثال الجاهلية يقولون: (إياك ونِكاحَ الحمقاء)[3]. وكان العرب يُسمون المرأةَ الحمقاء وهي التي لا تُحسِن العمل[4]: بالورهاء[5]، ويقولون: (إياكم

(١) عقد الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة (٢/٥٩٧).
(٢) انظر: المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها (١/٨٤).
(٣) انظر: التشكيل: (ص: ١٨١).
(٤) انظر: كتاب الألفاظ لابن السكيت (ص: ٢٤٧).
(٥) انظر: مادة (وره) مجمل اللغة (ص: ٩٢٣)، مادة (وره) مقاييس اللغة (٦/١٠٤).

والورهاء؛ فإنها أدْوَأُ الداء، وإن ولدها إلى أَفَنٍ[1] يكون)[2]. فهُم يمتدحون الأنثى العاملةَ المتقِنة، فكما أنَّ الأنثى تكره الرجلَ الأخرق الذي لا يُحسن العمل ويُهمِل رعيته، فإن الرجل كذلك يكره الأنثى الخرقاءَ التي لا تُحسِن العمل وتُهمل رعيتها.

۞ الخروج للعمل:

ونَلحظ مما سبق أن الأنثى قد تَجمع بين أعمال البيت، والأعمال التي تكون خارجَ البيت، فهي بين وجودها في مكانها الصحيح وتحمُّلها لمسؤوليةِ الرعاية وبين احترافها وتأهُّلِها لأهمِّ الصناعات والحِرَف المهمَّة في المجتمع.

وبهذا نعلم أن سكن المرأة وقرارَها لا يعني بطالتَها وتجميدها عن الأعمال الخارجية والمشاركة المجتمَعية، ولا يعني ذلك تهميشَها عن المجتمعات؛ أو قطعها عن دَرَكِ الحاجات؛ بل هي مأمورةٌ ومكلَّفة كما الرجل؛ وهي عاملة منجِزة ولو قرَّت واستقرَّت، ولها الخروجُ متى احتاجَت؛ فقد قال النبيُّ ﷺ لِسَودة رضي الله عنها: «**إنَّ الله قد أذِن لكنَّ في الخروجِ لحاجتِكُن**»[3].

وقد كانت الأنثى حتى في زمن النبي ﷺ عاملة، فعن «جابر بن

(١) الأفن: قلة العقل وضعف الرأي، انظر: مادة (أفن) مقاييس اللغة (١/١١٩)، مادة (أفك) لسان العرب (١٠/٣٩١).

(٢) انظر: نثر الدر في المحاضرات (٦/٢٤٦)، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة (١/١٢٣).

(٣) متفق عليه؛ رواه البخاري (٤٧٩٥)، ومسلم (٢١٧٠).

عبد الله ﷺ» يقول: (طُلِّقَت خالتي، فأرادت أن تَجُدَّ نخلَها، فزجرها رجلٌ أن تخرج، فأتت النبيَّ ﷺ فقال: «**بلىٰ، فَجُدِّي**[1] **نخلَك؛ فإنكِ عسىٰ أن تَصَدَّقي، أو تَفْعلي معروفًا**»)[2]. فرخص لها النبيُّ ﷺ في الذَّهاب لعملها أثناءَ عِدتها لحاجتها إلىٰ ذلك[3]، وفيه أن الإسلام يُقِر عمل المرأة إذا ترتبَت عليه حاجةٌ ومصلحة، فلا بأس أن تَخرج وتُحقق هذه المصالح[4]. فللأنثىٰ أن تكون طبيبةً أو مُدرِّسة أو تاجرة أو أن تعمل في أيِّ عمل مشروع مباح، لا يتنافر مع طبيعتها الأنثوية وخصائصِها الجسمانية، فتتلطَّف بالرِّزق الحلال الذي يُغنيها عن التبذُّل وسؤال الناس، مع قيامها بواجباتها البيتيَّة نحوَ أولادها وزوجها وبيتها؛ لأن هذا هو الأصلُ في حياتها.

ومما ينبغي مراعاتُه أن يتوافَق عملُ المرأة مع طبيعتها الفِطرية، وأن تكون تلك المصالحُ التي تَنشُدها متوافقةً مع مصالح الشريعة الإسلامية، وأن لا يُؤدِّيَ عملُها الخارجي إلىٰ اهتزازِ سكنها وخلقتها. وهذا ما حصَل مع الأنثىٰ الأوروبية في منتصف القرن التاسع عشر، بعد أن عانت من الاضطهاد في مجتمعِها، تعالَت نداءاتٌ من بعض النساء للمطالَبة بحق المرأة في العمل، ولا

---

(١) أي: اقطِفي ثمرَ نخلِك. انظر: ذخيرة العقبىٰ في شرح المجتبىٰ (٢٩/٣٢٢)، المفاتيح في شرح المصابيح (٤/١٢٦).

(٢) رواه مسلم (١٤٨٣).

(٣) انظر: شرح النووي علىٰ مسلم (١٠/١٠٨). ومسألة خروج المعتدة نهارًا لحاجة فيها تفصيلٌ عند الفقهاء يمكن الرجوع إليه في كتب الفقه. انظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (٣/٢٠٥)، النوادر والزيادات علىٰ ما في المدوَّنة من غيرها من الأمهات (٥/٤٦)، المجموع شرح المهذب (١٨/١٧٥)، المغني لابن قدامة (٨/١٦٣).

(٤) انظر: شرح زاد المستقنع للشنقيطي (١٠/٢١٢).

إشكالَ في هذا الأمر؛ فإن حقَّ العمل للمرأة مكفولٌ كما بيَّنا، إنما الإشكالية في دعوتهم إلىٰ حقِّ المرأة في العمل بمختلِف الوظائف كالرجلِ تمامًا، حتىٰ ولو تعارضَت تلك الأعمال مع فطرتها الأنثوية وخصائصها الجسمانية، وكرامتِها الإنسانية، وكل ذلك بسبب هوَس المساواة بينها وبين الرجل، فأدىٰ إلىٰ تنازلها شيئًا فشيئًا عن ركنٍ من أركان أنوثتها؛ ألا وهو السكَن[1].

وعلىٰ أثَرِ هذه النقلة، يُقدم لنا الفيلسوف الإنكليزي «بيرتراند راسل» درسًا بليغًا لمن أراد فَهْم حقيقة الحياة والواقع الذي خلَّفَه هذا الفكر؛ فيقول: (لقد انحلَّت الأسرةُ باستخدام المرأة في الأعمال العامة، وتبيَّن أن كثرة الجرائم في أمريكا وسبب الأزمات العائلية فيها، هو أن الزوجة ترَكَت بيتها لتُضاعِف دخلَ الأسرة، فزاد الدخل، ولكن انخفض مستوىٰ الخلُق، كما أن انطلاق المرأة نحو العمل أورثَ الحضارة الغربية مشكلاتٍ عميقةً، وأفقد المرأة نفسَها الكثيرَ مما اختصَّت به، فقد أنهَكَتْها المهنة، وتدبيرُ المنزل والأطفال، وأصبحَت مخلوقًا جديدًا، لا هو رجلٌ ولا هو امرأة)[2]. فعلىٰ الأنثىٰ أن تضَع أصل السكن نُصبَ عينيها، ولا تَحيدَ عنه، ولا تجعله عَقَبة أمامها، بل مُعينًا لها، ومُيسرًا ومكملًا، فإن الفطرة إذا أُتِيَت من وجهِها كانت عونًا للأنثىٰ. وقد مرَّ معنا في سيماء: «الأنثىٰ سكن» قيمةُ السكن الأنثويِّ وحاجة الرجل إليه، وما يحتويه هذا السكنُ من سندٍ وأُنس، واحتضانٍ وحُنوٍّ، ورعايةٍ بميزان الصلاح لِتَنشد الأنثىٰ به الفلاح.

(١) انظر: حصوننا مهددة من داخلها (ص: ٨٦).

(٢) المزدكيَّة هي أصل الاشتراكية (ص: ٢٩٠).

السِّيماء الرابعة

الأنثى عاطفة

جدائل القلب

من عجيبِ قدرة الله سبحانه في الأنثى أنْ جمَع عليها وِعاءَ قلبها، وجعله موضعَ مَرْحمة، وهيَّأه للعاطفة والعطاء، فأخذَت بهذا القلب مَجامعَ قلوبِ مَن حولها.

وهذا ما يجعل من سيمائها: أنثى مستجيبةً بشكل مرهَف وخاطف للمؤثِّرات، ومنتبهة بحساسية للمتغيرات، عبر مخزونِ العواطف الكامن في نفسِها؛ لِتَفيض على مَن حولها بالمشاعر والحنان، ولتكون لهم قلبًا ومسكنًا، فهي كقول القائل[1]:

أتَـــدْرينَ أنَّـــكِ بُشْـــرى لَنَـــا؟! وأنَّـــكِ خيـــرٌ يَفِـــيضُ هُنـــا؟!

أتَـــدْرِينَ أنَّـــكِ نبـــعُ الحيـــاةِ يَجُـوبُ الزَّمـانَ ويَـرْوِي الـدُّنَا؟!

ولا تزالُ الأنثى تَلِد المَسرَّات من عواطِفِها كما تلدُ الأطفالَ من أحشائها، مع صبرِها وسعيها، ففي العاطفة صبرٌ وجهاد، كما في القوة شدةٌ وثبات.

وفي هذه السِّيماء يرقُّ القلب وتتيقَّظ النفسُ لجدائلِ القلبِ مع صافيةِ الود، قريبةِ القلب: «أنثى العاطفة».

---

(١) انظر: قصيدة حجَبْتِ الجمال: (موقع صيد الفوائد).

العاطفة والمشاعر الأنثوية

١

حينما نتأمَّل خلق الأنثى؛ فإننا سنَفهم طبيعةَ تلك العاطفة المتغلغِلة في كِيانها الأنثوي، التي تُولِّد عندها تلك المشاعرَ والأحاسيس الفياضة.

ومما يدعو إلى التأمُّل: تركيبُ الدماغ الأنثوي، فإن مركز الاستجابة العاطفية لدى الأنثى يكون في كِلا جانِبَي الدِّماغ الأيمن والأيسَر؛ فهي تستخدم كل دِماغها في عاطفتِها، بينما يستخدم الذكرُ الجانبَ الأيمن من الدِّماغ فقط[١].

وهذا يعني أن العواطف تكون أكثرَ اتساعًا وانتشارًا عند الأنثى؛ ولذا نجدها مستجيبةً بانفعالٍ أعمقَ من الذكَر، فهي سريعةُ الضحك وسريعةُ البكاء، سريعةُ القلق وسريعة الاهتياج[٢].

وهذا التفوُّق في المشاعر الأنثوية مُعينٌ للأنثى على تأديةِ وظيفتها في الحياة؛ لتُحقِّق سيماءَها الفِطْرية، ومسؤولياتها الدنيوية والأُخرَوية، فتكون أنثى قادرةً بعواطفها على تغيير المجتمعات، وبناءِ الأجيال، وحمايةِ فلذات الأكباد.

---

(١) انظر: جنس الدماغ (٣١/٣٤).

(٢) انظر: المرجع السابق.

۞ المشاعر والانفعالات:

إن انفعالات النفس الإنسانية مع الحياة آيةٌ من آيات الله سبحانه؛ ولذا يقول «السِّعدي ﷺ»: (فالنفس آيةٌ كبيرة من آياته، التي حقيقةٌ بالإقسام بها، فإنها في غاية اللُّطف والخفَّة، سريعة التنقُّل والحركةِ والتغيُّر والتأثُّر والانفعالات النفسية، من الهمِّ، والإرادة، والقصد، والحبِّ، والبُغض، وهي التي لولاها لكان البدنُ مجردَ تمثال لا فائدةَ فيه، وتسويتها على هذا الوجه آيةٌ من آيات الله العظيمة)[1]. فكيف وقد تضاعفَت تلك الحركاتُ والسكنات بانفعالاتها مع الأنثى، فإن ذلك من عجيبِ صُنع الله سبحانه.

ومما تتميَّز به تلك الانفعالاتُ الأنثوية، كونُها تأخذ طابَعَ السرعة في الاستجابة والانبعاث.

ومن الأمثلة التي تُجسِّد هذا المعنى ما ورَد عن الصحابيَّات ﷺ: حينما دخل عليهن النبيُّ ﷺ مع بلال ﷺ، فقال لهن كلماتٍ مؤثِّرة، وأمرهنَّ بالصدقة؛ فتأثَّرن، وحدا بهنَّ هذا التأثرُ إلى سرعة الاستجابة، فجعلنَ مسرعاتٍ يتصدَّقْن من حُليِّهن، يُلقين في ثوب بلالٍ ﷺ من أقْرِطتهن وخواتمِهن، وحُليهن التي يَلبَسْنها[2]!

ومن ذلك ما ورَد عن أمِّ عمر بن عبدالعزيز ﷺ، فقد بكى وهو غلامٌ صغير، فبلغ ذلك أُمَّه، فأرسلَت إليه فقالت: ما يُبكيك؟ قال: ذكَرتُ الموت؛ فبكت أُمُّه[3]، لبُكائه. فانظروا إلى سرعة التأثُّر والانفعال.

---

(١) تفسير السعدي (١/٩٢٦).

(٢) متفق عليه؛ رواه البخاري (٩٨)، ومسلم (٨٨٤).

(٣) انظر: البداية والنهاية (٩/٢١٧).

وقد راعت الشريعة الإسلاميةُ هذه الانفعالاتِ الأنثوية، واعتنَت بها أيَّما عناية، ومن ذلك استماعُ الله ﷻ والنبي ﷺ لانفعال المرأة المُجادِلة التي أتَتْ للنبي ﷺ تُجادله في زوجها وتشتكي إلىٰ الله سبحانه[1]، وكذلك استماعه ﷺ للمرأة التي تُصرَع[2]، فكان في مشاركة النبيِّ ﷺ في الاستماعِ والحَل تخفيفٌ عنهن ومراعاةٌ لعواطفهن وانفعالاتهن.

۞ مَصَبَّ المشاعر:

ومن آثار رحمةِ الله في أنثىٰ العاطفة أنْ جعَل لها مَصَبَّ نهرٍ بارد تصبُّ فيه انفعالاتها، ليتخفَّف بدنُها الرقيق من حِدَّة تلك العواطف وحرارتها، فجعل مَصبَّها في عُمق تِبيانها؛ ولذا نجد أن قدرة الأنثىٰ اللُّغوية تفوق الذكَر[3] في التعبير عن مشاعرها وعواطفها.

فلا يظهر مقامُ عاطفةٍ أنثوية إلا ويَبرز فيه تِبْيان عميق، قد أخَذ بعضُه بأعناقِ بعض.

ومن تلك المقامات: مقامُ الحزن؛ فالنساءُ أشْجىٰ الناسِ قلوبًا عند المصيبة وأرَقِّهن طبعًا عند الحزن.

---

(١) قال تعالىٰ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١].

(٢) عن عطاء بن أبي رباح، قال: قال لي ابنُ عباس: (ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلىٰ، قال: هذه المرأة السوداء، أتت النبي ﷺ فقالت: إني أصرع، وإني أتكشف، فادع الله لي، قال: «إن شئتِ صبرتِ ولك الجنة، وإن شئتِ دعوتُ الله أن يُعافيكِ» فقالت: أصبر، فقالت: إني أتكشَّف، فادع الله لي أن لا أتكشف، فدعا لها)؛ متفق عليه؛ رواه البخاري (٥٦٥٢)، ومسلم (٢٥٧٦).

(٣) انظر: معجزات القرآن العلمية في الإنسان، (ص: ٨٢)، أسس علم النفس، (ص: ٣١).

ومن تلك المواقف التي قرَعَتها ساحةُ الأحزان بمرارة البيان، ما أنشَدَته «سُلَيمى بنتُ مُهَلهل» في رثاءِ أبيها وقد صَبَّت حديثها من مَكامن الشَّجَى واللوعة في أحشائها، فقالت[1]:

مَـنَحَ الرُّقـادُ لِحـادِثٍ أَضْـناني ... ووَنَـى العَـزاءُ فعَـادَني أحْزانِـي
لمَّـا سَـمِعتُ بنَعْـيِ فـارِسِ تَغْلِـبٍ ... أعْنِـي مُهَلْهِـلَ قاتِـلَ الأقْـرانِ
كَفْكَفـتُ دَمْعـي فـي الـرِّداءِ تَخالُـهُ ... كالـدُّرِّ إن قارَنْتَـهُ بِجُمـانِ

ومن تلك المقامات مقامُ الغَيرة: فإنَّ غيرةَ الأنثى إذا سرَتْ في بيداء الفِكْر، هيَّجَت معها جنودَ الكلام بمختلِف الأساليبِ والبيان.

ومن ذلك ما وقَع بين زينبَ وعائشةَ ﵄ في حضرةِ النبيِّ ﷺ، فإنَّ زوجاتِ النبيِّ ﷺ غِرْن من عائشة ﵂؛ لكونِ الناس يتقصَّدْن يومَها ليُرسِلوا الهدايا، فأرسلوا زينبَ ﵂ له تُكلِّمه فيها.

والغيرة من طباع المرأة الفطرية، فقالت زينب ﵂: (أحسبُك إذا قلبَت لك بُنيَّة أبي بكر ذُرَيْعَتَيْها؟!) فقال النبي ﷺ لعائشة: «**دونَكِ فانتصِري**»، تقول عائشةُ: (فأقبلتُ عليها حتى رأيتها قد يَبِس ريقُها في فمِها)[2].

أمَّا زينبُ فإنها تقصد بقولها: أيَكْفيك فعلُ عائشة ﵂ حين تُقلِّب لك الذراعَين لا تنظر لشيءٍ آخر، لشدة حبِّك لها؟[3]. فكان هذا الكلامُ منها بمقتضى الغَيرة كأنثى، والحرص على أن يكون لهنَّ مثلُ ما كان لعائشة ﵂

(١) انظر: شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام (ص: ٤٠).
(٢) رواه ابن ماجه في سننه (١٩٨١) واللفظ له، والبخاري في الأدب المفرد (٥٥٨).
(٣) انظر: فتح الباري لابن حجر (٥/٢٠٧)، حاشية السِّندي على سنن ابن ماجه (١/٦١٠).

من إهداء الناس له، إذا كان في بيوتهن[1].

فهذه زينبُ ﵂ كاملةُ الأوصاف، إلا أنها لم تَسْلم من مَقام الغيرة في تلك الانفعالات؛ ولذا قالت عائشةُ ﵂ عنها: (ولم أرَ امرأةً قطُّ خيرًا في الدِّين من زينب، وأتقىٰ لله ﷻ، وأصدقَ حديثًا، وأوصلَ للرحِم، وأعظمَ صدقةً، وأشدَّ ابتذالًا لنفسِها في العمل الذي تصدَّق به، وتقرب به ما عدا سَوْرةً من حِدَّة كانت فيها، تُسرِع منها الفَيْئة)[2]، أي إنها كانت كاملةَ الأوصاف إلا أنها كانت سريعةَ الغضب، ولكنها أيضًا كانت سريعةَ الرجوع عنه[3].

وتأمَّل رقَّة تعامُل النبي ﷺ مع زينب وعائشة ﵄، فلم يَزجُر النبيُّ ﷺ زينبَ ﵂، وقدَّر طبيعة الفطرية للأنثىٰ في الغيرة، ومع ذلك حفظ لعائشة ﵂ حقَّ الانتصار لنفسها فقال لها: «**دونَكِ فانتصِري**»، مع أن العفو أفضل، إلا أنه راعىٰ عاطفةَ المرأة وشعورَها عندما تُغلِظ عليها ضَرَّتُها في القول. ولذا كانت الشريعة حريصةً علىٰ عواطفها ومراعاةِ انفعالاتها، ومنعِ كسر مشاعرها.

ومن تلك المقامات أيضًا مقامُ الإشباع: فالأنثىٰ تحتاج كإنسانٍ إلىٰ الإشباع العاطفي، ومع كونها عاطفيةً كأنثىٰ فهي تَميل إلىٰ هذه الحاجةِ أكثرَ؛ ولهذا فهي تُترجِمُ رغبتَها تلك بمجموعةٍ من الأفعال والأقوال، وربما عصَف لسانُها بالبيِّنات الواضحات، والحُجَج الْمُلزِمات؛ من أجل أن تَحصل علىٰ بُغْيَتِها.

---

(١) انظر: ذخيرة العقبىٰ في شرح المجتبىٰ (٢٨/١٨٨).

(٢) رواه مسلم (٢٤٤٢).

(٣) انظر: حاشية السندي علىٰ سنن ابن ماجه (١/٦١٠)، ذخيرة العقبىٰ في شرح المجتبىٰ (٢٨/١٩٠).

ومن ذلك ما روَتْه عائشةُ ﵂، عن نفسِها وكان في حديثها ما يدلُّ على بلاغتِها في البيان وضربِ الأمثال[١]، رغبةً في تحقيقِ مقام الإشباع، فقالت ﵂: (قلتُ: يا رسول الله، أرأيتَ لو نزلتَ واديًا، وفيه شجرة قد أُكِل منها، ووجدت شجرًا لم يُؤكل منها، في أيِّها كنتَ تُرتِعُ بَعيرَك؟ قال: «في الذي لم يُرتَعْ منها» تعني أن رسول الله ﷺ لم يتزوَّج بِكْرًا غيرَها)[٢].

وهكذا الأنثى: جُبِلَت على الرغبة في الإشباع العاطفي من الزوج، مع حبِّ معرفة مكانتها عند زوجِها، وحبِّ مدحِه لها، فاحترم النبيُّ ﷺ رغبتها ومشاعرها، وراعى طبيعتَها العاطفية، وأعطاها ما تُريد.

ومِن تلك المقامات مقامُ الفرح: ومن أصدق أنواع التعبير في الفرح ما كان من أمِّ الدَّحْداح ﵂ حينما بشَّرها أبو الدَّحداح ﵁ بأنه قد تصدَّق ببُستانهم الذي فيه سِتُّمائة نخلةٍ لله ورسوله ﷺ، فقالت بفرحٍ صادق قد صبَّت فيه حرارةَ مشاعرها بَبَرد البيان: (رَبِح بيعُك! بارك الله لك فيما اشتريت)[٣]، ثم أنشأَت تقول[٤]:

بَشَّـــرَكَ اللهُ بخيـــرٍ وفَـــرَحْ ... مِثلُـــكَ أدَّى مـــا لدَيْـــهِ ونَصَـــحْ

قَـــد متَّـــعَ اللهُ عِيـــالي ومـــنَحْ ... بـــالعَجْوةِ السَّـــوداءِ والزَّهْـــوِ الـــبَلَحْ

والعَبـدُ يَسْـعى ولـهُ مـا قَـد كـدَحْ ... طُـولَ اللَّيـالي وعَليـهِ مـا اجْتـرَحْ

(١) انظر: فتح الباري لابن حجر (٩/١٢١).

(٢) رواه البخاري (٥٠٧٧).

(٣) انظر: تفسير القرطبي (٣/٢٣٨)، درج الدرر في تفسير الآي والسور (١/٤١٦)، تفسير الثعلبي (٦/٤٨٣).

(٤) انظر: المراجع السابقة.

والمقامات غير ذلك كثيرة، فمِنها مقامُ الحب ومقام الشَّوق، ومقام الخوف، ومقام الغضَب، ومقام الحماس، ونحوُه، إلا أنَّنا يَكْفينا بضَربِ تلك الأمثال السابقةِ أن تتبيَّن معنا قدرة الله في خلقِ هذه المهارة اللُّغوية في الأنثى؛ لِتَكون تلك المهارةُ الباردةُ الطبعِ مُصاحِبةً لحرارة العاطفة، فيَحصُلَ التوازنُ عند الأنثى.

۞ المشاعر والاتزان:

لقد اعتنى الإسلامُ بإيجادِ الحياةِ المتوازِنة لشخصيةِ الأنثى، وهذا التوازنُ يكون بالمحافظةِ على التكافؤ بين العاطفةِ والتفكير، فالإسلام دينٌ لا يَعزِل العاطفةَ عن العقل، فالعاطفةُ والرحمة في الإسلام تكونُ مقترِنةً بالعقلِ والتفكير، والعقلُ والتفكير مقترنان بالرحمة والعاطفة، وقد قال النبيُّ ﷺ: «**عجبًا لأمرِ المؤمن إنَّ أمره كلَّه له خيرٌ، وليس ذلك لأحدٍ إلا للمؤمن: إن أصابَتْه سرَّاءُ شكرَ فكان خيرًا له، وإن أصابته ضرَّاءُ صبر فكان خيرًا له**»[1]، ففيه تنبيهٌ وإشارةٌ إلى أنَّ المسلم لا بد أن يُحكِّم عقلَه في توجيه عاطفتِه؛ فلا الفرح يُبطره، ولا الحزن يُهلكه؛ ولذا كان في تنبُّه العقل للشُّكر اتزانٌ مع عاطفةِ الفرح، وفي تنبُّه العقل للصبرِ اتزانٌ مع عاطفة الحزن.

فبالشكر والصبرِ تَضبِطُ الأنثى جميعَ عواطفها وانفعالاتها، ولا ينبغي للمؤمنِ أن تَخلُوَ أوقاتُه عن واحدٍ منهما[2].

---

(١) رواه مسلم (٢٩٩٩).

(٢) انظر: الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم (٢٦/٤٣٧).

ولذا فتلك المرأةُ التي كلَّمها النبيُّ ﷺ وهي جالسةٌ عند قبر، قد ترَكَت ميزانَ صبرها، ففقدَت بهذا التَّركِ منفعةَ عاطفتِها وضبط انفعالاتها، فقد مرَّ النبيُّ صلىٰ ﷺ بها وهي عند قبرِ صبيٍّ لها قد مات، وكانت تُحبه حبًّا شديدًا، فجلسَت تبكي عند قبره، فلما رآها النبيُّ ﷺ قال لها: «اتَّقِي اللهَ، وَاصْبِرِي»، فقالت له: «إليك عني؛ فإنك لم تُصَبْ بمصيبتي». فانصرفَ النبيُّ ﷺ عنها، ثم قيل لها: إن هذا رسولُ الله ﷺ، فندمَت وجاءت إلىٰ بابِ رسول الله ﷺ، فأخبرَته وقالت: «إنني لم أعرفك»، فقال النبيُّ ﷺ: «إنَّما الصَّبر عند الصَّدْمة الأُولىٰ»[1].

وهذا يَدلُّنا علىٰ أن مشاعرها العاطفية قد بلَغَت منها مبلغًا عظيمًا، وقد فاتها أن تضبط مشقةَ الصدمة والمصيبة بميزان الصبر، فذهبَ عنها الأجرُ الكامل.

ولذا فإن الصبر الذي يُحمَد عليه صاحبُه ما كان عند مُفاجأة المصيبة، بخلاف ما بعد ذلك؛ فإنه علىٰ الأيام يَسْلو، ويكون الصبرُ حينئذٍ طبعًا[2].

وقد عزَّز الإسلامُ الاتزانَ بين العاطفة والتفكير، ففي الحزن مثلًا: أمَرَت الشريعةُ بالصبر عند الحزن كما تبيَّن، وتبرَّأَت من الصالقة: التي ترفع صوتها عند المصاب، والحالِقة: التي تَحْلق شعرها للمُصيبة، والشاقَّة: التي تخرق الثيابَ للحزن[3]. وبيَّنَت أن تلك الانفعالاتِ من العواطف المذمومة.

(١) متفق عليه؛ رواه البخاري (١٢٨٣)، ومسلم (٩٢٦).
(٢) انظر: فتح الباري لابن حجر (٣/١٥٠). عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٨/١٠٠).
(٣) انظر: شرح النووي علىٰ مسلم (٢/١١٠).

وفي الفرح: فقد أوصَت الشريعةُ بتقييد الفرح بالشُّكر، وتذكُّرِ فضلِ الله سبحانه، ونهَت عن الفرح الذي يُبطر الإنسان ويُنسيه حقيقتَه، فقال سبحانه: ﴿لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ﴾[1] أي: المتبذِّخين الأشِرين البَطِرين، الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم[2]. وسَكْرة الفرح مذمومة، يقول «ابن القيِّم ﷺ» في تأثير سَكْرة الفرح على الإنسان: (يختلط كلامُه وتتغيَّر أفعاله بحيث يزولُ عقله، وربما قتلَه الفرحُ بسببٍ طبيعي وهو انبساطُ دم القلب انبساطًا خارجًا عن العادة، والدم حاملُ الحارِّ الغريزي، فيبرد القلبُ بسبب انبساطِ دمه، فيحدث الموت! وقد جَرى هذا لأحمدَ بنِ طُولون أميرِ مصر؛ فإنه مرَّ بصيادٍ في يومٍ بارد وعنده بُنَيٌّ له، فرقَّ عليهما وأمر غلامه أن يدفع إليه ما معه من الذهب، فصبَّه في حجره ومضى، فاشتد فرحُه به، فلم يحمل ما ورد عليه من الفرح، فقضى مكانه! فعاد الأميرُ من شأنه، فوجد الرجل ميتًا والصبيَّ يبكي عند رأسه فقال: مَن قتلَه؟ فقال: مر بنا رجلٌ لا جزاه الله خيرًا، فصبَّ في حَجْرِ أبي شيئًا فقتلَه مكانَه! فقال الأمير: صدَق! نحن قتَلناه، أتاه الغِنى وهَلَك)[3].

وهكذا في جميع مقامات العواطف، لا نجد مقامًا إلا ونجد فيه توجيهًا من الشريعة الإسلامية حولَ ضبطه لتحقيق اتِّزانه.

ومما سبق يتبيَّن أن ضبط عواطف الإنسان لا تَخْلو من حاجتها إلى ضابط الصبر والشكر؛ فهما الميزان لأنثى العاطفة، وبهما تكون السَّكينة

(١) [القصص: ٧٦].
(٢) انظر: تفسير الطبري (١٨/٣٢٠).
(٣) انظر: روضة المحبين ونزهة المشتاقين (ص: ١٥٠).

لقلبها، يقول «ابن القيم ﷺ» في أثر وجود السكينة عند عواطف الإنسان وانفعالاته فقال: (وعند أسبابِ المخاوف علىٰ اختلافها لِيَثبُتَ قلبُه ويَسكُن جأشُه، وعند أسباب الفرح لِئلَّا يطمح به مَركَبُه فيُجاوز الحدَّ الذي لا يعبر فيَنقلب ترَحًا وحزنًا، وكم ممن أنعم الله عليه بما يُفرحه فجمَح به مَركبُ الفرح، وتجاوزَ الحدَّ فانقلَب ترحًا عاجلًا!... وعند هجوم الأسباب المؤلمة علىٰ اختلافها الظاهرة والباطنة، فما أحوجَه إلىٰ السكينة حينئذٍ، وما أنفعَها له، وأجْداها عليه، وأحسنَ عاقبتَها!)[1].

وهذا يدلُّنا علىٰ أن الإسلام رغم مراعاته للعواطف وتعزيزه لجوانب الرحمة في الإنسان عمومًا وفي الأنثىٰ خصوصًا، إلا أنه قد دعا إلىٰ تهذيبها وتَقْييدها بضابطِ الاتزان، والأنثىٰ رغم أن عاطفتَها مطلوبةٌ ومتلائمة مع جميعِ وظائفها في الحياة، لكنَّها متىٰ ما خرَجَت عن إطارِ الاتزان، قلبَت منفعةَ العاطفة إلىٰ مفسَدة، وهذا شأنُ كلِّ شيء في الحياة؛ إنْ خرَج عن دوره المنوط به، ولذلك فهي مُكلَّفة بضبطِ عواطفها ومشاعرِها بميزان الشريعة الإسلامية.

(١) انظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين (٤/١٥٦).

العاطفة والأمومة

٢

إذا أَرَدتُم أن تَعرفوا لُبَّ العاطفة الأنثوية، فانظروا إلى أمومة الأنثى، فالأمومة هي المحرِّك الفِطْري، والسببُ المنطقي لعُمق مشاعرِ الأنثى، تلك المشاعر التي تَجتمع فيها صورُ البطولة وفضائلُ الإيثار، ومواطنُ الصبرِ الجميل.

وإذا رجَعْنا إلى معنى الأمومة في اللُّغة وجَدْناها قد اشتُقَّت من كلمة (أم)، والعرب تقول في أصل كل شيء: أُمُّه، وأمُّ كل شيء: مُعظَمُه، ويُقال لكل شيء اجتمَع إليه شيءٌ فضمَّه هو أمٌّ له. ويُقال للوالدة: الأم[١]. وهذا وصفٌ يليق بالأنثى التي تكون أصلًا لما حولها ووسيلةً للجمع والضَّم.

فإذا تأمَّلْنا جمالَ هذه العاطفة، وجَدْنا فيها لمحةً من جمال الحياة، وشعاعًا من عبقرية الأنثى[٢]، فهي معنًى قُدسيٌّ وسرٌّ خفي، ليس منَّا إلا مَن قرَأه في تلك العيون التي رعَتْنا في المهودِ صِغارًا، وسَهِرَت علينا في فِراش المرض كبارًا[٣].

---

(١) انظر: مادة (أمم) الصِّحاح (٥/١٨٦٣)، مادة (أمه) تهذيب اللغة (٦/٢٥١)، مادة (أم) مقاييس اللغة (١/٢١)، مادة (ء م م) المصباح المنير (١/٢٣). المخصص (ص: ١١٦/١١٧).

(٢) انظر: أسواق الذهب (ص: ١٠٥).

(٣) انظر: (ص: ١٠٦).

۞ الأمومة وآصِرةُ الرحم:

يقول «ابن القيِّم ﷺ»: (والأرضُ كالأم... وذلك من البرَكة التي وضَعها الله سبحانه في هذه الأم)[١]. فالمرأةُ كالأرض[٢]، وإذا كانت الأرضُ هي: موطِنَ الإنسان، ومجمعَ البشريَّة، فالأمُّ موطنُ الأبناء، ومجمعُ الرَّحِم، والذرِّية. وأنشدَ في ذلك ثعلب[٣]:

إنَّمـــــا الأرحـــــامُ أرْضُـــــ ـــــونَ لنـــــا مُحْتَرَثـــــاتُ
فعَلَيْنـــــا الـــــزَّرعُ فِيهـــــا وعَلـــــى اللهِ النَّبَـــــاتُ

والأمومة اسم لا يقع إلا على الأنثى، لا الذكر، لكونها تختص بالرَّحِم، وما يُعالجه من الحمل والوِلادة[٤]، يقول روسو: (إذا لم تكن هناك أمٌّ، فليس هناك طِفل)[٥].

فالرَّحِم وما يَقْتضيه من الحملِ والولادة من العلاماتِ الدالَّة على الأنوثة؛ ولذا يقولُ سبحانه على لسانِ عبدِه «زكريَّا عليه السلام»: ﴿وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا﴾[٦]، ولم يَقُل زوجتي؛ لأن ذِكرَ المرأةِ أليقُ في هذه المواضع، ولأنه كلفظٍ يتصل بالأنوثة هو المقتضي للحملِ والوضع، لا من حيث كانت زوجًا[٧].

---

(١) انظر: التبيان في أقسام القرآن (ص: ١٨٥).
(٢) انظر: تفسير ابن عطية (١/٢٩٩)، تفسير القرطبي (٣/٩٣).
(٣) انظر: تفسير القرطبي (٣/٩٣).
(٤) انظر: المرجع السابق.
(٥) إميل (ص: ٣٨).
(٦) [مريم: ٨].
(٧) انظر: التفسير القيم (١/١٣٤).

ومن ذلك قولُه سبحانه: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾[1]. فالأنثى موضعُ الحرث ووعاءُ النسل، كما قال تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾[2] فشُبِّهَت بالحرث لأنها مُزدرَعُ الذرِّية.

وقد راعت الشريعةُ الإسلامية هذه الفِطرةَ الأمومية ورغبةَ الأنثى في تحقيقها؛ بأنْ جعَل رِضاها في العزلِ لمنع الحمل شرطًا، فعَن عمرَ بنِ الخطَّاب رضي الله عنه قال: «**نهى رسولُ اللهِ ﷺ أن يُعزَلَ عن الحُرَّة إلا بإذنِها**»[3]. فالأنثى إذا منَعَت زوجها من العزل، فلا يَحقُّ له أن يَعزل[4]، قال «ابنُ عبد البَرِّ رحمه الله»: (لا خلافَ بين العلماء أنه لا يُعزَل عن الزوجةِ الحرة إلا بإذنِها)[5].

ولذا فإن هذه العاطفة رغم ما تتطلَّبُه من جُهود ومشقَّة إلا أنها فِطرة، وحاجةٌ مُلحَّة في الأنثى، ترغب في تحقيقها فلا يحقُّ لشريكها أن يمنعَها من التلطُّف بفطرتها الأنثوية وسيمائها الأمومية.

وقد ذُكرت تلك المشاقُّ في النصوص الشرعية، مع إقرار الشريعة بصعوبةِ هذه السيماء والجهود التي تتطلَّبها من الأنثى، تنبيهًا لغيرِها بفضلها، وما يترتَّب على هذه السِّيماء من جهودٍ عاطفية وجسدية تبذلها.

---

(١) [فصلت: ٤٧].

(٢) [البقرة: ٢٢٣].

(٣) رواه ابن ماجه في سننه (١٩٢٨).

(٤) انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطَّال (٣٣١/٧).

(٥) طرح التثريب (٦٠/٧).

فقال تعالىٰ: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾[1]. ففي هذه الآية بيانُ اختصاصِ الأنثىٰ بالأمومة، وفيها إشارةٌ إلىٰ مشقَّة الحملِ وما يترتَّب عليه من ضعفٍ يمَسُّ الأنثىٰ، ثم مشقة الولادة بعدَه[2]. ثم مشقَّة الرضاع التي تستلزم الملازمةَ من الأمِّ لطفلها، وتستمرُّ لعامَين تُقاسي فيهما الأمُّ جملةً من المصاعب التي لا يقدر قدرها إلا الله سبحانه[3].

ومما يُبيِّن مشقةَ الأمومة وما تَحْويها من مقدمات، قولُه سبحانه: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾[4] والمقصودُ بالإكراه هو: المشقَّة في الحمل والوضع وشدَّته[5].

وبعد أن بيَّنَت الشريعةُ الإسلامية هذه المشقةَ التي تمرُّ بها الأنثىٰ في جميع أطوارِها، أمرَت بالاهتمام بالأم، من خلال بِرِّها والإحسان إليها، وحُسن صحبتها، فحينما سُئل النبي ﷺ: مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ الصُّحْبَةِ؟ **قال: «أُمُّك، ثمَّ أُمُّك، ثمَّ أُمُّك، ثمَّ أبوك»**[6]. فالتثليثُ في مقابلة ثلاثةِ أشياءَ مختصَّة بالأم، وهي تعبُ الحمل ومشقةُ الوضع ومِحنةُ الرضاع[7]، تلك الأطوارُ الثلاث التي تُقاسيها الأنثىٰ في سَبيل العاطفة الأمومية، ولذا فقد نبَّهَت الشريعة هنا إلىٰ حقِّ الأمومة.

---

(١) [لقمان: ١٤].
(٢) انظر: تفسير الطبري (١٨/٥٥٠)، تفسير ابن عطية (٤/٣٤٨).
(٣) انظر: تفسير السعدي (١/٦٤٨)، تفسير المراغي (٢١/٨٢).
(٤) [الأحقاف: ١٥].
(٥) انظر: تفسير الطبري (٢١/١٣٧)، تفسير السمعاني (٥/١٥٣).
(٦) متفق عليه؛ رواه البخاري (٥٩٧١)، ومسلم (٢٥٤٨).
(٧) انظر: مرقاة المفاتيح (٧/٣٠٧٩).

وكذلك ممَّا ورَد في تعزيزِ الشريعة للحقِّ الأمومي: إعطاؤها أولويتَها في الحضانة، فعن عبدالله بن عمرٍو ﷺ: **أنَّ امرأةً قالت: يا رسول الله، ابني هذا كان بَطْني له وِعاءً، وثَدْيي له سِقاءً، وحِجْري له حِواءً، وإنَّ أباه طلَّقَني، وأراد أن يَنْتزعَه عنِّي، قال لها رسول الله ﷺ: «أنتِ أحقُّ به ما لم تَنْكِحي»**[1]، وفي قولها: (ينتزعه) توضيح لمشاعر الأم، فإنَّ فقْدَ الأم لولدها كالروح التي تُنتزَع من البدن.

وفي الحديث بيانُ مراعاة الشريعة لهذه الفِطرة وإعطاء المرأة الحقَّ في الحضانة ما لم تنكح، وقد وقَع الإجماعُ على ذلك[2]، وهذا ما قضى به أبو بكرٍ ﷺ بين عمرَ ﷺ وزوجتِه من الأنصار أمِّ ولَدِه «عاصم» بعد أن طلَّقها وأخذَ ولده منها، فقال أبو بكر ﷺ: «**خلِّ بينها وبين ولدِها**». مع إقراره بعاطفة الأمومة بقوله ﷺ: **(هي أعطَفُ وأَلْطَف، وأرحمُ وأَحْنا وأرأَف)**[3]. فالنساءُ أعرَفُ بالتربية، وأقدَرُ عليها، وأصبرُ وأرأفُ وأفرغُ لها؛ وأقوَمُ بمقاصد الحضانة والتربية من الذكور، فكان تقديمُها لأجل الأنوثة[4]. ويقول «النووي ﷺ» في ذلك: (الحضانةُ هي القيام بحفظِ مَن لا يُميز ولا يستقلُّ بأمره وتربيته بما يُصلِحه ووقايته عما يُؤذيه، وهي نوعُ ولاية وسَلطنة، لكنَّها بالإناث أَلْيَق؛ لأنهنَّ أشفقُ وأهدى إلى التربيةِ وأصبرُ على القيام بها وأشدُّ ملازَمةً للأطفال[5]).

---

(١) رواه أبو داود في سننه (٢٢٧٦).

(٢) انظر: عون المعبود (ص: ٢٩٨)، سبل السلام (٢/٣٣٠)، حُسن الأسوة (١/٣١٥).

(٣) رواه عبد الرزاق في المصنف (١٢٦٠٠).

(٤) انظر: زاد المعاد (٥/٣٩٢).

(٥) روضة الطالبين ٦/٥٠٤.

وقد وردَ في الحضاراتِ ما يُفيد الاهتمامَ بحقِّ الأمومة، ففي شريعةِ حمورابي (١٧٦٣ ق.م.) موادُّ تَحمي الأمَّ بعد وفاة زوجها، فقد سنُّوا بعضَ القوانين؛ ومن ذلك ما جاء في المادة (١٥٠): (إذا أهدىٰ سيدٌ زوجتَه حقلًا أو بستانًا أو بيتًا، أو أموالًا، وترك لها بذلك رَقيمًا مختومًا، فلا يحقُّ لأولادها من بعد موت زوجها أن يُطالبوها بشيء من ذلك)[١].

وإذا نظَرْنا إلىٰ التاريخ عمومًا لوجدنا أن إظهار الاحترام والتقدير للأمهات كان ساريًا، والميل لهن بالحبِّ والإجلال كان ظاهرًا، ومن ذلك ما كان في الحضارة السُّومرية (٤٠٠٠ ق. م.) فقد كَثُر في نصوصهم المسمارية ما يدلُّ علىٰ اهتمامهم بالأم، وهم يحرصون علىٰ إسعاد أمَّهاتهم؛ فقد ثبت في حِكمةٍ سومرية قولهم: (ارْضَ بنصيبِك، واجعل أمَّك سعيدة)[٢]. وقد شاع اعتزازُهم بالأمهات، فهذا نصٌّ سومري يُبين مدىٰ اعتزاز الابن بأمه، إذ جاء في وصفه إيَّاها[٣]:

إنها مِثل الضوء الساطعِ في الأفق، إنها كأُنثىٰ الظَّبيِ في الجبال، إنها كنَجْم الصباح الذي يَسْطع حتىٰ في الظهيرة، إنَّ أمي كأمطارِ السماء، المياه التي تُؤدي إلىٰ نموِّ أفضلِ البذور، إن أمي كحديقةٍ من السرور، مليئة بالسعادة، إن أمي كشَجرةِ النَّخيل المحمَّلةِ بأطيبِ الأثمار.

---

(١) انظر: شريعة حمورابي (ص: ٥٤).

(٢) الأسرة في العراق القديم (ص: ٧٣).

(٣) انظر: الأسرة في العراق القديم (ص: ٧٥).

ومن أجلِّ مواضع الاعتزاز بالأمهات ما كان في يوم حُنَينٍ حينما نزعَ رسولُ الله ﷺ إلىٰ أمهاته فقال: «**أنا ابنُ العَواتكِ مِن سُلَيمٍ**»[(١)]، والمراد جَدَّاته عليهن السلام وهُنَّ ثلاث، كلُّ واحدة منهن اسمُها عاتكة[(٢)]. فذكر ذلك تعريفًا بجَدَّاته الطاهرات[(٣)].

وهذا «مُعاوية بن أبي سفيان» رضي الله عنه ابنُ: «هند بنت عُتبة» رضي الله عنها، وكان يعتزُّ بأمه ويقول: (أنا ابنُ هند)[(٤)].

وقد توالَت علىٰ الأمِّ المَمادِحُ وثناء الزهر علىٰ القَطر، حتىٰ تجاوزَت تلك الممادحُ ذاتَها إلىٰ طيبِ لبَنِها، فقد كانوا في الجاهلية يَمتدِحون لبنَ الأم ويَضرِبون به المثل إذا أرادوا بيان شدةِ جمال الشيء وحلاوته، فيقولون: (هو أحلىٰ مِن لبن الأم)[(٥)]. أي: إن هذا الشيء جميل؛ قد وصل بشدة جماله إلىٰ حدٍّ يجعله يفوقُ لبنَ الأم الذي لا يفوقه شيءٌ في الحلاوة.

ولما عُلم قدرُ الأم وقيمتُها عند الأبناء، كان في استِحْثاثِ بعضِهم بعضًا بهذه العاطفة سببٌ مزيلٌ للشحناء ومذكِّرٌ بالرَّحِم؛ ولذا نجد «هارون

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (٦٧٢٤)، وسعيد بن منصور في سننه (٢٨٤١)، وابن وهب في الجامع (١١).

(٢) أراد عاتكةَ بنتَ هلالِ بن فالج بن ذَكْوان بن عبدِ مَناف بن قُصيٍّ، وعاتكةَ بنت مُرَّة بنِ هلالِ بن فالج بن هاشمِ بن عبد مناف، وعاتكةَ بنتَ الأرقص بن مُرة بن هلال، أمَّ وهبٍ أبي آمِنةَ أمِّ النبي ﷺ؛ فالأُولىٰ عمةُ الثانية، والثانية عمةُ الثالثة، وبَنو سُلَيم تفتخر بهذه الولادة. انظر: السراج المنير شرح الجامع الصغير في حديث البشير النذير (٢/١٨٣).

(٣) التنوير شرح الجامع الصغير (٤/٢٥٣).

(٤) انظر: مجمع الآداب في معجم الألقاب (١/٥٠١).

(٥) انظر: التشكيل (ص: ٢٠٦).

عليه السلام» يلتمس رضا أخيه بعاطفةِ الرحم التي جمعَت بينهما، حين عاتبه «موسى عليه السلام»، فقال: ﴿قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي﴾[1]، فترقَّق له بذِكْر الأم مع أنه شقيقُه لأبَوَيه؛ لأن ذِكر الأم هاهنا أرقُّ وأبلغُ في الحنوِّ والعطف[2].

۞ أمٌّ ولو لم ألِد:

وهذه السيماء ـ الأمومة ـ هي أصلٌ في الأنثى، وهي مستقرَّة فيها وإن لم تَلِد أطفالًا، فكونُها أنثى يعني أنها تَحمل هذه العاطفةَ العظيمة، وتشعر بها فِطرةً، فعدمُ وِلادتها لا يسلب منها هذه السيماءَ الأنثوية.

وممَّا يُدلل على هذا، قولُ الله سبحانه: ﴿أَوۡ يُزَوِّجُهُمۡ ذُكۡرَانٗا وَإِنَٰثٗاۖ وَيَجۡعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٞ قَدِيرٞ﴾[3]، فبعد أن ذكَر الله سبحانه أن الزواجَ من الأسباب الشرعية الصحيحة لولادةِ الأولاد، بيَّن سبحانه أنه هو الذي يُعطيهم من الأولاد ما يشاء، إلا أن بعضهم قد لا يُولَد له[4]؛ ولذا قد يكتب الله لأنثى أن لا تَكون ولودًا، إلا أن في هذه الآية إشارةً إلى أن الأنوثة لا تقتضي الولادةَ أصلًا، فمن لم تَلِد لا يعني أنها حُرِمت من أنوثتها، ومشاعرها الأنثوية والعاطفية والأمومية. فالعُقم في الآية لم ينفِ صفة ﴿ذُكۡرَانٗا وَإِنَٰثٗا﴾ عن الذكر والأنثى.

---

(١) [الأعراف: ١٥٠].

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٣/١٦٣).

(٣) [الشورى: ٥٠].

(٤) انظر: تفسير الطبري (٢٠/٥٣٨)، تفسير السعدي (١/٧٦٢).

ومما يُدلل على هذا المعنى أيضًا قولُ النبي ﷺ: «**الخالةُ بمنزلةِ الأم**»[(١)]؛ فقد لا يكون للخالةِ ولد، لكنَّ عاطفتها تجاه الولد موفورة، كما قال «ابن حجر رحمه الله»: (الخالةُ تقرب مِن الأم في الحنوِّ والشفقة والاهتداء إلى ما يُصلِح الولد)[(٢)].

وقد ثبَت عِلميًّا أن وجود طفل في حياة الأنثى، واقترابَها منه بلمسِه، وشمِّه، ورعايته يُنشِّط إفرازَ هرمون الأوكسيتوسين[(٣)]، ويُنشِّط تكوين الدوائر العصبية الجديدة في مخِّ أمه بالتبني[(٤)].

فهذه العاطفةُ فطرةٌ وسيماء أودعَها الله ﷻ في الأنثى منذ نشأتها، ولذا تجدُها في صِغَرها تُداعب العرائسَ وتلعب بهنَّ وكأنها أمُّهن، وهذا اللعب الطفولي راجع لشعورها الأمومي الذي يمنحها الجمالَ والدَّلال.

۞ الأُمومة والرحمة:

لقد اختار النبيُّ ﷺ عاطفةَ الأمومة تحديدًا؛ ليُقرب من خلالها إلى أذهان الناس رحمةَ الله تعالى.

فحينما رأى هو والصحابةُ رضي الله عنهم امرأةً من السَّبي تسعى، إذ وجدَت صبيًّا في السَّبي، فأخذَته وألصقَته ببطنِها وأرضعَته، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**أترَون**

---

(١) رواه البخاري (٢٦٩٩).

(٢) انظر: فتح الباري لابن حجر (٥٠٦/٧).

(٣) هرمون الأوكسيتوسين (Oxytocin): يُسمَّى بهرمون الحب وهرمون الأمومة؛ لأهميته البالغة في مرحلة الولادة والرضاعة. انظر: https://www.tebfact.com

(٤) انظر: المخ ذكر أم أنثى (ص: ٢٢٠).

هذه طارحةً ولدَها في النَّارِ؟» قلنا: لا واللهِ، وهي تقدرُ أن لا تطرحَه، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «اللهُ أرحمُ بعبادِه من المرأةِ بولدِها»[(١)].

فاختار النبيُّ ﷺ في بيانه: هذه العاطفة؛ ليُقرب من خلالها إلىٰ أذهان الناس سَعةَ رحمة الله تعالىٰ، وفي ذلك رفعٌ لمنزلة الأمومة فوق كل عاطفة، فهي أسمىٰ من كل العواطف سوىٰ رحمة الله سبحانه.

ومما يُوضح مدىٰ عمق مشاعر الرحمة في الأمومة، ما كان من أمِّ موسىٰ عليه السلام وقد هاجت مشاعرها الأمومية حينما فقدَت ابنها، فقال سبحانه: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[(٢)].

فأصبح خاليًا من كل ذِكر وشُغل في الدنيا، إلا ذِكْر موسىٰ عليه السلام وهمَّه[(٣)]، فبقيت لا قلب لها من شدةِ ما أفْضَت به عواطفُها[(٤)].

ثم تأمَّلوا كيف أُبدِلَت تلك المشاعر الأمومية عندها من الحزن إلىٰ الفرح؛ حينما رجع إليها، فقال سبحانه: ﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[(٥)]. فقرَّت عينُها بطفلها؛ ولم تحزن بعد ذلك بفراقه[(٦)]، وقرارُ العين نقيضُ سخونتها،

---

(١) متفق عليه؛ رواه البخاري (٥٩٩٩)، ومسلم (٢٧٥٤).

(٢) [القصص: ١٠].

(٣) انظر: تفسير السمرقندي (٢/٥٩٩)، تفسير القرطبي (١٣/٢٥٥)، تفسير ابن كثير (٦/٢٢٣).

(٤) انظر: تفسير الزمخشري (٣/٣٩٥).

(٥) [القصص: ١٣].

(٦) انظر: تفسير الطبري (١٦/٦٢)، تفسير القرطبي (١٣/٢٥٨).

فإذا قرَّت العين برَدَت ولم تسخن[1]، فبردت عين «أم موسىٰ رحمه الله» وبرد بذلك قلبها.

فالأمومة عاطفةٌ تجعل الأنثىٰ متوزِّعة القلب، غزيرةَ الوَجْد، منجرفةً في جوَلانِ الهمِّ بالأولاد، قد أَهَمَّها الانشغال براحتهم، والسهر لمرقدهم.

وهذا الانشغالُ القلبي أحيانًا لا تُؤاخَذ به، بل ربما تُعان عليه بالتخفيفِ والمراعاة؛ ولذا يقول النبي ﷺ: «إني لأَدخلُ الصَّلاةَ أريدُ إطالَتَها فأسمَعُ بكاءَ الصبي، فأُخفِّفُ من شدَّة وَجْدِ أمِّه به»[2]، ويُراد بوَجْدِها: حزنها واشتغالُ قلبها به[3]، فأوجز النبيُّ ﷺ في صلاته لكي لا ينشغل قلبُ الأم علىٰ بكاء صبيها في أثناء صلاتها.

ففي الأمومة انشغالٌ فطري، والتفاتٌ من القلب طبعيٌّ، وابتهاجٌ وغِبطة عند القرب، وغُصَّة ولوعةٌ عند البعد.

وهذا «العبَّاس بن الحسن» لما أرادوا أخْذَه، وهو علىٰ بابه، فقالت أمُّه «عائشة بنت طلحة»: (دعوني أشَمَّه شمة، وأضُمَّه ضمة)، فقالوا: (لا والله، ما كنتِ في الدنيا حية)[4]، فهم يعلمون أنها لن تَقْوىٰ علىٰ رؤية ابنها وهو يُساق أمامها، وهي تَنشُد الظَّفَرَ بقربه ولو بشمةٍ وضمة، فكان الصراع بين غِبطة القرب، ولوعة البُعد.

---

(١) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٢/٧٩٠).

(٢) متفق عليه؛ رواه البخاري (٧٠٩)، ومسلم (٤٧٠).

(٣) انظر: شرح النووي علىٰ مسلم (٤/١٨٧).

(٤) انظر: مقاتل الطالبيين (ص: ١٨٠)، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان (١٢/١٢٥).

۞ التأثير الأمومي:

إنَّ لعاطفة الأنثى شروقًا وغروبًا، فهي تُشرِق إذا أبصَرَت معنى أمومتها، وغلَّفَتها بالتأثير والوعي؛ لتكون بذلك أنثى عارفةً بأولوياتها التربوية، متحصِّنةً بالعلم الذي به مناطُ نجاتها، مالكةً لزِمام عاطفتها، تُوجِّه أبناءها أو مَن تحت رعايتها لما فيه خيرُ دينهم ودُنياهم، وتُضحِّي من أجلهم، فتلك التي يشعر الأبناءُ معها أنهم أقاموا تحت سماء الأمن، ونامت عنهم عيونُ الطوارق، فهذه لسان حالها «كأم سليم بنت مِلْحان» ﵂ حينما خطَبها «أبو طلحة» ﵁ قالت: (لا أتزوَّج حتى يبلغ أنَس، ويجلسَ في المجالس، فيقول: جزى الله أمي عني خيرًا، لقد أحسنَت ولايتي)[1]. فرغم أن الزواج حقٌّ من حقوقها، إلا أنها آثرَت ابنها وأجَّلَت رغبتها في الزواج من أجلَه، ولما جلس أنسُ بن مالك ﵁ وتكلَّم، تزوَّجها أبو «طلحة ﵁».

فحريٌّ بالأنثى أن تَلبس لباسَ الوعي، ولا تكونَ كالتي غرَّبَت بانفصامِ عُرى وعيِها، بسببِ جهلها بأولوياتها، فنَجِدَها تُقدم ما حقُّه التأخير، وتُؤخر ما حقه التقديم، وتَغلِبُها العاطفة، وينهار جرف اصطبارها، فتلك كمَن اهتزت بسببها أسوارُ الأمن على أبنائها، فهم ربما لا يجدون عنها ما يشفي قلوبهم، ويُحسِّن أخلاقهم، ويَجبُر خِذلانهم، وثغراتِ سيرهم.

ولقد أقرَّت الشريعةُ الإسلامية على تأثير الأم بالأبناء، فقد قال سبحانه على لسان القوم الذي استنكَروا ولادةَ مريم ﵇ لمولود، فقالوا: ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾[2]، أي: أنتِ من بيتٍ طاهر معروفٍ بالصلاح

(١) انظر: الطبقات الكبرى (٨/٣١٣)، الإصابة في تمييز الصحابة (٨/٤٠٩).

(٢) سورة مريم: ٢٨.

والعبادة والزهادة[١]، ولم يُعرَف عن أمك شيء يمَسُّ العفاف، فمن أين جئت بهذا؟ وفي ذلك بيانُ أن طبع الأمهات وأخلاقَهن يسري على الأبناء ويُؤثر بهم.

يقول النبيُّ ﷺ: «**تخيَّروا لنُطَفِكم، فانكِحوا الأكفاءَ وأَنكِحوا إليهم**»[٢]، أي: تكلَّفوا طلبَ ما هو خيرٌ لكم في المناكح وأزكاها وأبعَدُها عن الفجور، لا تضَعوا نُطفَكم إلا في أصلٍ طاهر، غير فاجر؛ لأن هذه الرذيلةَ تتعدى إلى أولادها[٣].

وهذا أولُ حقٍّ من حقوق الأولاد قبل أن يأتوا إلى الدنيا هو حسنُ اختيار الأمَّهات، قال «أبو الأسود الدُّؤلي» لِبَنيه: (قد أحسنتُ إليكم صِغارًا وكبارًا وقبل أن تُولَدوا، قالوا: وكيف أحسنتَ إلينا قبل أن نولَد؟ قال: اخترتُ لكم الأمَّ مَن لا تُسَبُّون بها)[٤].

وما كان ذلك إلا لتأثيرِ الأمِّ في خلقِ الأبناء، وقد أشارَت الآثارُ في عصورِ ما قبل التاريخ إلى دور الأم وتحمُّلها لمسؤولية البيت والأبناء، وتُشير النصوص المسمارية إلى كونِ الأم تَقوم بتوجيه النصائح والإرشادات عندما يَكبرون ويبلغون أعمارًا تُؤهِّلهم للبدء في مرحلة جديدة في حياتهم، وفي المثَل السومري يقولون: (تَغوص البقرةُ في المستنقَع، لكي تجعلَ عجلَها

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٥/٢٢٦)، تفسير الطبري (١٥/٥٢٣).

(٢) رواه ابن ماجه في سننه (١٩٦٨).

(٣) انظر: شرح سنن ابن ماجه للسيوطي وغيره (ص: ١٤١)، التيسير بشرح الجامع الصغير (١/٤٤٦).

(٤) انظر: أدب الدنيا والدين (ص: ١٣٢).

يمشي على أرضٍ صُلبة)[1].

والأم المؤثِّرة الواعية هي التي يَعلم أبناؤها بأنهم سيَجدون عنها جبْرَ الخاطر، والبيان الصادق. وقد قامت الأم على مرِّ العصور بدورٍ حاسم في حياة أبنائها، فتعرَّفَت على الكثير من الأشياء التي كان لها أكبرُ الأثرِ في تحقيق الحياة المطمئنة لفلذات أكبادها، كما مرَّ معنا في رعاية «أنثى السكن».

ثم جاءت الأنثى المسلِمة، لِتَجمع بين فِطرتها الأمومية، وعبادةِ الأمومة في التأثير، لِتُصبح الأنثى المؤثِّرة والموجهة لأبنائها، فهي الموجِّه لهم في أمور الدنيا والدين.

وانظر إلى تأثير أسماءَ بنتِ أبي بكر ﵂ على ابنها عبد الله بن الزُّبير ﵁ حين رأى مِن الناس ما رأى مِن خِذْلانهم، فقال: (يا أُمَّهْ، خذَلَني الناسُ حتى ولَدي وأهلي، فلم يبقَ معي إلا اليسيرُ ممَّن ليس عنده من الدفع أكثرُ من صبرِ ساعة، والقوم يُعطونني ما أردتُ من الدنيا، فما رأيك)؟

فقالت ﵂: (أنت والله يا بُني أعلمُ بنفسك، إن كنتَ تعلم أنك على حقٍّ وإليه تدعو، فامضِ له؛ فقد قُتِلَ عليه أصحابُك، ولا تُمكِّن من رقبتِك يتلعَّب بها غِلمانُ أُميَّة، وإن كنتَ إنما أردتَ الدنيا، فبئس العبدُ أنت! أَهْلَكْتَ نَفْسَك، وأهلكتَ مَن قُتِلَ معك، وإن قلتَ: كنتُ على حقٍّ فلما وَهَن أصحابي ضعفتُ، فهذا ليس فعلَ الأحرار ولا أهلِ الدين، وكم خلودُك في الدنيا)! فدنا ابنُ الزبير فقبَّل رأسَها، وقال: (هذا والله رأيي،... ولكني أحببتُ أن

(١) انظر: orden, E, Sumeiran Animal proverbs and falbles "collectaon five", JCS vol ,12 ,1958 ,p. 18, No35

أعلم رأيَكِ، فزِدْتِني بصيرةً مع بصيرتي)[1].

وهذا سفيانُ الثَّوري، فقيهُ العرب ومحدِّثهم، كان ثمرةَ أمٍّ صالحة، قد حفظ التاريخُ لنا مآثرَها ومكانتها وفضائلها، فهي التي تقول له: (يا بُني، اطلُب العلم، يا بني اطلب العلم وأنا أعولُك بمِغْزلي)[2]، فكانت تَعمل وتُقدِّم له؛ ليتفرَّغ للعلم، وكانت تتخوَّلُه بالموعظة والنصيحة.

ولو بسَطْنا العنان في ذِكْر أعلام الأمَّهات، لملَأْنا سِفرًا كُتِبَت حروفه بأصدقِ وألطفِ معالم الحب والتأثير.

وقد مرَّ معنا في سيماء «الأنثى عاطفة»، عواطف الرَّحِم، وحرارتها التي أودَعها الله في جسد الأنثى، وكيف أن الله رزقها مصبًّا باردًا لِتَصبَّ فيه انفعالاتها، بعمق البيان! وكيف أن الله جعل أسمى عواطفِها في أمومتها، التي جعلَتها غزيرةَ الوَجْد، لتكون مَجْمعًا لقلوب أبنائها، فيتسوَّروا بأسوار عاطفتها، فتَجبُر خواطرَهم، ويشتدَّ عودهم.

(١) انظر: تاريخ الطبري (٦/١٨٨)، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان (٩/٦٧).

(٢) انظر: تاريخ الإسلام (٤/٣٨٣)، سير أعلام النبلاء (٧/٢٦٩).

السِّيماء الخامسة

الأنثى جمال
ضفائر الحُسْن

إن الأنثى هي مَطمَح النظر، وموضعُ الرغبة، وسكَن النفس، ومنتهى الأنس؛ والعربُ لا يعرفون مظهرًا من مظاهرِ الجمال خيرًا من الأنثى، خاصَّة وأن العرب ذَوُو نفوسٍ حساسة، وأذواقٍ لطيفة؛ إذا رأى أحدُهم الجمال: أخذ بمَجامع قلبه، وملَك عليه مشاعرَه[1]. حتى إنكم لتَجِدون الرجل إذا هَمَّ أن يَصِف جمالَ الأنثى، واقترب بألفاظِه وأوصافِه منها؛ لاحَت عليه ديباجةُ حُسنِها، وترقرق على وجهِه ماءُ جمالها، حتى أكسبَت ألفاظَه رونقًا مؤنقًا، وبهاء معلَّقًا بالدهشة والإعجاب والافتتان.

فهذا الأعرابي حينما ذكَر امرأة قال: (أرسَل الحُسن إلى خدَّيها صفائحَ نور، ورشق السحرُ عن لَحظِها بأسهُمٍ حِداد، ولقد تأمَّلتُ فوجدتُ للبدرِ نورًا من بعض نورها)[2].

وقال آخَرُ في أُنثاه: (هي أرقُّ من الهواء، وأطيبُ من الماء، وأحسن من النَّعماء، وأبعدُ من السماء)[3].

وفي هذا الركن نظفر بضفائرِ الحُسْن، ونُعاين ما أعطى الله مليحةَ الطَّرْف، لطيفة التكوين: «أنثى الجمال».

(١) انظر: امرؤ القيس (ص: ٧٤).
(٢) انظر: المحاسن والأضداد (ص: ١٩٣).
(٣) انظر: جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة (٢٩٩/٣).

الجمال والتكوين الأنثوي

١

لو تأمَّلْنا الجمالَ الأنثوي لوجَدْناه قمريَّ التصوير، شمسيَّ التأثير، خِلْقَة سويَّة فِطْرية، وصورة مقبولة أصليَّة، للعيون في مَحاسنه مرتع، وللأرواح به مُستمتَع.

لقد كوَّنَ الله ﷻ الأنثى على زينة، فجعلَها موضعًا للزينة المرغوبة والمحبوبة، ولذا قال ﷻ: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾[١]، فلما زُيِّنت الأنثى للذكر بما فيها من الدواعي المثيرات؛ تعلَّقت بها نفسُه، ومال إليها بقلبِه[٢].

إذن، فالنِّساء في ذاتهن زينة، ولو لم يتحلَّين بزينة؛ ولذا قال ﷻ: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾[٣]. وقد ذكر العلماءُ بأن زينة الأنثى نوعان؛ الأول: زينة أصليةٌ ذاتية، وهو جسدها، والثاني: زينة إضافية مُصطنَعة، كالحليِّ، وتطريز الثياب وتلوينها، والكُحْل ونحوِه[٤]، فأمر الله ﷻ الأنثى بأن لا تُظهِر شيئًا من هذه الزينة[٥]، ثم أمرَها

(١) [آل عمران: ١٤].

(٢) انظر: تفسير البغوي (١/٤١٧)، تفسير ابن كثير (٢/١٩)، تفسير السعدي (ص: ١٢٤)، تفسير القاسمي (٢/٢٩١).

(٣) [النور: ٣١].

(٤) انظر: التحرير والتنوير (١٨/٢٠٦)، تفسير السعدي (ص: ٥٦٦).

(٥) انظر: تفسير ابن كثير (٦/٤٥)، تفسير البيضاوي (٤/١٠٤).

سبحانه بلِباسٍ تقتضيه طبيعتُها الأنثوية لإخفاء الزينتَين: الأصلية والإضافية، فقال سبحانه: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ لكمال الاستتارِ حفاظًا على هذه الأنثى المرغوبة المتوَّجة بالزينتين[1].

۞ طبيعة التكوين الأنثوي:

فالنِّساء موضعُ الرغبة، ومطمَح الأنظار، وإليهن تَسكُن النُّفوس[2]، جعلهُن سبحانه من المرغوبات، وبدأ بهنَّ قبل بقيةِ الأنواع؛ إشارةً إلى أنهن الأصل في ذلك[3]. والله تعالى لما صدَّر الآيةَ بذِكْر الحب بقوله ﷻ: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ﴾، وكانت المحبوبات متفاوتةَ الدرَجات، اقتضَت الحِكمة الإلٰهية تقديمَ الأهمِّ فالأهم من المحبوبات، فقدَّم النساء[4].

ومما يُفيد معنى تقديم النساء على بقية المحبوبات، ما ورَد أن النبيَّ ﷺ قال: «**حُبِّب إليَّ من الدُّنيا النساءُ والطِّيبُ، وجُعِلَ قُرَّةُ عيني في الصَّلاة**»[5]. فحُبِّبت النِّساء إليه عليه السلام وإلى الناس، وزيَّنهن الله في قلوبهم[6].

وهذه المحبة لا تُنافي الزهدَ في الدنيا، فلا عيبَ على الرجل في حبِّه وعشقه للأنثى، بل قال «ابنُ القيِّم رحمه الله»: (فمحبَّة النِّساء من كمال الإنسان)[7].

---

(١) انظر: تفسير السعدي (ص: ٥٦٦).
(٢) انظر: تفسير المراغي (١٠٩/٣).
(٣) انظر: فتح الباري لابن حجر (١٣٨/٩)، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٢٥/٨).
(٤) انظر: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (٣٦/٢).
(٥) رواه النسائي في سننه (٣٩٣٩).
(٦) انظر: التحبير لإيضاح معاني التيسير (٦١٩/٤).
(٧) انظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (ص: ٢٣٨).

وهذا بلا شكٍّ يقع على الأنثى، فإن حبَّها للرجل لا يُنافي الزهد[١]، بل هو: أسمى الأشياء، إلا إذا زاحمَ هذا الحبُّ محبةَ الله ورسوله؛ فحينئذٍ يكون مذمومًا، وأما إذا أعان على محبة الله ورسوله وكانت مِن أسباب قوَّتِه؛ كان محمودًا[٢].

وقد زخر التاريخُ بأمثلة كثيرة تُدلِّل على أن الأنثى جميلةٌ فاتنة، صُبِغَت بصِبغة الزِّينة؛ حتى كان جمالُها وجمالُ أجزائها مُحركًا رئيسًا لعواطف الرجل، وموضعًا لشِعره ونثره.

ومِن ذلك ما قاله أعرابيٌّ واصفًا تأثيرَ جمال الأنثى على الرجال، فقال[٣]:

إذا هُنَّ أبْدَينَ الخُدودَ وحَسَّرَتْ ... ثُغورٌ عن الأفواهِ كي تَتبَسَّما

أجادَ القُضَاةُ العادِلونَ قَضاءَهمْ ... لَهُنَّ بلا وَهْمٍ وإن كُنَّ أظْلَمَا

وقال آخرُ واصفًا جمالَ الأنثى[٤]:

بَيْضاءُ يَحْمَرُّ خَدَّاها إذا خَجِلَت ... كَما جَرَى ذهَبٌ في صَفْحَتَيْ وَرِقِ

ووصف رجل الإناث بقوله: (كلامُهن أقتلُ من النَّبْل[٥]، وأوقعُ بالقلب

(١) انظر: التيسير بشرح الجامع الصغير (٢/٣٣٨)، فيض القدير (٥/٤١٠).

(٢) انظر: إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان ط عالم الفوائد (٢/٨٦٥).

(٣) انظر: عيون الأخبار (٤/٣٠).

(٤) انظر: العقد الفريد (٧/١٢٦).

(٥) النبل: اسم للسهام العربية، انظر: مادة (نبل) تهذيب اللغة (١٥/٢٥٨)، مادة (ن ب ل) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (٢/٥٩١).

من الوَبْل[1] بالمَحْل، فُروعهن أحسنُ من فروع النَّخل)[2]. وهكذا في كل عصر نجدُ الرجالَ يصفون الأنثىٰ بأوصاف الجمال في زمنهم.

ومن عجيبِ ما ورَد في الحضارة السُّومرية (٤٠٠٠ ق. م.) أنَّهم كانوا يَجعلون للأنعامِ قيمةً كبيرة؛ ولذا كانوا إذا أرادوا وصْفَ جمالِ أيِّ شيء، ربَطوه بأوصاف الأنعام، ومن ذلك وصفُهم للأنثىٰ، كما وصَف «ننليل» حبيبتَه «سود» التي أثارت الدَّهشة بجمالها فقال[3]:

وقفَت سود مثيرةً إعجابَ الجميع..

كبقَرةٍ كريمةِ الأصل! رائعةِ الجمال..

ولم تَقِلَّ دهشةُ «ننليل» عن دهشة العاشق «دوموزي» أمامَ حبِّه للأنثىٰ «إنانا» بقولِه:

يا للنَّغمِ العَذبِ مثل صوتِ بقرة!

يا للصَّدىٰ العذب مثلِ صوت عِجْل!

أي، إنانا أنت التي تَطوفين في الحظيرة..

وهكذا الأنثىٰ أَشْرَبَت كأسَ الشِّعر والنَّثر من حلاوة جمالِها؛ حتىٰ نَمَت علىٰ ضِفاف نهرِها: العبَرات والمسرَّات، بأيِّ لغة كانت.

---

(١) الوَبْل: المطرُ الشديد الضخمُ القَطْر، انظر: مادة (وبل) مقاييس اللغة (٦/٨٢)، (وبل) لسان العرب (١١/٧٢٠).

(٢) انظر: طبائع النساء وما جاء فيها من عجائب وأخبار وأسرار (ص: ١٣١).

(٣) انظر: ديوان الأساطير (ص: ٥٠).

۞ الزينة في كِيان الأنثى:

ولما كانت الأنثى في ذاتها زينةً؛ فهي مجبولةٌ على حبِّ ما يُتزَيَّن به، فقد قال ﷻ: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلْحِلْيَةِ﴾[1]، فمعنى مَن يُنشَّأ في الحِلْية: من يَنبت في الحليِّ والزِّينة[2] من أول أوقاتِ خَلقه ولا تُفارقه؛ ولذا نجد البنتَ تُتخَذ لها الحِلْية من أول عمرها، وتستصحب ذلك في سائر أطوارها، فهي منشغلةٌ بزينتها منذ نعومةِ أظْفارها، فحسبُك أنها شُقَّت طرَفا أذنَيها؛ لتُزيَّن بالأقراط، بخلاف الصبيِّ فلا يُحلَّى بمِثل ذلك[3].

ومما يُبين ميلَ الأنثى منذ صِغَرها إلى حبِّ التزيُّن، ما ورد عن «أم خالد بنت خالد بن سعيد ﭫ» حينما تزيَّنَت بثيابها الجديدة الصفراء الجميلة وهي طفلةٌ صغيرة، ومدحَها النبيُّ ﷺ، قالت: «**أتيتُ رسول الله ﷺ مع أبي، وعليَّ قميصٌ أصفر، قال رسولُ الله ﷺ: سَنهْ سَنه**»[4]. وسنه كلمةٌ حبشية تعني: حسَن[5].

ولا شك أن هذه الطبيعة الفِطريَّة الجمالية التي خُلِقت عليها الأنثى ونشَأت عليها؛ تنبثقُ منها دلالات أنثوية تتجلى في جسدها، وميولها، وقدراتها، واهتماماتها، وأقوالها وأفعالها، وكِيانها العاطفي. وقد كان فَهم هذا الاختلاف الجسدي ودلالتِه الأنثوية واضحًا في مختلِف الحضارات، كالدُّمى

(١) [الزخرف: ١٨].
(٢) انظر: تفسير السمعاني (٥/٩٥).
(٣) انظر: التحرير والتنوير (٢٥/١٨١).
(٤) رواه البخاري في صحيحه (٣٠٧١).
(٥) انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (٥/٢٣٠)، فتح الباري لابن حجر (١٠/٢٨٠).

الطينية لعصور ما قبل التاريخ وما فيها من تجسيدٍ كامل وواقعي لجسد الأنثى وفَهم ما يحتويه من جماليات، مع وضوح الإشارات النَّحْتية التي يتَّضح من خلالها تباينُ جسد الأنثى عن جسد الذكر[1].

۞ الجَمال في التكوين:

خُلِق الإنسان مجبولًا على محبَّة الحُسن، والإحساس بالجمال؛ ولذا فإن طلب الجمال أمرٌ فطري، وليس في مُستطاعِ النفوس أن تُغيِّر فِطرتَها التي فطرَها المصوِّرُ عليها.

ومن جميل ما ذُكِر في معنى الجمال ما قاله «المنفلوطي ﷺ»: (الجمال هو: التَّناسب بين أجزاء الهيئات المركَّبة، فما كان الوجهُ الجميل جميلًا إلا لتناسُبٍ بين أجزائه، وما كان الصوتُ الجميل جميلًا إلا لتناسُب بين نغماته، ولولا التناسبُ بين حبات العِقْد ما افتتنَت به الحسناء، ولولا التناسقُ في أزهار الرَّوض ما هامت به الشعراء)[2].

وهذا التناسبُ يكون في الظاهر والباطن، وفي ذلك يقول «القرطبيُّ ﷺ»: (فالجمال يكون في الصورة، وتركيبِ الخِلْقة، ويكون في الأخلاق الباطنة، ويكون في الأفعال)[3].

فأما جمالُ الباطن الذي يُسمَّى بالجمال الداخلي: فهو المحبوبُ لذاته،

(١) انظر: دور المرأة في الحضارات القديمة وأدوات الزينة (ص: ٢٠).
(٢) انظر: النظرات (١/١٨٩).
(٣) تفسير القرطبي (١٠/٧١).

وهو محلُّ نظر الله من عبده، وموضع محبته؛ لقوله ﷺ: «**إنَّ اللهَ لا يَنظرُ إلىٰ صُوَرِكم وأموالِكم، ولكن ينظرُ إلىٰ قلوبِكم وأعمالكم**»[(١)]، وهذا الجمالُ الباطنُ يزين صورة الأنثىٰ الظاهرة ـ وإن لم تكن حسناءَ ـ؛ فتكسوها من الجمال والمهابة والحلاوةِ بحسَب ما اكتسَت روحُها من تلك الصفات[(٢)].

ومِن ذلك ما كان مِن جمالِ باطن «ابنةِ شُعيب» حينما ذهبَت إلىٰ «موسىٰ عليه السلام»، قال ﷻ: ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾[(٣)]. فهي تمشي مشْيَ الحرائر، قد وضعَت كُمَّ درعِها[(٤)] علىٰ وجهِها، وهي تستحيي منه[(٥)]، وهذا يدلُّ علىٰ جمال باطنها، وكرَمِ عُنصرها، وخلقها الحسن؛ فإن الحياء من الأخلاق الفاضلة، وخصوصًا في النساء كما قال «السعدي رحمه الله»[(٦)].

وفي مَثلٍ ياباني: (حياء المرأة أشدُّ جاذبيةً من جمالها)[(٧)]. ويُشبهه مثَلٌ هندي: (زينة المرأة حياؤها)[(٨)].

وطلب الجمال الداخليِّ للأنثىٰ كان ظاهرًا حتىٰ في السياق التاريخي؛ ولذا نجد في الأمثال البابلية (١٧٦٣ق. م.) قولَهم: (لا تُبْدِ لجمال المرأة أيَّ

(١) رواه مسلم (٢٥٦٤).
(٢) انظر: روضة المحبين ونزهة المشتاقين (ص: ٢٢١).
(٣) [القصص: ٢٥].
(٤) درع المرأة: قميصها، انظر: مادة (درع) مقاييس اللغة (٢٦٨/٢)، مادة (درع) لسان العرب (٨٢/٨).
(٥) انظر: تفسير الطبري (٢٢١/١٨)، تفسير البغوي (٥٣٠/٣)، تفسير ابن كثير ت سلامة (٢٢٨/٦).
(٦) انظر: تفسير السعدي (ص: ٦١٤).
(٧) انظر: حدائق الحكمة (ص: ٢٧٨).
(٨) انظر: المرجع السابق.

اهتمام، ولا تُكِنَّ له في قلبك أيَّ اشتياق؛ إذ إن الجمالَ للمرأة يَكمُن في جمال سلوكها، وبهاؤها يتجلىٰ في جمال حديثها)[١].

ومثل ذلك ما كان في أمثال الجاهلية بقولِهم: (لا تطلبنَّ فتاةً من وسامتِها)[٢]. وقد ورَد عن أعرابيٍّ مدحُه لجمال امرأة، بذكرِ جانب من حُسن خلقها وهو تركُ التشكِّي، فقال: (هي خاليةٌ من ألَا ولَيْت)[٣]. ولذا لم يكن الجمال الخارجيُّ في أنثىٰ الجاهلية هو وحده المرغوبَ؛ فإنَّ الكثير من الرجال كانوا يُؤثِرون فيها جمالَ النفس، وكمالَ الخلُق، وشرَف النسَب، وكرم العنصر، ودهاءَ الرأي، وذكاءَ الفَهم سواءٌ كان ذلك من أنثىٰ حسناءَ أو لا[٤].

وقد وصف الرحَّالة الإيطالي «بيترو براجادينو» السلطانة «خُرَّم» زوجة السلطان «سليمان القانوني»، عند رؤيتها عام (١٥٢٦م) قائلًا: (ليست جميلة، ولكنها لطيفة)[٥]. فالجمال لم يكن يومًا منحصِرًا في الظاهر، والسلطانة «خُرَّم» كان جمالها في لطافتها.

ومن جميل ما ذُكِر حول الجمال الداخلي للأنثىٰ ما ذكره «مصطفىٰ الرافعي رحمه الله» حين قال: (ولا تكون المرأة جميلةً في عيني، إلا إذا أحسستُ حين أنظر إليها أنَّ في نفسي شيئًا قد عرَفَها، وأنَّ في عينيها لحَظاتٍ موجهة، وإن لم تنظر هي إلي، فإثبات الجمال نفسه لعيني، أن يُثبِت صداقتَه لروحي

(١) حضارة ما بين النهرين العريقة (ص: ٣٩).
(٢) انظر: لتشكيل: (ص: ١٨١).
(٣) انظر: نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب (ص: ٦٨٦).
(٤) انظر: المرأة في الجاهلية (ص: ٢٤).
(٥) انظر: السلطانتان خرم ومهرماه (ص: ٢٨).

باللَّمحة التي تدلُّ وتتكلم؛ تدلُّ نفسي، وتتكلم في قلبي)[1].

فهذا الجمال الداخلي الذي يحتاج إليه الخُلُق، أهم وأفضلُ من الجمال الذي يحتاج إليه الخَلْق، ولذا نجد أنَّ مَن أهملَت جمال الباطن وتركَت الأخلاق وباشرت المعاصيَ والرذائل؛ ينطفئ شيءٌ من حُسنِها ونورها، وتظهر في وجهها ظُلمة، فلا تزال تَعْلو هذه الظُّلمة وجهَها، حتىٰ تَكسِفَ جمالها الظاهري[2]، ككسوفِ الشمس والقمر.

وأما جمال الظاهر وهو: الجمال الخارجي، فهو زينةٌ خصَّ الله بها بعض الصور عن بعض، وهي من زيادة الخَلقِ التي قال الله ﷻ فيها: ﴿يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ﴾[3]، كالصورة الحسَنة، والصوت الحسَن، ولذَّة النَّغم[4]. وفي ذلك يقول «أبو فِراس»[5]:

قد فاقَ بدْرَ السَّماءِ حُسْنًا ... والناسُ في حُبِّه سَواءُ

فزَادَهُ ربُّه عِذارًا[6] ... تمَّ به الحسنُ والبَهاءُ

لا تَعْجَبوا رَبُّنا قَديرٌ ... يَزِيدُ في الخَلقِ ما يَشاءُ

---

(١) وحي القلم (١/٢٤١).

(٢) انظر: الاستقامة (١/٣٥١).

(٣) [فاطر: ١].

(٤) انظر: تفسير السمرقندي (٣/٩٩)، تفسير القرطبي (١٤/٣٢٠)، تفسير ابن كثير (٦/٥٣٢)، تفسير السعدي (ص: ٦٨٤).

(٥) انظر: ديوان الصبابة (ص: ١٧).

(٦) العِذار: هو خطُّ اللِّحية، فيُقال: ما أحسنَ عِذارَه! أي: ما أحسنَ خطَّ لحيتِه، والمراد أن الله أعطىٰ الغلامَ الجمال والحُسن وزادَ حُسنَه بجمال خط لحيته. انظر: مادة (عذر) تهذيب اللغة (٢/١٨٨)، مادة (عذر) لسان العرب (٤/٥٤٩).

وكما أن الجمال الداخليَّ من أعظمِ نعم الله تعالىٰ علىٰ عبده، فالجمال الخارجيُّ نعمةٌ منه أيضًا تُوجِب الشكر لله ﷻ. ولذا فإن الأنثىٰ إن شكَرَت الله بالتقوىٰ وصيانةِ النفس زادَت جمالًا علىٰ جمالِها، ولعل الأنثىٰ تتنبَّه لمثلِ هذه القاعدة: (حُسن الباطن يعلو قُبحَ الظاهر ويَستره، وقُبح الباطن يعلو جمالَ الظاهر ويسترُه)[1].

يـا حَسَـنَ الوَجـهِ تَـوَقَّ الخَنَـا ... لا تُبْـدِلَنَّ الـزَّيْنَ بالشَّـيْنِ
ويـا قَبـيحَ الوَجـهِ كُـنْ مُحسِـنَا ... لا تَجْمَعَـنْ بـينَ قَبيحَـيْنِ[2]

واللهُ سبحانه جميلٌ يُحبُّ الجمال، ولذا قال النبيُّ ﷺ: «**إنَّ اللهَ جميلٌ يُحبُّ الجَمال**»[3]، فالله جميل، ويحبُّ التجمُّل منَّا في الهيئة[4]، فيُحب سبحانه أن يتجمَّل الإنسانُ في ثيابه، وفي نعلِه، وفي بدَنِه، وفي جميعِ شؤونه؛ لأن التجمُّل يجذب القلوبَ إلىٰ الإنسان، ويُحبِّبه إلىٰ الناس[5].

والأنثىٰ مفطورةٌ علىٰ حب الجمال، ولهذا قالت «امرأةُ العزيز» للنِّسوة لما رأَين «يوسف عليه السلام» لِيَعذرنَها في محبتِه: ﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ﴾ أي: هذا هو الذي فُتِنتُ به، وشُغِفت بحبه، فمَن يُلومني علىٰ محبته وهذا حُسن منظره[6]؟!

---

(١) انظر: روضة المحبين ونزهة المشتاقين (ص: ٢٢٢).
(٢) اللطف واللطائف (ص: ٢).
(٣) رواه مسلم (٩١).
(٤) انظر: فيض القدير (٢/٢٢٤).
(٥) انظر: شرح رياض الصالحين (٣/٥٤٢).
(٦) انظر: روضة المحبين ونزهة المشتاقين (ص: ٢٢٢).

وللمتأمِّلين أن يتأمَّلوا كيف يَزداد جمالَ الظاهر بالباطن عند قول «امرأة العزيز»: ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ﴾ أي: فمع هذا الجمال، فإنَّ باطنه أحسنُ مِن ظاهره؛ فهو في غاية العِفَّة والنزاهة والبُعدِ عن الخنا[١]. يقول «السعدي» ﷺ: (فلما تقرَّر عندهنَّ جمالُ يوسفَ الظاهرُ، وأعجبَهن غاية، وظهَر منهنَّ من العذر لامرأة العزيز شيءٌ كثير؛ أرادَت أن تُرِيَهن جمالَه الباطن بالعفَّة التامة)[٢].

فمَن نالت جمالَ الظاهر والباطن، فقد نالت خيرًا كثيرًا، وقد وصَف الله الحور في الجنة بقوله ﷻ: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾[٣]، أي: خيرات الأخلاق، حِسان الوجوه[٤]، فجمَعن بين جمالِ الظاهر والباطن، وحُسن الخَلْق والخُلق[٥].

وحب الأنثى للجمال والتزيُّن لا يُعَد منقصةً في حقِّها أو مَذمَّة؛ لما ذكَرنا من بيان، وتأمَّلوا ما كان من أمرِ عائشة ﷺ؛ فقد أوقفَت جيشًا من أجل قِلادتها المفقودة، فقالت ﷺ: «**سقطَتْ قِلادةٌ لي بالبَيْداءِ ونحن داخلون المدينةَ، فأناخَ النبيُّ ﷺ، ونزَل**»[٦]، فلم يَستصغِر النبيُّ ﷺ رغبتها في البحث عن القلادة؛ لمعرفته ما تَعْنيه الزينة للأنثى، وفيه بيانُ جواز اتخاذِ النِّساء للحليِّ تجمُّلًا[٧].

---

(١) انظر: روضة المحبين ونزهة المشتاقين (ص: ٢٢٢).

(٢) انظر: تفسير السعدي (ص: ٣٩٧).

(٣) [الرحمن: ٧٠].

(٤) انظر: تفسير ابن عطية (٥/٢٣٥)، تفسير السمرقندي (٣/٣٨٨)، تفسير البيضاوي (٥/١٧٥).

(٥) انظر: تفسير السعدي (ص: ٨٣١).

(٦) متفق عليه؛ رواه البخاري (٤٦٠٨) واللفظ له، ومسلم (٣٦٧).

(٧) انظر: فتح الباري لابن حجر (١/٤٣٥).

وقد كُنَّ أزواجُ النبي ﷺ يتزينَّ في لباسهن، فعن «عائشة بنت سعد رضي الله عنهما» قالت: «**رأيتُ ستًّا من أزواج النبيِّ ﷺ يَلْبَسْنَ المُعصفَر**[1]»[2].

ولو رجَعنا إلىٰ التاريخ لوجَدنا استقرارَ هذه الفِطرة عند الأنثىٰ في جميع الأزمان والعصور، باختلاف وسائلها وطرقها.

فمثلًا في الحضارة السومرية (٤٠٠٠ق. م.) كانت النساء السومريات علىٰ درجةٍ عالية من الاهتمام بالجمال، فالصبغيات، والحليُّ، والأَدْهان، والجواهر، من أهمِّ ما وُجِد في المقابر السومرية، حتىٰ إنهم غالَوْا كثيرًا، حيث كانوا يُزينون الخيل التي تركبها النساء الثريَّات بالذهب[3].

وفي الحضارة الفرعونية (٣١٥٠ ق. م.) كان الاهتمام بالكُحل واضحًا في اللوحات والمنحوتات التي وُجِدت علىٰ طول وادي النيل، وكانت الأنثىٰ الفرعونية تعتني بمنتجات التجميل وتفاصيلها وأنواعها؛ فمنتجاتٌ لتجديد البشرة، وأخرىٰ لتقوية الجسم، وأخرىٰ لإزالة النفخ وحبوب الوجه، أما زينة الأنثىٰ الغنيَّة فكانت حدثًا هامًّا، حتىٰ إن الملكة «كليوبترا»، الأنثىٰ القوية بشخصيتها وبذكائها وبدهائها، قد أثبتت الدراسات أنها كانت تهتمُّ بجمالها، فاستخدمت زيتَ الحلبة في إزالة التجاعيد والنمش من بشرتها[4].

---

(١) المعصفر: الثوب المصبوغ بالعصفر، وهو صبغ معروف، انظر: مادة (عصفر) الصحاح (٢/٧٥٠)، مادة (عصفر) مجمع بحار الأنوار (٣/٦٠٨).

(٢) رواه عبد الرزاق في المصنف (١٩٩٥٦).

(٣) انظر: المرأة بين السماء والأرض (ص: ٤٩).

(٤) انظر: دور المرأة في الحضارات (ص: ٧٣).

وفي الحضارة البابلية (١٧٦٣ ق. م.) كان التَّجميل، واستعمال العطور من الأمور اليومية عند النساء، واهتمَّت الأنثى البابلية بمختلِف ألوان التجميل، وكانت تحتفظ بها داخلَ أوعيةٍ طينية، أو حجَرية أو داخلَ أصداف نُقِشت بنقوش فنِّية جميلة، وكانت تستعمل الصَّبغ الأسود للحواجب والأهداب، والأخضر لظلال العين، والأحمرَ للشِّفاه، وتصبغ باطن اليد والأرجل بالحناء، وكانت تحمل حقيبة نُحاسية بشكل دائم، وكانت تحتوي على منقش وسكِّين وملقط لتنظيفِ الأذن، ومن الأمور التي كانت لا تنساها أبدًا الأنثى البابلية: مِرآةُ اليدِ البرونزيةُ والمشطُ المصنوع من الخشب والعاج[١].

ولأن الأنثى مفطورةٌ على حب الجمال والتزيُّن، فقد راعَت الشريعةُ الإسلامية فِطرتَها في هذا الجانب، فأباحَت لها ما لم تُبِحه للرجل لحاجتها إلى التزيُّن[٢]، فقال ﷺ في الذهب والحرير: «**هذانِ حرامانِ على ذكورِ أمتي، وهي حِلٌّ لإناثِهم**»[٣]. ولا يخفى على أحدٍ قيمةُ الحليِّ بالنسبة للأنثى، وقد رُوي عن نافعٍ مولى عبدالله بن عمر رضي الله عنهم: «**أن ابنَ عمرَ رضي الله عنهم كان يُحلِّي بناتِه**

(١) انظر: المرأة في حضارات بلاد الشام القديمة (ص: ٧٧).

(٢) انظر: المبسوط للسرخسي (١٠٦/٣٠)، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (١٣٢/٥)، الفواكهُ الدَّواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني (٣٠٨/٢)، المعونة على مذهب عالم المدينة (ص: ١٧١٨)، العزيز شرح الوجيز (٩٨/٣)، المجموع شرح المهذَّب (٢٥٤/١)، المغني لابن قدامة (٤٥/٣)، كشَّاف القناع عن متن الإقناع (٢٣٩/٢).

(٣) رواه أبو داود في سننه (٤٠٥٧)، والترمذي في سننه (١٧٢٠)، وابن ماجه في سننه (٣٥٩٥).

الذَّهبَ، ويُلبِسُ نساءَه الإِبْريسَمَ[1] وأكْسِيَةَ الخَزِّ»[2].

فالأنثى جُبِلت على حب الحلي ورغبتها فيه، وكانت هذه الرغبة حاضرةً في الأزمان والحضارات، ومن ذلك الحضارة الكنعانية (١٢٠٠ ق. م.) وُجِدت في معظم المواقع: أدواتُ زينة كالخرز، والأطواق، والحلَق المصنوع من الصدف، والأسنان المثقوبة، والفقرات، وزخارف أخرى من موقع رأس زين بفلسطين[3]. وفي عصر حمورابي (١٧٥٠ ق. م.) كانت الأنثى تتجمَّل بأنواع من الحُلي: كالقلائد والأساور[4].

وأما الأنثى العربية في الجاهلية فكانت لا تترك الحليَّ، فغالبُ نساء العرب حالِيَاتٌ، وقد كانت بلاد العرب محفوظةَ الجنبات بمغاوصِ اللؤلؤ والمرجان، وهي فوق ذلك تستورد الذهب، والفضة، والزُّمُرُّد، والزَّبَرجَد، والعَقيق، والياقوت، وأشباهَها مما يهبط به التجارُ من مختلِف الأقطار ليبيعوه بلؤلؤ العرب ومَرْجانِهم[5]، ولذا تفنَّنت أنثى الجاهلية في أنواع الزينة، فزينت نفسها بالحلي من الذهب والفضة، والأحجار الكريمة.

يقول «العرَنْدسُ الكلابي»[6]:

بَـلْ أيُّهـا الرَّاكِـبُ المُفْنِـي شَـبِيبتَهُ يَبْكِـي عَلـى ذاتِ خَلْخـالٍ وإِسْـوارِ

(١) الإبريسم: هو الحرير، انظر: مادة (دقمس) تهذيب اللغة (٢٩٢/٩)، مادة (حرر) المصباح المنير (١٢٩/١).

(٢) رواه عبد الرزاق في المصنف (١٩٩٣٢).

(٣) انظر: المرأة في حضارات بلاد الشام القديمة (ص: ١٤).

(٤) انظر: المرجع السابق.

(٥) انظر: المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها (١١٣/١).

(٦) انظر: الكامل في اللغة والأدب (٦٨/١).

وكانت الأنثىٰ العربيةُ تَلبس الخَلْخال، وكانت تلبس أقراطَ الذَّهبِ واللُّؤلؤ، وتلبس القلائدَ وقد تكون من ذهبٍ أو لؤلؤٍ أو ياقوت[١]، وكانت تلبس السُّوَار أو الأسْوِرة، وهو نِطاق المِعصم، حتىٰ ضرَبوا بها أمثالهم، فقالوا: (لو ذاتُ سِوَارٍ لطَمتْني)[٢]، وأما في أعراسِهم فإن الأنثىٰ تُجلَّىٰ، ويُفرَغ عليها الحُلِي مما تَملك وما لا تملك؛ لأن قومها يَستعيرون لها أمتعَ ما في الحي من حُلي، بل ربما تجاوَزوا حيَّهم إلىٰ ما سِواه. فقد استعارَ «عُتبةُ بن ربيعةَ» ـ وهو في الشرَف الصَّميم مِن قومه ـ حُليَّ بني أبي الحُقَيق لتزفَّ فيه ابنتُه «هند» علىٰ «أبي سُفيان» ورَهَنَهم ابنَه «الوليد»، فأقام بينهم شهرًا ثم ردَّ الحليَّ موفورًا[٣].

وقد راعَت الشريعةُ الإسلامية هذه الفِطرةَ الجماليَّة الأنثوية أيضًا بالترخيص لها في بعضِ التكاليف، ومن ذلك ما رُوي عن «أم سَلمة ﵂» قالت: **يا رسولَ الله، إنِّي امرأةٌ أشدُّ ضَفْر رأسي فأنقُضه لغُسْل الجَنابة؟ قال** ﷺ: «**لا، إنَّما يَكْفيكِ أن تَحْثي علىٰ رأسِكِ ثلاثَ حثَياتٍ، ثمَّ تُفيضين عليكِ الماءَ فتَطْهُرين**»[٤]. وفي رواية: **فأنقُضه للحَيْضة والجنابة، فقال**: «**لا**»[٥]. فالمرأة التي تشدُّ ضفر رأسِها، أي: تجعله ضفائرَ، لا يلزمُها أن تنقضه من أجل الغُسل الواجب[٦]، باتفاق الأئمة الأربعة[٧].

---

(١) انظر: المرأة بين الجاهلية والإسلام (ص: ١٧٤ ـ ١٧٥).

(٢) انظر: المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها (١/١١٥).

(٣) انظر: الطبقات الكبرىٰ (٨/١٨٨).

(٤) رواه مسلم (٣٣٠).

(٥) رواه مسلم (٣٣٠).

(٦) انظر: شرح مسند الشافعي (١/١٩٧).

(٧) انظر: المبسوط للسرخسي (١/٤٥)، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشلبي=

ومنه: مُراعاتها في التحلُّل من الإحرام فلا تَحْلق الأنثى كالرجل، يقول النبي ﷺ: «**ليس على النِّساءِ حَلْقٌ؛ إنَّما على النِّساءِ التَّقصير**»[(١)]، فالمشروع للمرأة التقصيرُ دون الحلق[(٢)]، ولا يَخْفى ما في ذلك من حِكْمة المراعاة لأهمية الشَّعر وجمالِه بالنسبة للأنثى.

وقد امتلأ التاريخُ بالحديث عن شعر المرأة تحديدًا وأهميتِه لها؛ ففي الحضارة اليونانية (٨٠٠ ق. م.) كانت الأنثى تَعْتني بصَبْغ شعرها لتُكسِبَه شقرةً ولتُخفِيَ الشيب إذا كبرَت[(٣)].

وفي الحضارة الكنعانية (١٢٠٠ ق. م.) كانت تعتني بتصفيف شعرها، وتعقد عليه تيجانًا من الخرز[(٤)].

وفي الحضارة البابلية (١٧٦٣ ق. م.) كانت النساء يَفْخرْنَ بتسريحتهن القصيرة المجعَّدة التي كانت تتموَّج إلى الأسفل، وتشدُّ بشريط واحد فقط، وكانت هذه التسريحة تَلْقى استحسانًا كبيرًا[(٥)].

= (١٤/١)، الجامع لمسائل المدونة (٢٢٨/١)، الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني (١٤٩/١)، الأم للشافعي (٥٦/١)، المجموع شرح المهذب (١٨٦/٢)، المغني لابن قدامة (١٦٦/١)، كشاف القناع عن متن الإقناع (١٥٤/١).

(١) رواه أبو داود في سننه (١٩٨٤).

(٢) انظر: المبسوط للسرخسي (٣٣/٤)، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (١٤١/٢)، الرسالة للقيرواني (ص: ٧٦)، الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني (٣٦٦/١)، العزيز شرح الوجيز (٤٢٥/٣)، المجموع شرح المهذب (١٩٤/٨)، المغني لابن قُدامة (٣٩٠/٣)، كشاف القناع عن متن الإقناع (٥٠٢/٢).

(٣) انظر: قصة الحضارة (٨٨/٧).

(٤) انظر: المرأة في حضارات بلاد الشام القديمة (ص: ٧٥).

(٥) انظر: المرجع السابق.

واستخدمت الأنثى العراقيةُ في العصر البويهي لتمشيط شعرها أمشاطًا مصنوعةً من الصدَف والصندل والخشب، حيث كانت أجودُ أمشاطِ الخشب من التوت، لمكانته وحُسن أدائه، واستعانت الأنثى العراقية بالماشطة، وهي التي تقوم بأعمال التجميل[1].

وكانت الأنثى في العصر العبَّاسي تستخدم الأصباغ، وكانت تلك الأصباغ مُختلفةَ الأنواع؛ منها: الحنَّاء، وكانت تُصفِّف شعرها بما يُدْعى بالطُّرة السُّكَينية، أو الجمَّة السُّكينية، نسبةً إلى السيدة «سُكَينةَ بنتِ الإمام الحسين»، وكانت أجملَ الناس شعرًا، وكانت تُصفف شعرها تصفيفًا لم يرَ الناسُ أحسنَ منه، حتى عُرف ذلك وشاع وقلَّدْنه النساء[2].

(١) انظر: المرأة في العصر العباسي (ص: ١٩).

(٢) انظر: المرجع السابق.

الجمال والاتزان الأنثوي

٣

أرسى الشارعُ الحكيم بُنيان الأنوثة، ووضَع قواعدها وأركانها؛ وعزَّزها بمعزِّزات الجمال التي هي كالجوهر للعِقْد؛ فلما اكتمَل بذلك بنيانُها، ولمع نَجمُها؛ كان حقًّا على الأنثى أن تَفْخر بما منَّ الله عليها من المَكْرُمات، وجزيل العطيَّات، فهي تحت كنَفِ هذا الدين قد حازت خيرَي الدنيا والآخرة، ولا تزال تتقلَّب الأنثى في الجمال بحقِّها الفطري الذي كفَله الله لها، بمعززات الشريعة الإسلامية، إلا أنها ينبغي أن تأخذ هذا الحقَّ بميزانه؛ فإن بعض الإناث قد يَمِلْن بميزان الجمال إلى الإخلال، فيُصبح بميلهن الجمالُ مدخولًا، والحُسنُ موهومًا.

۞ الإفراط والتفريط في الجمال:

إن الإفراط في التجمُّل أو التفريطَ فيه، إخلالٌ بميزان الأنثى الجمالي، فأما الإفراط، فقد يصل من الأنثى إلى الحدِّ الذي يُفحِشها، ولا يُجمِّلها وفي هذا المعنى يقول «ابنُ حزم رحمه الله»[١]:

تَــزِينُ إذا قَلَّــتْ ويَفحُــشُ أمْرُهــا ... إذا أفْرَطَت يومًا وهَل يُحمَدُ الفَرطُ

ولذا فإن الإفراطَ في التجمُّل والمبالغةَ فيه تَنفرُ منه النفوس، وإن التصنُّع

(١) طوق الحمامة لابن حزم (ص: ١٥٤).

لَيَنِدُّ عن جوهرِ الأنوثة الصافي، ولا يلتقي معه.

وقد دُوِّن في التاريخ ما يُفيد تلك المبالغةَ، ومن ذلك ما ذكَره «ول ديورانت» في المرأة الأثينية ذاتِ الشأن، يقول عنها: (كانت تدهن وجهها وصدرها بزيتِ النخيل، وحاجبها بالبردقوش، وعنقَها وركبتها بخلاصة الصَّعتر؛ وذراعيها بخلاصة النَّعناع، وساقَيها وقدميها بالمُر، وكانت المرأة تُعتبَر سيدةً بتَعْداد ما تستخدمه من الأدهان والأصباغ الكثيرة، فيُقال في وصف جمال هذه السيدة: إذا خرجَت في الصيف تحدَّر من عينيك خطَّان أسودان، وجرىٰ نهرٌ أحمرُ من خدَّيك إلىٰ عنقِك، وإذا مس شعرُك وجهَك ابْيَضَّ من الرصاص الأبيض!)[1].

وكذلك ما كان من النساء الإنجليزيات المنتميات للطبقات العليا، كيف كُنَّ يُضمِّخْن شعورهن بالمساحيق والعطور، ويُمشِّطنها في خصلات فوق جِباهن، وزِدْن عليهن خصلات مستعارةً مرفوعة علىٰ أسلاكٍ خفية، وكسَوْن قبَّعاتهن بالريش النادر، ووضَعْن علىٰ خُدودهن وجباههن وأذقانهن لصقاتٍ تجميلية، وهي قطعٌ صغيرة جدًّا من حرير أسود تُلصِقها النساء كوسيلةٍ لإخفاء العيوب أو للتبرُّج، زيادةً في إغراء الرجال بمُطاردتهن، حتىٰ إن بعض النساء صنَعْن أسنانَهن عند ناظم اللآلئ في بلاك فرايرز، وحواجبها من خيوط أو أسلاك مجدولة في استراند، وشعرها في شارع الفِضة، فإذا أوَت إلىٰ الفراش نزعَت عن نفسها كلَّ ما عليها لتضَعه في عشرين صندوقًا، حتىٰ إذا نهضت من نومها ظُهر اليوم التالي، ركَّبَت كل شيء في مكانه علىٰ جسمها من جديد،

(١) انظر: قصة الحضارة (٧/٩٠).

وكأنها ساعةُ حائط ألمانية ضخمة[١]، فضاع ما لشعرِ الأنثىٰ من بريقٍ وبهاء في الطبقات المقوَّاة التي علَت فوق رأسها عُلوًّا اقتضىٰ حمايتها من أن تَحرقها الثُّرَيات، وأُخفِيَت وجوه النساء وراء الغَسولات، والطِّلاءات، ولصقات التجميل، والمساحيق والحواجب المتحركة، وجُنِّدَت كل جواهر الشرق لتزيين شعورهن وآذانهن ونُحورهن وأذرعتهن وثيابهن وأحذيتهن[٢]، ولَبِسن التنُّورات ذاتَ الأطواقِ الموسعة التي كانت العائقَ الأكبر للأحاديث الجانبية، حيث رُوي عن «مدام دي كريكي» أنها لم تستطع أن تهمس في أذن «مدام دي أجمونت» لأن التنورة ذاتَ الأطواق الموسعة حالت دون اقتراب الواحدة منهما من الأخرىٰ![٣].

لعل مَن يقرأ مثلَ هذه الأوصاف يعجب من هذا التجمُّل الوعر، إلا أنها ليست ببعيدةٍ عن واقعنا المعاصر؛ فهي تُحاكيه وتناغيه، وإن كان واقعنا أتىٰ بها بذوقٍ وهيئة مُغايرة، بل إن زماننا قد زاد علىٰ ما سبق بإدخال الحقنة والمشرط في الجسد، حتىٰ رَكِبَت بعض الإناث أكتافَ الشدائد، واستلقَت كالذبيح علىٰ فِراش التشريح، لتُغيِّر وتعبث وفق ما يتراءىٰ لذَوقها بحسَب ما استجدَّ في مجتمعها من الموضة.

إذا دخل الإفراطُ والإسراف في الجمال قَلَبَه، وسلَبه رونقه، مثل البياض إذا زاد انقلب برَصًا.

---

(١) انظر: قصة الحضارة (٣٢/١٥٢).

(٢) انظر: المرجع السابق (٣٥/١٠٩ ـ ١١٠).

(٣) انظر: المرجع السابق (٣٦/٧٣ ـ ٧٤).

ولا تزال تجد في كلِّ زمان مثل هذه الفئة المغالية في الجمال. وقد قال سبحانه: ﴿وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾[1]، فإن السرَف يُبغِضه الله، ويَضرُّ بدنَ الإنسان ومعيشته[2].

وأما التفريط في التجمُّل، فالمقصود به: تركُ الأنثى للتجمُّل، فتُهمِل فطرتها الجمالية، لدوافعَ عدةٍ، ومثل هذا الإخلالِ يُستنكَر منه؛ ولذا حينما دخلَت «خُوَيلة بنتُ حكيم السلمية» على عائشة ﵂ فرأَى رسولُ اللهِ ﷺ بَذَاذَة هَيئَتِها فقال لعائشة ﵂: «**يا عائشة، ما أبَذَّ هيئَةَ خُويلةَ**»! **قالت** ﵂: **فقلتُ: يا رسولَ اللهِ، امرأةٌ لها زَوجٌ يصومُ النهارَ ويقومُ الليلَ، فهي كَمنْ لا زوجَ لها، فترَكَتْ نفسَها وأضاعَتْها**[3]. فلا يتناسب مع الأنثى أن تُفرِّط في جمالها، ويَقبُح ذلك خاصةً من الأنثى المتزوجة، وليست زينةُ الأنثى التي تكون نابعةً من القلب، ومُفيضة على الرجل بسِحرها، كزينةِ الأنثى التي تكون مجردةً لتلبية الطلب، فإن الفرق بينهما هو الفرقُ بين الإرادة والانقياد، وبين من يُريد ومن ينتظر أن يُراد[4].

وقد كانت الأنثى العربية التي لا تتزيَّن قد خالفت العُرف العامَّ في مجتمعها، وتُسمَّى بالمرهاء[5]، والمرهاء في اللغة الأرض التي لا شجر فيها[6]، فكأن المرأة بغير زينة، كالأرض التي لا شجرَ فيها.

---

(١) [الأعراف: ٣١].

(٢) انظر: تفسير السعدي (ص: ٢٨٧).

(٣) رواه أحمد في المسند (٢٦٣٠٨).

(٤) انظر: طبائع النساء وما جاء فيها من عجائب وأخبار وأسرار (ص: ١١٦).

(٥) انظر: المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها (١/١١٣).

(٦) انظر: (مادة ه ق م) تهذيب اللغة (٦/٧)، (مادة: مره) لسان العرب (١٣/٥٤٠).

والراجعات لهذا الصِّنف من الإهمال أنواع: فمِنهن مَن تترك الزينةَ لكسلٍ وكُره، أو لحزنٍ وبُغض، فهذه تُنبَّه وتُشحَذ همتُها للرجوع لفطرتها، ومنهن مَن تترك هذا الأمر قناعةً منها بأن مِثل ذلك لا يتناسب مع وَفْرة العقل والدِّين، فكأنَّ مَن علا عِلمُها أو علا دينُها وورَعُها وجدَت في هذا التجمُّل خوضًا في سَفاسف الأمور، فظنَّت بأنها بِتَركها التجمُّلَ قد تركَت سفاسفَ الأمور واختارت أعلاها، وهذا من التلبيس، فإن ورَع المرأة ودينها لا يقتضي انسلاخها مِن فطرتها وجمالها الأنثوي؛ فهذه عائشة ﵂ من أوفرِ النساء عقلًا ودينًا، ما تركَت خَصيصتها الأنثوية، ولا استهانت بحقيقتها الفطرية، وقد مرَّت علينا شواهدُ من الشرع تُدلل حول هذا المعنى.

۞ الخروج عن مقصود الجمال:

ومن الإخلال في ميزان الجمال: أن تخرج الأنثى عن مقصودِه، فتجعل من نفسِها سِلعة، والجمالُ ليس بسِلعة؛ ولذا فإن ظاهرة التسليع الجمالي قد انتشرت في زمننا هذا، والتسليع أي: أن يكون تقديرُ المرأة مرهونًا بجاذبيةِ جسدها، وهذا يقودنا إلى ظاهرة مهمة يُسمُّونها: (sexual objectification of women) أي: التسليع الجنسي للمرأة، بمعنى: التعامُل مع المرأة على أنها شيء للاستعمال؛ وأنها سِلعة جنسية، لا إنسانة تُقيَّم بإيمانها وأخلاقها وأمانتها، وذكائها ومهاراتها[1]. وقد وجد تقرير صادر عن الجمعية الأمريكية لعلم النفس «APA» عن التحريض الجنسي للفتيات في وسائل الإعلام وكونه من وسائل العنف ضد المرأة: أنَّ الفتيات يتمُّ تصويرهن بطريقة جنسية أكثرَ

(١) انظر: تحرير المرأة القصة الكاملة (ص: ١٧).

من الأولاد؛ ويرتَدين ملابسَ كاشفة، مع أوضاع جسدية أو تعابير الوجه التي تُشير إلىٰ الاستعداد الجنسي[١].

وقد شُبِّه علىٰ بعض النساء هذا المفهومُ، فاتجَهْن لتسليع أنفسهن؛ ظنًّا منهن بأنهن حينما يَخُضن في التسليع فإنهن يجعلن الأنثىٰ تحتضنُ الأنوثة، وتستعيدُ جوانبَها الأنثوية، وتُظهِر قوتها، ومثل ذلك ما كان من الحركة النسوية: «Lipstick feminism» وهم: نسوية أحمر الشِّفاه، وهي حركة نسوية ظهرت من الموجة الثالثة، تتبنَّىٰ مفهوم القوة الجنسية للمرأة، معتقِدةً بأنها من خلال التعرِّي والعرض الجنسي تُخضِع الرجال لسيطرتها؛ فيحصل بذلك التمكينُ للأنثىٰ، وتحقيقُ المساواة بينها وبين الرجل من خلال استخدامها لهذه القوة[٢]، وتفرعت عن هذه الحركة حركةٌ أخرىٰ تُسمَّىٰ بحركة: «Stiletto feminism» أي: نسوية الخنجر. والعجيب أن سبب ظهور هذه الحركة نابعٌ من إنكارِهن التسليعَ، ولذا قالت هذه الحركة: إن أحمر الشِّفاه والكعبَ العاليَ لا يجب أن يكونا سببَ ضعف المرأة[٣]، فوضعت الحلولَ لهذه المشكلة، وهي أن يكون التعرِّي والعرضُ الجنسي مصدرَ ثقةٍ وقوة، فاعتمدت بشكل خاص علىٰ الجمال الجسدي للأنثىٰ، وممارسة الأعمال المأجورة التي تقتضي التعريَ والعرض الجنسي لإغواء الرجال وإشباعهم، فانتقلَت من مشكلة التسليع إلىٰ فاجعة التسليع! وفي هذا المقام

(١) انظر: موقع اليونسف ـ أمريكا، https://www.unicefusa. org/stories/not-object-sexualization-and-exploitation-women-and-girls/30366

(٢) انظر: ويكيبيديا (Lipstick feminism). وللاستزادة انظر:
emale Chauvinist Pigs: Women and the Rise of Raunch by: Ariel Levy .

(٣) انظر: مقال:
/Stiletto Feminism https://tealswan.com/teals-blog/stiletto-feminism

أحبَبنا أن نُنبه أنه ينبغي علاج المشكلات المجتمعية التي تتعلق بالأنثى بوعي، وبحلول مَبنيَّة على علم وحكمة، وعدم مواجهة المشكلات بحلولٍ واهية تؤدي بالمشكلة إلى مشكلات أعظم.

وعلى الأنثى أن تكون واعيةً بمشكلة التسليع، فعندما يتمُّ تمييز الأنثى بِناءً على جسدها، أو أجزاء من جسدها؛ فقد تم فصلُها عن كِيانها كإنسان، فيُنظَر إليها باعتبارها كائنًا ماديًّا. فلتنتَبِهِ الأنثى ولا تجعَلْ من نفسِها سلعةً جِنسية أو إعلانيَّة، أو وسيلة للتملُّق أو التسلية أو زيادة الرِّبحية، خاصةً وأن للأنثى رأيًا في اختياراتها وصُنع قراراتها، فكم من أنثى ساقت نفسَها لتجعل مِن كيانها سلعةً، ومنتجًا قابلًا للاستهلاك الآدمي، ولم يجبرها أحدٌ على هذا الانقياد.

ولعلَّنا نجد أن الأخبار الواردةَ في تستُّر المرأة العربية وعفافِها وشرفها وعزةِ نفسها موفورة، حتى كان في انتهاك سترها سببٌ لحرب اليوم الثاني من حروب الفِجار؛ إذ إن شبابًا من قريش وبَني كِنانة، رأَوا امرأةً وسيمة جميلة من بني عامر في سوق عكاظ، وسألوها أن تَكشف عن وجهها فأبَت، فامتَهَنها أحدُهم، فاستغاثت بقومها، فقامت الحرب من أجلها![1]

ولذا نجد حتى مَن لم تعتنِقْ دين الإسلام وتعرفُ حدوده، كان الحياء وشرفُ الاحتشام وعزة النفس، قاطعًا لِيد التسليع السارقة، خاصَّة وأن الحياء والاحتشامَ أصلٌ من أصول الأنثى في الأمم، ولعل الرجوع إلى كتابنا «وِشاح القمر» فيه إفادةٌ حول هذا الباب.

(١) انظر: المنمق في أخبار قريش (ص: ١٦٣)، الكامل في التاريخ (١/٥٢٧).

وحتىٰ في العالم الغربي نجد أن «روسو» مثلًا حينما تكلَّم بالتفصيل عن الخصائص الأنثوية الفطرية التي لا تَقْبل الشك، ذكر منها: الخجل والاحتشام[١].

۞ تجاهُل أحكام الشريعة:

إذا تجاهلَت الأنثىٰ أحكامَ شريعتها فإنها بذلك تَميل عن الميزان العادلِ للجمال، ولا شكَّ أن الأصل في حُكم التجمُّل والتزيُّن الإباحة، وقد قال تعالىٰ: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾[٢]، وهذا الأصل جارٍ في كل الأمور الدنيوية؛ لأن الأصل في الأشياء الإباحةُ إلا ما حظَره الشرع[٣]، فلا ينتقل الحكم من الإباحة إلىٰ التحريم إلا بدليل؛ ولذا فقد حرَّمَت عليها بعض أنواع الزينة مثل: النَّمص للحاجب، والوصل للشعر، والوَشْم للبدن، لقول النبي ﷺ: «**لعنَ اللهُ الواشِمَةَ والمستوَشِمَةَ، والواصِلةَ والمُستوصِلة**»[٤].

وجعَلَت لها ضوابطَ مثل: عدم رؤية الرجال الأجانب لزينتها وجمالها فتحتجبُ عنهم، وتتلطَّف بإظهارها أمامَ مجموعة كبيرة من الأشخاص الذين رخَّص لهم الشارعُ في الرؤية، فقال ﷻ: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ

(١) انظر: النساء في الفكر السياسي الغربي (ص: ١٥٠).
(٢) [الأعراف: ٣٢].
(٣) انظر: الورقات (ص: ٢٧)، البحر المحيط في أصول الفقه (٨/١٠).
(٤) متفق عليه؛ رواه البخاري (٥٩٣٧)، ومسلم (٢١٢٤).

بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآئِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوۡ نِسَآئِهِنَّ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيۡرِ أُوْلِي ٱلۡإِرۡبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفۡلِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يَظۡهَرُواْ عَلَىٰ عَوۡرَٰتِ ٱلنِّسَآءِۖ وَلَا يَضۡرِبۡنَ بِأَرۡجُلِهِنَّ لِيُعۡلَمَ مَا يُخۡفِينَ مِن زِينَتِهِنَّۚ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾[1]، وللاستزادة حول حكمِ الاحتجاب وتاريخه يُمكن الرجوع إلىٰ كتابنا «وشاح القمر».

ولسنا بصدَدِ التَّفصيل في ضوابطِ الزِّينة فليس هذا موضِعه، إلا أنه ينبغي علىٰ الأنثىٰ أن تُثقِّف نفسها، وأن تبحث عن ما منَعه الشارع، أو تستفسر عن حُكم الزينة التي ترغب فيها، فتتجنَّب الحرام، وتتلطَّف بما أحلَّ الله لها من الزِّينة الحلال، فتأخذ بما أتىٰ به الشرع، وتنتهي عمَّا نهىٰ عنه الشرع. مثل «أم يعقوب» التي حرَصَت علىٰ الاستفسار والتأكد بنفسها عن أحكام التجميل من «عبد الله بن مسعود ﷺ» عندما قال: «**لعنَ اللهُ الواشماتِ والمستوشمات، والنامِصات والمتنمِّصات، والمتفلِّجات للحُسن، المغيِّرات خلْقَ الله**» فلما بلغ قولُه «أمَّ يعقوب» أتَتْه فقالت: «**ما حديثٌ بلَغَني عنك أنكَ لعنتَ الواشماتِ والمستوشماتِ والمتنمِّصات والمتفلِّجات للحُسن، المغيرات خلقَ الله؟ فقال عبدُ الله ﷺ: وما لي لا ألعنُ مَن لعنَ رسولُ الله ﷺ وهو في كتابِ الله! فقالت: لقد قرأتُ ما بين لوحَي المصحفِ فما وجَدتُه. فقال: لئن كنتِ قَرأتِه لقد وجَدتِه، قال الله ﷻ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ فقالت: فإني أرىٰ شيئًا من هذا علىٰ امرأتِك الآن. قال: اذهبي فانظري قال: فدخلَت علىٰ امرأةِ عبد الله فلم ترَ**

(١) [النور: ٢٤].

شيئًا، فجاءت إليه فقالت: ما رأيتُ شيئًا. فقال: أما لو كان ذلك لم نُجامِعْها[1]»[2].

❁ الفصل بين الجمال والطهارة:

وإذا فصلَت الأنثى بين الجمال والطهارة، فقد أخلَّت بالميزان الجمالي، فغريبٌ أن يكون حظُّها من الجمال: المساحيقَ والطِّيب، مع عدم اعتنائها بسنن الفطرة، وتطهُّر البدن، ونظافة الثياب؛ يقول سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ ومنه التطهُّر الحسي من الأنجاس والأحداث[3].

وقِوام الزينة في النَّظافة، يقول «امرؤ القيس»[4]:

أَلَـمْ ترَيَـاني كلَّمـا جِئـتُ طارِقًـا وجَدتُ بها طِيبًا، وإن لـم تَطيَّـبِ

وعن «عائشة ﵂»، قالت: قال رسول الله ﷺ: «**عشرٌ من الفطرة: قصُّ الشارب، وإعفاءُ اللِّحية، والسِّواك، واستنشاقُ الماء، وقصُّ الأظفار، وغَسْل البَراجم[5]، ونتْفُ الإبْط، وحلقُ العانة، وانتقاصُ الماء**» قال «مُصعبٌ»: (ونسيتُ العاشرةَ إلا أن تكون المضمضةَ؛ زاد قتيبة)، قال «وكيع»: (انتقاص الماء: يعني الاستنجاء)[6]. وقد جاء الإسلام بأسلوبٍ بديع في الطهارة

---

(١) أي: لم نُصاحبها، بل نفارقها، انظر: شرح النووي على مسلم (١٤/١٠٧).

(٢) متفق عليه؛ رواه البخاري (٥٩٣١)، ومسلم (٢١٢٥) واللفظ له.

(٣) انظر: تفسير السعدي (ص: ١٠٠).

(٤) انظر: ديوان امرئ القيس ت المصطاوي (ص: ٧٤).

(٥) البراجم وهي مفاصلُ الأصابع. انظر: مادة (برجم) تهذيب اللغة (١١/١٧٥)، مادة (برجم) لسان العرب (١٢/٤٦).

(٦) رواه مسلم في صحيحه (٢٦١).

والتنظيف، والنصوصُ حول ذلك كثيرة، لا يتَّسع المقامُ لذِكرها.

وفي التاريخ نجد أن التنظُّف يأتي في سياق الجمال والتجمُّل؛ وذلك لكون الجمال يبدأ من الطهارة، ومن الاعتناء بنظافةِ البدن وطهارته ونعومته.

وقد ذكر «ابن عباس رضي الله عنه»: أن الملكة «بِلقيس» لما دخلَت وكشفَت عن ساقَيها، رأى «سليمانُ عليه السلام» على رجليها شعرًا؛ فأحبَّ أن يذهب ذلك عنها فقيل لها: الموسى؟ فقالت: لا أستطيع ذلك. وكره «سليمانُ عليه السلام» ذلك، وقال للجن: اصنعوا شيئًا غير الموسى يذهب به هذا الشعر، فصنَعوا له النَّوْرة[1][2].

ومن معتقَدات الأنثى في الحضارة المصرية (٣١٥٠ ق. م.) أن النظافة أفضلُ من التجمُّل بالمساحيق؛ ولذا فهي تحلق شعر جسمها بأجمعِه مرةً في كل ثلاثة أيام، وتغتسل بالماء البارد مرتَين في النهار ومرتين في الليل[3].

وكانت الأنثى اليونانية (٨٠٠ ق. م.) تعتني بإزالة الشعر من بعض أجزاء بدنها، وتستخدم في ذلك أمواسًا وأدهانًا مصنوعةً من الزرنيخ والجير[4].

وكانت الأنثى البابلية (١٧٦٣ ق.م.) تهتمُّ بتنظيف بدنها بالماء والصابون، مع إجراء عمليات المسح بالزيت لتنعيمِ البشرة، وكانت الزيوت

(١) النَّورة: مادةٌ من الحجَر تُستخدم في إزالة الشعر. انظر: مادة (النورة) لسان العرب (٥/٢٤٤)، مادة (نور) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (٢/٦٣٠).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (١٣/٢٠٩)، تفسير ابن كثير (٦/١٩٥)، تاريخ الطبري (١/٤٩٤).

(٣) انظر: قصة الحضارة (٢/١٦٢).

(٤) انظر: المرجع السابق.

المعطِّرة غالية، إذ كانت تُستورَد من الخارج، وكان يُفضَّل عادة زيت الرو والآس والسِّدْر لرائحته الجيدة، وللغُسل كان يُستعمَل الصابون الذي يتكوَّن من أوكسيد الصوديوم أو البوتاسيوم الممزوجة بالزيت أو الطين الحر الجيد[١].

ومِن جوامع الكَلِم في العصر الجاهلي قولُهم: (أطيبُ الطِّيب الماء)[٢]. والعربُ يهتمون بتنظيف البدن من الأوساخ والأدران، وقد عُرِف أهل القرىٰ والمدن الحمامات، ولها مساخنُ تسخن لهم الماء ليغتسلوا بها. وكانوا يستعملون مادةً تُسمَّىٰ بالنورة في الحمامات لإزالة الشعر، وإذا خرَج أحدُهم من الحمام قيل له: (طابت حمتك)[٣].

فاعتناء الأنثىٰ بنظافة بدنها، ونعومتُه وطَراوته قِوامٌ لجمالها الأنثوي.

(١) انظر: المرأة في حضارات بلاد الشام القديمة (ص: ٧٦)، دور المرأة في الحضارات القديمة وأدوات الزينة (ص: ٧٦ ـ ٧٧).

(٢) انظر: بلاغات النساء (ص: ٩٢)، المعمرون والوصايا (ص: ٤٧).

(٣) انظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (٩/٣١).

الجمال والدلال الأنثوي

٤

ومن سَرَّح الطَّرْف حول جمال الأنثى، وجد أن العين امتدَّت إلى وجه الحُسن، وبهجة الدلال، ولين القشر، ومن تأمَّل الدلال الأنثوي؛ وجده حديقةً غنَّاء، اشتملت على أنواع وأصناف من الشجر، والزرع، والورد، والنباتات.

۞ دلال الصوت:

إن للمرأة جمالًا في صوتها وفتنة، فاللِّين في كلام الأنثى لا تَكلُّفَ فيه بالنسبة إليها، وحتى إنك لتجد بين النساء: أنثى في كلامها ما يَسلب اللُّبَّ بحسن أنغامه، وجمال تطريبه.

ولذا فإن الله ﷻ أمرَ الأنثى بأن تنتبهَ لهذه الفطرة الجمالية من رَخامة الصوت، ولِينه وعُذوبته، فتُحافظ عليه، وتُمسِكه عمَّن لا يحل لها، فقال سبحانه: ﴿فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ﴾[1].

ولصوتِ الأنثى ونُطقِها للحروف سِمةٌ مختلفة إذا دخَلَت على اللغة صبَغَتها بالرَّخامة والبيان الأنثوي، حتى إنكم لتَجدون بعض الألفاظ لا تكون إلا من الأنثى، ولو قالها الرجلُ لظنَّ الظانُّ أنَّ فيه ليونةً، يقول «بشَّار بن برد»:

(١) [الأحزاب: ٣٢].

(ما من شعر تقوله امرأةٌ إلا وفيه سِمةُ الأنوثة)[١].

وهذا أمر مُشاهَد حتىٰ في التاريخ، وقد أشار بعضُ الباحثين أنه كانت في الحضارة السومرية (٤٠٠٠ ق.م.) لهجةٌ أساسية تُدعىٰ: «إيميسال»، وتعني: لغة النساء، وهي لغة تتميَّز عن الشكل الشائع، وجرىٰ تَكْرارها علىٰ شِفاه النساء، وتُعتبَر أكثرَ تناسبًا معهن، وتكررت الإيميسال في الملاحم وبعضُ التراتيل، وكذلك كلام عَبيدهن الذي كانوا خِصْيانًا في العادة، واستُخدِمت هذه اللهجة في النصوص الأدبية وفي الجنائز والرثاء[٢].

والعلوُّ في الصوت مذمومٌ في الأنثىٰ، ويُروىٰ في قصة أخيقار الحكيم الأشورية (١٣٩٢ق.م.) التي تُرجِمَت وانتشرَت علىٰ عدة لغات وعلىٰ مرِّ العصور في آداب الشعوب المختلفة: أن مِن الأمثال التي وردت وعاشها مُعاصِرو ذلك الزمن: (لا تقترِبْ من المرأة غير المتَّزِنة في حديثها، وكذلك من المرأة ذات الصوت الصارخ)[٣].

وفي الحضارة البابلية (١٧٦٣ ق. م.) كان الصوت العالي من المرأة من أسباب الطلاق؛ فقد كان الرجل أمامَ زوجة مشاكِسة عاليةِ الصوت، يستطيع أن يُطلِّقها دون أن يُقدم أي مبرر أو عذر![٤]

وقد راعَت الشريعة الإسلامية طبيعةَ الصوت الأنثوي، فظهر ذلك في تكاليفها للأنثىٰ، ومن مراعاتها لرقَّة صوتها ودلاله، ما ثبَت أن النبي ﷺ قال:

---

(١) الكشكول (٢/١١١).

(٢) انظر: دور المرأة في الحضارات القديمة وأدوات الزينة (ص: ٣٩).

(٣) حضارة ما بين النهرين العريقة (ص: ٣٩).

(٤) تاريخ الحضارات العام (١/٣٥٧).

«**التسبيحُ للرجال، والتَّصفيق للنساء**»[(١)]. فجعل مهمةَ التسبيح للرجال والتصفيق للنساء عند الصلاة جماعةً في حضرة الرجال؛ لأن صوتها فيه لين، وفيه ترخيمٌ لا يكون في أصوات الرجال، فخشي من الافتتان به[(٢)]، ومن تأمَّل صوت الأنثىٰ وجد فيه ضعفًا ورِقة لا يتَناسب مع الجهر الذي يتطلب رفع الصوت؛ ليصل التنبيهُ إلىٰ الإمام بعد أن يتجاوز صفوف الرجال، فكان في ذلك تعزيزٌ لأنوثتها ورقَّتها، ومراعاةٌ لضعف صوتها. وقد ثبَت عِلميًّا أن الحبال الصوتية عند النساء أقصرُ مما عند الرجل، ولذلك نجد صوت الرجل أكثرَ خشونة وعمقًا من صوت الأنثىٰ[(٣)].

ومن ذلك أيضًا عدمُ رفع صوتها بالتلبية، فقال ﷺ: «**أتاني جِبريلُ** عليه السلام، **فقال: مُرْ أصحابَكَ فَليَرفَعوا أصواتَهم بِالإهلال**»[(٤)]. فكان الصحابةُ رضي الله عنهم لا يبلغون الرَّوحاء[(٥)] حتىٰ تبحَّ حلوقُهم من التلبية[(٦)]، وهذا لا يتناسب مع الأنثىٰ وصوتها؛ ولذا لا ترفع المرأة صوتها بالتلبية[(٧)]، وقد ورد الإجماعُ علىٰ ذلك[(٨)].

---

(١) متفق عليه؛ رواه البخاري (١٢٠٣)، ومسلم (٤٢٢).

(٢) انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٩٣/٣)، المسالك في شرح موطأ مالك (١٤٧/٣)، الإفصاح عن معاني الصحاح (١٧١/٦).

(٣) انظر: سايكولوجية الرجل والمرأة (ص: ٢٢ ـ ٢٣).

(٤) رواه ابن ماجه (٢٩٢٣).

(٥) الرَّوحاء: محطَّة علىٰ الطريق بين المدينة وبدر، علىٰ مسافة أربعة وسبعين كيلًا من المدينة. نزلها رسول الله ﷺ في طريقه إلىٰ مكة، ولها ذِكرٌ في السيرة والأحاديث. انظر: مراصد الاطلاع علىٰ أسماء الأمكنة والبقاع (٦٣٧/٢)، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة (ص: ١٣١).

(٦) انظر: معرفة السنن والآثار (١٣٣/٧).

(٧) انظر: المبسوط للسرخسي (٣٤/٤)، فتح القدير للكمال ابن الهُمام (٥١٤/٢)، المدونة (٣٩٨/١)، بداية المجتهد ونهاية المقتصد (١٠٣/٢)، نهاية المحتاج (٢٧٣/٣)، تحفة المحتاج (٦١/٤)، المغني لابن قدامة (٣٠٥/٣)، كشاف القناع عن متن الإقناع (٤٢١/٢).

(٨) انظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٢٤٢/١٧)، المغني لابن قدامة (٣٠٥/٣).

۞ دلال الحركات:

وأما الدَّلال الأنثوي في رقَّة حركات الأنثى، ففيه من الجمال ما لا يَخْفى، ولذا قال ﷻ: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾[1]، والمقصود بالتبرج: جُرأتها في التغنُّج والتكسُّرِ والتلطُّف[2]. ولما كان من عظيمِ وقْعِ هذا الأمر على الرجال وافتتانِهم به، أمرَ الله الأنثى بأن لا تفعله إلا مع مَن أحلَّه الله لها. ولذا كان من أجمل الأوصاف في بيان حركة الأنثى أمام الرجال الأجانب قولُ الله ﷻ: ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾[3]، فهي تمشي غير متبخترة، ولا مُتثنِّية ولا مُظهِرة زينة[4].

يقول «طَرفة بن العبد» واصفًا دلالَ الأنثى:

تَحسِـــبُ الطَّــرفَ عَليهــا نَجــدةٌ يــا لَقَــوْمي لِلشَّــبابِ المُســبَكِرّ[5]

وقد عزَّزَت الشريعة هذا الدلالَ في الأنثى، ومن ذلك نهيُها عن الهرولة في الحج والعمرة بين الصفا والمروة، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «**ليس على النساءِ سعيٌ بالبيت، ولا بين الصَّفا والمروة**»[6]. وحينما رأت «عائشةُ رضي الله عنها»

---

(١) [الأحزاب: ٣٣].

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٩/٩٧)، تفسير السمعاني (٤/٢٨٠)، تفسير البغوي (٣/٦٣٦).

(٣) [القصص: ٢٥].

(٤) انظر: التحرير والتنوير (٢٠/١٠٣).

(٥) النَّجدة: الشدَّة والفتور. المسبكِر: التام، والمعنى أنها لكثرةِ دلالها لا ترفع طرْفها إلا بعد شدة. انظر: ديوان طرفة بن العبد (ص: ٤٠).

(٦) رواه الشافعي في مسنده ـ ترتيب السندي (٩٠٦)، والدارقطني في سننه (٢٧٦٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (٩٠٥٥).

النساءَ يسعَيْن بالبيت قالت: «**أما لكُنَّ فينا أُسْوة؟! ليس عليكنَّ سعي**»[١].

وعن «عطاء رحمه الله» أنه سُئل عن السعي للنساء، فأنكره إنكارًا شديدًا[٢].

والمقصود هو سعيُ الإسراع والهروَلة، ولا يُستحب ذلك للنساء تستُّرًا وتحرُّزًا عن المصادمة.

وكيف لا يُنكِره الصحابة رضي الله عنهم، فإن رقة الأنثى ودلالها وبهاءها لا يتناسب مع الجري في الأماكن العامة ـ وإن كان بقصد العبادة ـ، فإن الشريعة تُطالب الأنثى بالتعبُّد دون انتزاعِها من فطرتها وأنوثتها، فكان مِن مراعاة الشريعة لها أن جعَلَت في حقِّها السعي: مشيًا.

بل ورخَّصَت الشريعة لها في الجهاد فلم تَفرِضه عليها، وورَد فيه روايةُ عائشة رضي الله عنها، قالت: قلتُ: **يا رسول الله، على النساءِ جهادٌ؟ قال** ﷺ: «**نعم، عليهنَّ جهادٌ لا قتال فيه: الحجُّ والعُمرة**»[٣].

لأن الله سبحانه الذي خلَق الأنثى ناعمةَ الملمس رقيقة الإحساس ضعيفة الأعصاب ليِّنة العظام؛ علم بأنه يشقُّ عليها الضربُ بالسيف والطعنُ بالرمح والرشق بالنَّبل، فكيف إن كان الجهاد واجبًا على الأنثى؟ ولذا كانت مشاركةُ الأنثى في الجهاد في عهد النبيِّ ﷺ لحاجةٍ دون إلزام لمن قَوِي قلبُها على الدماء وهيبته، فسمَح لها ﷺ بمهمَّات تتناسب مع طبيعتها؛ كحراسة الأمتعة، ونقل الماء إلى الجنود، وبمداواة الجَرْحى ورعايتهم[٤]، ولو افترضنا

(١) رواه البيهقي في معرفة السنن والآثار (٩٨٩٦).

(٢) انظر: شرح مسند الشافعي (٣٤٣/٢).

(٣) رواه ابن ماجه في سننه (٢٩٠١).

(٤) انظر: المنهل الحديث في شرح الحديث (١١١/٣).

أن بعض الإناث يملِكْن القوة البدنية كالرجل؛ فإن ذلك لا يُؤثر في حكم العموم، لأن الأمر الكليَّ إذا ثبَت كُليًّا؛ فإن تخلف بعض الجزئيات عن مقتضى الكلي لا يُخرجه عن كونه كليًّا، فالكليات لا يَقْدح فيها تخلفُ آحاد الجزئيات[1].

وحينما نرجع إلى خَلْق الأنثى، نجد أن خصائصها الجسدية تختلف تمامًا عن الرجل، فالعظام عند الرجل أكبرُ حجمًا من عظام الأنثى، فعظامُها أقصرُ وأقلُّ سماكةً ووزنًا من عظام الرجل، وليست فقط أصغرَ من عظامِ الرجل، بل إنها تختلف أيضًا في التركيب، والمجموعُ العضَلي عند المرأة ضعيفُ القوة، وأوتاره قليلة الصلابة صغيرة الحجم، حتى إن قفصها الصدري يختلف عن الذكر، فالأنثى صدرها أقصرُ وأكثر استدارةً وبروزًا إلى الأمام من صدر الرجل، ويأخذ في الضيق من أسفل حتى نهاية الصدر، وهذا مما يجعل للأنثى خَصرًا نحيفًا، وهذا الاختلاف بينهما يجعل من الذكر يختار الأعمال الشاقة والألعاب التي تتطلب قوة وحركة منذ صغره، بخلاف الأنثى التي لا تُمارس سِوى الألعاب التي لا تُحمِّل التنفُّس أيَّ عبء ولا مجهودٍ كبير أو قوة[2].

۞ الدلال والغُنج:

ومن الدلال الأنثوي تغنُّج الأنثى: وما يتبع ذلك من الغرائز الإغرائية، وما أسعدَ الرجل إذا عشقَتْه امرأة، وأحبَّته، وقصَرَت طرْفَها عليه. وقد رغَّب النبيُّ ﷺ في الزواج من المرأة الوَدود فقال: «**تزوَّجوا الوَلودَ الوَدود**»[3]،

(١) انظر: الموافقات (٢/٨٣).

(٢) انظر: سايكولوجية الرجل والمرأة (ص: ٢٢ ـ ٢٣).

(٣) رواه أبو داود في سننه (٢٠٥٠)، والنسائي في سننه (٣٢٢٧)، وصححه الألباني في الإرواء (١٧٨٤).

والوَدودُ التي تشتد محبتُها لزوجها[١].

ولذا كان من أمتعِ أنواع النعيم في الجنة ما قاله الله تعالىٰ في حور الجنة: ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾[٢]، أي: العاشقات لأزواجهن المتحببات المتغنِّجات لهم بالحلاوةِ والظَّرافة والملاحة، وحسنِ اللفظ، وحسنِ الهيئة، والدلال والجمال، والراغبات بإفضائهم إليهن[٣]. يقول ابن عباس ﷺ: (العُرُب المتحببات المتودِّدات إلىٰ أزواجهن)[٤]؛ وذلك أنَّ الأنثىٰ إذا لم تكن مُحِبةً لزوجها ولا راغبةً في إفضائه إليها، نقَصَ ذلك من جمال الحبِّ وكماله.

ومن تمام الحب عند المرأة: أن لا تمدَّ بصرها لغير حبيبها، قال ﷻ: ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ﴾[٥] فلا يُرِدن ولا يلتفتن إلىٰ غيرهم، ولا يمددن أبصارَهن إلىٰ غيرهم من محبتهن لهم[٦].

ولذا فإن الحب والغريزة الإغرائية لا بد أن تتلازمَ مع العفاف؛ فإن الحب بغير عفاف قبيحٌ من الأنثىٰ، وفي ذلك يقول الله ﷻ: ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[٧]. فمثل هذا الحب حبٌّ سوء

(١) انظر: شرح المصابيح لابن الملك (٣/٥٤٣).
(٢) [الواقعة: ٣٧].
(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٧/٥٣١)، تفسير السعدي (ص: ٨٣٤).
(٤) تفسير الطبري (٢٢/٣٢٤).
(٥) [الصافات: ٤٨].
(٦) انظر: تفسير الطبري (١٩/٥٣٧)، تفسير السمرقندي (٣/١٤١)، تفسير السمعاني (٤/٣٩٩)، تفسير ابن كثير (٧/٧٨).
(٧) [يوسف: ٢٣].

وفحشاء، فإن كان الحبُّ قد شق شغاف قلب «امرأة العزيز» فدخل تحته حتىٰ غلَب علىٰ قلبها[1]، وبلغ منه مبلغًا عظيمًا حتىٰ حجب حبُّه قلبَها، فلا تعقل سواه[2]، إلا أنه لم يكن ذلك عذرًا في إباحة حبها؛ ولذا فقد تبلغ الغرائز الإغرائية في الأنثىٰ من القوة مبلغًا يجعلها تطغىٰ علىٰ جميع الغرائز الأخرىٰ، وربما قد تشلُّ قدرتها علىٰ التفكير المنطقي في أبسط الأمور الحياتية، وتُعطِّل إمكانيتها علىٰ رؤية الأمور الواضحة، وخصوصًا تلك التي تتعلق بمستقبلها ومصيرها، وهذا ما حصل من «امرأة العزيز». إلا أن الله ﷻ قد امتنَّ علىٰ «يوسف عليه السلام» بأن صرفه عنها، فقال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[3]. وقد عرَف نِسوة المدينة هذا السوء فقُلن كما جاء في القرآن: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ فهي في ضلالٍ حيث وُجِدت منها هذه الحالة التي لا تنبغي منها، وهي حالة تحطُّ قدرها وتضعه عند الناس، وإن كان هذا القول منهنَّ مكرًا، ليس المقصود به مجردَ اللوم لها والقدح فيها، إلا أنه حق[4].

(١) انظر: تفسير الطبري (١٣/١١٥)، تفسير السمرقندي (٢/١٩٠).

(٢) انظر: تفسير البغوي (٢/٤٨٨).

(٣) [يوسف: ٢٤].

(٤) انظر: تفسير السعدي (ص: ٣٩٧).

الجمال والعقل الأنثوي

٥

إن جمال الروح يُهوِّن المصائب، وجمال النفس يُسهِّل المطالب، وجمال العقل يحقِّق المكاسب[١]، فجمال العقل ومكاسبه، من الرزق الوفير الذي يسوقه الله إلى العبد، قال تعالى: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[٢].

فالأنثى وإن كانت زينة، وخُلِقَت على حُب الجمال والتزيُّن، إلا أنها لا ينبغي أن تُغفِل جمال العقل والفكر.

لـــيس الجَمـــالُ بـــأَثْوابٍ تُزَيِّنُنـــا ... إنَّ الجَمالَ جَمالُ العَقْلِ والأدبِ[٣]

والإسلامُ أعطى للأنثى نصيبًا من هذا الاهتمامِ العقلي فحرَّرها من فكرةِ الاقتصار على الجمال الظاهري، فجعَلها تُشارك بجمالها العقلي المجتمعَ حتى شاركَت في أهم الأحداث المحوريَّة، وهذه المنزلة هي التي تليق بالأنثى.

---

(١) انظر: هكذا علمتني الحياة (ص: ١١١).

(٢) [البقرة: ٢٦٩].

(٣) انظر: مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي (٢/١١٢).

۞ العقل بين الذَّوق والقولَبة:

النفس البشرية تشعر بالجمال، وتتذوَّقه متىٰ أدركَته، وعندئذٍ تَميل إليه وتنجذب نحوَه، وتأنس به، وترتاح إليه، وتسعد بالاستمتاع بلذَّة إحساس المشاعر به، والجمال لم يكن يومًا قاعدةً مُطَّرِدة، ولا حاجةَ إلىٰ بيانه ما دامت الأذواقُ السليمة تُدرك بفطرتها ما يُلائمها فترتاح إليه، وما لا يلائمها فتَنفِر منه[1]، وفي الأذواق حول الجمال فسحة، إلا ما ترتَّب عليه انتقاص، أو قولبة؛ لأن الجمال واسعٌ ونسبي، والأذواق لا يُحجَر عليها.

وفي قولبة الجمال وحصرِه علىٰ هيئةٍ معينة: ضربٌ من المستحيل، وفيه غرابة علىٰ العقل السليم؛ فكيف نُدرك بقالَبٍ واحد جميعَ الفِطَر! فليس علىٰ الأذواق سلطان، وإنما العيب في حصرِ الجمال في المجتمع علىٰ أنموذج لِيُحتذَىٰ به، فيُنظَر لمن فقَدَت شيئًا من هذا القالب كمن فقَدت جزئًا من أنوثتها! فيُحكم عليها بالنقص، فعلىٰ الأنثىٰ أن تتنزَّه بعقلها عن هذه القولبة.

ومما كان من قولبةٍ للجمال في الجاهلية أنهم كانوا يحكمون علىٰ المرأة المنتقبة بالقُبح، فإذا وجدوا امرأةً في الجاهلية حريصة علىٰ التنقُّب حكم عليها لأول وهلة أنها قبيحةُ المنظر، وأنها تنتقب لتغرَّ الناظر وتُوهمه بجمالها، فجعَلوا الجمال حَكْرًا علىٰ السافرات؛ ولذلك قيل في المثل: (تَرَكَ الخداع مَن كَشَفَ النقاب)، رغم أن أصل هذا المثل كان في المناكح ونظر الخاطب، وقالته امرأةٌ اسمها «عصام» حينما أرادت أن تنظر لابنة «أمامةَ بنت الحارث» لتخطبها، فقالت الأم لابنتها: (أيْ بنية، هذه خالتك، أتت إليك لتنظر إلىٰ

(١) انظر: النظرات (١/١٨٩).

بعض شأنك، فلا تستري عنها شيئًا أرادت النظرَ إليه من وجهٍ وخلق، وناطِقيها فيما استنطقَتْكِ فيه)، فدخلَت «عصام» عليها فنظرت إلىٰ ما لم ترَ عينُها مثله قطُّ بهجةً وحُسنًا وجمالًا، وإذا هي أكملُ الناس عقلًا، وأفصحُهم لسانًا، فخرجَت من عندها وهي تقول: (تَرَكَ الخداعَ مَن كَشَفَ النقاب)[1].

وقد ذكر «عُمر بن أبي ربيعة» عادة نساء الجاهلية الحسان في ترك التقنُّع، فقال من شعر له[2]:

ولَمَّا تفاوَضْنا الحديثَ وأسفَرَت ... وُجوهٌ زَهاهَا الحُسنُ أنْ تتَقنَّعا[3]

والأنثىٰ إذا كانت تَعرف قيمتها فإنها ليسَت بحاجةٍ إلىٰ أن تَعرِض ما أعطاها الله من الجمال أمامَ الخلق! فتترك حُكم الله من أجلِ إرضاء غرورها، أو لتفادي تنمُّر الناس مِن حولها.

ومن القولبة أيضًا ما كان في الجاهلية من ذمٍّ للأنثىٰ القصيرة وهي التي عَناها الشاعر بقوله[4]:

وأنْتِ التي حبَّبتِ كلَّ قَصيرةٍ ... إليَّ ولم تَشعُرْ بذاك القَصائِرُ

عنَيْتُ قَصيراتِ الحِجالِ ولم أُرِدْ ... قِصارَ النِّساءِ البَحاتِرُ[5]

(١) انظر: المعمرون والوصايا (ص: ٣٦، بترقيم الشاملة آليًّا)، الفاخر (ص: ١٨٤)، العقد الفريد (١١٩/٧).

(٢) انظر: شرح ديوان الحماسة (ص: ٨٧٩).

(٣) زَهاها الحُسن أي استخفَّها الحُسن، فلم تتقنَّع ثقةً بحُسنها، وكانت المرأةُ من العرب إذا كانت رائعةَ الجمال ألقت نِقابها فإذا كانت كريهةَ الوجه ستَرَت وجهها. انظر: شرح حماسة أبي تمام للفارسي (٧٧/٣).

(٤) انظر: روضة المحبين ونزهة المشتاقين (ص: ٢٣٨).

(٥) البَحاتر: أصلها من بحتر، وهي الأنثىٰ القصيرة المجتمِعة الخَلْق، انظر: مادة (حبتر) تهذيب اللغة=

فالقولَبَةُ ممنوعةٌ، والمغايرةُ في الأذواقِ مسموحة.

وقد تباينَت الأذواقُ عند بَني البشر في وصفِهم للجمال الأنثوي، وتغايرَت الأوصافُ التي تُلائم فِطرة كلٍّ منهم، فهذا الزمخشري يُنشد[1]:

لا أعشَقُ الأبيضَ المَنْفوخَ مِن سِمَنٍ ... لكنَّني أعشَقُ السُّمْرَ المَهازيلَا

إنِّي امْرُؤٌ أركَبُ المُهْرَ المُضمَّرَ في ... يومِ الرِّهانِ فدَعْني واركَبِ الفيلَا

وطائفة تُفضِّل السِّمان على المهازيل، وتقول: السِّمَن نصف الحُسن، وهو يستر كلَّ عيب في المرأة ويُبدي محاسنها.

والزنوج مثلُ العرب يعدُّون المرأة السمينة من أجملِ النساء، والجمالُ الكامل تبلغه المرأةُ عندهم إن زادت بوزنها حِملَ الجمل[2]. وقد رُئِيَت ذاتَ يوم امرأةٌ عندهم من ربَّات الجمال، كانت من الضخامة بحيث إذا ما أجلَسوها على أرضٍ منبسطة استحال عليها الوقوفُ إلا إذا زحَفَت زحفًا حتى دَنَت من سفحٍ مائل، وليس أقبحَ في عينَي الزنجيِّ من المرأة النحيلة[3].

وفي العصر العبَّاسي ظهرَت معاييرُ جديدة لجمال الأنثى في ميزانهم، فأصبحَت الصِّفات المستملَحة المستحَبة هي البياض في صُفرة، ورشاقة القِوام، وضمور الخَصْر، فأعرض الرجالُ عن النساء السمينات، فأصبحوا يُقدمون المَجْدولةَ التي بين السمينة والممشوقة، وأعرضَ الرجال عن البطون

= (٥/٢١٦)، مادة (بحتر) لسان العرب (٤/٤٧).

(١) انظر: روضة المحبين ونزهة المشتاقين (ص: ٢٣٨).

(٢) انظر: المرأة بين السماء والأرض (ص: ٤٩).

(٣) انظر: قصة الحضارة (١/١٤٣).

ذات العُكَن، أي ذات الأطْواء في البطن من السِّمْنة، وفضَّلوا الضَّامِرات البطون[1].

وفي أواخر العصر العباسي زمن دولةِ المماليك، وصَف «ابنُ القيِّم ﷺ» ما يُستحسَن للجمال الأنثوي، فأوضحَ أنه يُستحسَن فيها: طولُ أربعة وهن: أطرافُها وقامتها وشعرُها وعُنقها، وقِصَر أربعة: يدِها، ورِجلها، ولسانِها، وعينها، وبياضُ أربعة: لونِها، وفرقِها، وثَغرها، وبياض عينها، وسوادُ أربعة: أهدابِها، وحاجبها، وعينِها، وشعرها، وحُمرة أربعة: لسانها، وخدِّها، وشفتها، مع إشرابِ بياضِ بشرتها بحُمرة، ودِقَّة أربعة: أنفِها، وبَنانِها، وخَصْرها، وحاجبها، وغِلَظ أربعة: ساقها، ومعصمِها، وعَجيزتها، وسَعة أربعة: جبينِها، ووجهها، وعينها، وصدرها، وضيق أربعة: فمِها، ومنخرِها، وخرْقِ أذنها، ثم قال: (فهذه أحقُّ النساء بقول «كُثيِّر»:

لَوْ أنَّ عزَّةَ خاصَمَتْ شمْسَ الضُّحىٰ في الحُسنِ عندَ مُوفَّقٍ لقَضىٰ لها)[2]

وهكذا الأذواق تختلفُ وتتَباين، ويبقىٰ الجمال الإضافيُّ نسبيًّا، فالجمال ما هو إلا تمريرُ صورةٍ مرئية للذِّهن؛ ولذا كانت له علاقة مباشرة بالأذواق.

وربما تكلَّف الكثيرُ في بيان معنىٰ الجمال وفلسفته في الحضارات وفي المجتمعات وعند الأشخاص، إلا أن الكثيرَ من الدراسات في المحتوىٰ الجماليِّ جعَلَته صعبًا غيرَ مفهوم، بعيدَ المنال، حتىٰ قال «مالرو»: (فكرةُ الجمال: وهي مِن أكثر أفكارِ علم الجمال غموضًا، ليست بغامضةٍ إلا في علم

(١) التطور التاريخي لدور المرأة في العصر العباسي (ص: ١١٨).

(٢) انظر: روضة المحبين ونزهة المشتاقين (ص: ٢٣٨).

الجمال)[1]؛ لذا نقول: دعوا الجمال يكون سهلًا، قريبًا متناوَلًا، فنرى الشيء ونقول عنه جميلًا؛ فإن بعض البشر إذا تكلم عن الجمال كأنه رَكِب مركبًا وعرًا، وطلب مطلبًا صعبًا.

۞ الوعي في الجمال العقلي:

إن حب الأنثى للجمال، واستغراقَها في الزينة والتزيُّن، لا يعني أن تكون غافلةً عن ما ينفعها في دينها ودُنياها، والشرع قد راعى الفِطَر، ودلَّ على خير السِّيَر، فأمر الأنثى بأن تُلبِس جمالَها بتاج العقل، وسِوار الوعي، قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِ﴾[2] فأُمِرن بذِكْر القرآن والسُّنة في البيوت[3]. والتنصيص على البيوت، فيه دليلٌ على أهمية ترجمة وعي المرأة وعقلها وعلمها في البيت، وأثرِ ذلك على أفراد الأسرة.

وقد حُكِي عن «الأصمعي» أنه قال: رأيتُ بالبادية امرأةً عليها قميص أحمر، وهي مختضِبة، وبيدها سبحة، فقلت: ما أبعدَ هذا من هذا!

فقالت:

وَلِلـــهِ مِنّـــي جَانِـــبٌ لا أُضِـــيعُهُ وَلِلَّهْـــوِ مِنِّـــيْ وَالْبطالَـــةِ جَانِـــبُ[4]

---

(١) انظر: بحث في علم الجمال (ص: ٧).

(٢) [الأحزاب: ٣٤].

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٠٨/١٩)، تفسير السمعاني (٢٨٢/٤).

(٤) انظر: حسن التنبه لما ورد في التشبه (١٥٧/١٠).

وقد كان النبيُّ ﷺ حريصًا على كِيان الأنثى الفكري، والعقلي، والديني، وأعطاها نصيبَها من المشاركة في العلم والتعليم والدعوة؛ ولذا كان ﷺ مهتمًّا بحثِّ النساء على العلم بتعليمهن وتفقيههن، وقد روى «جابر بن عبدالله رضي الله عنهما» ما يفيد ذلك فقال: «**فأتى النساءَ، فذكَّرهن وهو يتوكَّأُ على يدِ بلالٍ رضي الله عنه، وبلالٌ باسطٌ ثوبَه يُلقي فيه النساءُ صدَقة» قلتُ لعطاء: أترى حقًّا على الإمام الآن: أن يأتي النساءَ فيُذكِّرَهن حين يَفرُغ؟ قال: «إن ذلك لحقٌّ عليهم، وما لهم أن لا يَفعَلوا»**[1].

قال «ابن بطال رحمه الله» في سياق شرح الحديث: (يجب على الإمام افتقادُ أمور رعيته، وتعليمهم ووعظهم، الرجال والنساء في ذلك سواء)[2]؛ ولذا فإن من علامات وعيِ الدول تمكينَ الأنثى من العلم والتعليم، بما يُحقق المصالح ولا يجلب المفاسد، ولذا يقول «النووي رحمه الله»: (استحباب وعظ النساء وتذكيرهن الآخرةَ وأحكام الإسلام وحثهن على الصدقة، وهذا إذا لم يترتب على ذلك مفسدة وخوفٌ على الواعظ أو الموعوظ أو غيرهما، وفيه أن النساء إذا حضَرْن صلاة الرجال ومَجامعهم يكُنَّ بمعزل عنهم؛ خوفًا من فتنة أو نظرة أو فكر ونحوِه)[3].

ونقول: إن الضوابط الصحيحة لا تكون أبدًا وسيلةً للقَمْع، بل وسيلة لزيادة النفع، والإنجاز، والحفظ؛ ولذا فإن الأنثى لم تَكُن أبدًا ممنوعةً من التمكين في الشريعة الإسلامية، بل مطالَبة بالإصلاح كشقيقِها الرجل، إلا أن

(١) متفق عليه؛ رواه البخاري (٩٦١)، ومسلم (٨٨٥).

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال (١/١٧٥).

(٣) شرح النووي على مسلم (٦/١٧٢).

الشريعة حفظَتْها بمجموعة من الضوابط الموجِّهة غير القامعة ولا المانعة، وراعتها في شؤون كثيرة كما مرَّ معنا في كتابنا هذا لِيَحسُن نفعها.

ولذا كان للمرأة المسلمة حضورٌ بارز في المجتمع العلمي الإسلامي، دون غفلتها عن حقيقتها الأنثوية، فكانت تتعلم وتُعلم، وترحل لطلب العلم، وتُصنف الكتب، وتُفتي، وتُستشار في الأمور العامة، وقد كان النبي ﷺ يستعين بها في سلك التعليم، ويُعزز لديها المسؤولية الإصلاحية، كما دلت السنة النبوية؛ فعن «الشفاء بنت عبد الله رضي الله عنها» قالت: دخل عليَّ رسول الله ﷺ وأنا عند «حفصة رضي الله عنها» فقال لي: «**ألا تُعلِّمين هذه رُقيةَ النملةِ كما علَّمْتيها الكتابة**»[1].

وهذه أمُّ المؤمنين «عائشة رضي الله عنها» رغم دلالها، واهتماماتها الأنثوية التي مرَّت معنا، إلا أنها كانت دُرَّة عقلية، ومنارة في العلم والتعليم. فعن «أبي موسى الأشعريِّ رضي الله عنه»، قال: «**ما أشكَلَ علينا ـ أصحابَ رسولِ اللهِ ﷺ ـ حديثٌ قطُّ، فسألنا عائشةَ رضي الله عنها؛ إلا وجَدْنا عندها منه علمًا**»[2].

ونجد هذا الوعي وإن افتقر عند البعض إلا أنه من حيث الأصلُ موجوداً في الأمم على مر الأزمان، ففي الحضارة البابلية (١٧٦٣ ق. م.) كان الرجال يعتقدون أن الحياة في المسكن الضيق مع امرأة لم تُثقِّفها التربية والعلائق الاجتماعية؛ لا تُوفر له مزيداً من اللهو، لذلك فإنه يَقْضي معظم نهاره خارج البيت في الأماكن العامة[3]. فالاستمتاع مع الأنثى في نظرهم لا يُراد به

(١) رواه أبو داود في سننه (٣٨٨٧).
(٢) رواه الترمذي في سننه (٣٨٨٣).
(٣) تاريخ الحضارات العام (١/٣٥٧).

الاستمتاع الجسدي المحض؛ لأن التناغُمَ العقلي له دور عندهم.

وقد مرَّ معنا في «الأنثى سكن» كيف أن العرب يفرُّون من صفة الحمق الذي لا تُحسِن فيه الأنثى العمل.

والأنثى العربية ترتفَّع عن ذلك؛ ولذا فإن ذواتِ الكمال من نساء العرب كثيرات، وقد كُنَّ ذواتِ معرفةٍ وفطانة وذكاء؛ يُشاركن في التجارة[1]، والفكرِ والشعر، فكم من شواعرَ مُجيدات أسهَمْن في رواية الشعر وصناعته، وقد طُبِعت بعض الدواوين منها؛ كديوان «الخنساء»[2].

وفي الحضارة البابلية (١٧٦٣ ق.م.) كانت الأنثى تتعلَّم كالصِّبيان[3]، وأما الحضارة السومرية (٤٠٠٠ ق.م.) فقد تميزت عندهم الأنثى وتخصصت في مهنة الكتابة؛ إذ تشير بعض النصوص المسمارية إلى أن التعليم لم يكن مقتصرًا على الذكور، بل شمل كذلك الإناثَ أيضًا، وكان بإمكان بعضهن التعلمُ ليُصبحن كاتباتٍ متمرسات فيما بعد، بكل ما يعنيه ذلك من صعوبات أبرزُها انخراط الإناث في سلك التعليم، ومشاركة الذكور المضمارَ بشكل واسع، بالإضافة إلى تكاليف الدراسة وأجورِها الباهظة، وقد نالت بعض النسوة نصيبَهن من التعليم أسوة بالرجال، كما تبين أن أعداد الكَتَبَة في بلاد الرافدين كان كبيرًا وهو ما يُؤشر لحالة حضارية متطورة[4].

وتميزت الفترة السلجوقية في العراق بالحركة العلمية بين النساء،

(١) انظر: أسواق العرب في الجاهلية والإسلام (ص: ١٠٥).
(٢) انظر: المرأة بين الجاهلية والإسلام (ص: ٢٠٥ ـ ٢٠٦).
(٣) انظر: قصة الحضارة (٢/٢٣٣).
(٤) انظر: مكانة المرأة في بلاد الرافدين (ص: ٣٨ ـ ٣٩).

وخاصة في مدينة بغداد عاصمة الخلافة العباسية[١]، فهي لم تكن بعيدةً عن الحياة الثقافية، بل أسهمَت فيها، وتبوأت منزلة لا يُستهان بها، عبر دورها في العلوم الدينية والأدب والشعر[٢]، وأسهمَت في تطور المجالات العلمية كمجال الطب[٣]، وشاركت في إحياء النهضة الأدبية في العراق وبغداد في العصر البويهي، فظهَرت نساءٌ مثقفات وعالمات تثقَّفنَ على أيدي العلماء والفقهاء[٤].

وفي المملكة التدمرية برزَت الملكة «زنوبيا»، وأطلق عليها الرُّومان اسم: «سبتميا» أكبرَ ألقاب الشرف عندهم، وكانت ذاتَ جمال وعقل، ولم ينبغ مثلُها في النساء شجاعةً ودهاء وشدة فضلًا عن جمالها وهيبتها، كانت سيرتها أقربَ إلىٰ سير الأبطال من سِيَر النساء، وكانت تجيد اللغة الأرامية والقبطية، وعلىٰ درجة ما من اللاتينية واليونانية، ولها معرفةٌ فائقة بتاريخ الشرق والغرب، وكما قيل عنها إنها أثبتت أن الأنثىٰ العربية تستطيع أن تهزَّ السرير بيمينها وتهز العرش بيسارها[٥].

وقد كان من وعي الناس في أهمية تعلُّم النساء قديمًا وقيمةِ الجمال العقلي للأنثىٰ وأثره علىٰ المجتمع، ما ذكَره العلماء حول كتابِ مختصَر المزني، وهو كتاب فقهيٌّ في المذهب الشافعي، فكانت المرأة إذا جهزَت لزوجها حمل في جهازها مصحف، ومختصر المزني[٦].

(١) انظر: المرأة في العصر العباسي (ص: ١٢٣).
(٢) انظر: التطور التاريخي لدور المرأة في العصر العباسي (ص: ١١٣).
(٣) انظر: التطور التاريخي لدور المرأة في العصر العباسي (ص: ١٣٩).
(٤) انظر: المرأة في العصر العباسي (ص: ٣٦).
(٥) انظر: المرأة العربية عبر التاريخ (ص: ٤٩ ـ ٥٠).
(٦) انظر: سير أعلام النبلاء (٤٩٣/١٢)، مختصر المؤمَّل في الرد إلىٰ الأمر الأول (ص: ٦٧).

ومن عجائب الزمان أن نجد بعضَ الرجال حتىٰ في واقعِنا المعاصر، يبحثون عن الأنثىٰ الجاهلة الخَرْقاء، ويظنون أنها في الأنثىٰ مزيَّة، ويبتعدون عن الأنثىٰ الواعية العاقلة العالِمة المفكِّرة، ثم يأمُلون من هذه الخرقاء أن تَبني الأجيال. ومثل ذلك ما كان في الحضارة اليونانية (٨٠٠ ق. م.) حيث كانوا يعتقدون أن ذكاء المرأة يعوقها عن أداء واجباتها؛ لذلك تعليمهن كان مقصورًا علىٰ الفنون المنزلية. وكانت نتيجةُ ذلك أن أنهن أصبحن قليلات النضوج، عاجزاتٍ عن أن يكنَّ رفيقات لأزواجهن عقليًّا، فيُضطَر الرجال إلىٰ البحث في خارج البيوت عن أسباب المتعة؛ لأن عقول هؤلاء الأزواج قد امتلأت وانصقلت بتَجارِب الحياة المختلفة[1]، والإناث غير قادرات علىٰ مُجاراتهم، فكان الرجل اليوناني سببًا في عدم نضوج الأنثىٰ اليونانية، ثم أصبح شاكيًا بعد ذلك مِن فقده لأنثىٰ تُجاريه عقليًّا، فجنَت علىٰ نفسها براقش.

في حين أن الإسلامَ أعطىٰ للأنثىٰ نصيبًا من هذا الاهتمامِ العقلي، حتىٰ بالأحداث المحورية؛ ومن ذلك ما حدَث في البيعة في زمن النبي ﷺ التي تُعَد نقطةَ تحوُّل حقيقية لمكانة الأنثىٰ، فأنزلها الإسلامُ المنزلةَ اللائقة بها، فلم يجعلها مُغيبةً عن قضايا الأمة وأحداثِها، بل جعلها علىٰ اطِّلاع ومشاركة بأهمِّ شؤون الدولة، فأفسح لها الطريقَ بما لا يخدش حياءها ولا يُخالف فطرتها وطبيعتَها التي خلقها الله عليها؛ لعِلمه بأثرها البالغ في المجتمَع[2]. تقول «عائشة رضي الله عنها»: **(كانت المؤمناتُ إذا هاجَرْن إلىٰ النبيِّ ﷺ يَمتحِنُهن**

(١) انظر: قصة الحضارة (٧/١١٠ ـ ١١٩).

(٢) انظر: الأحاديث الواردة في مراعاة مشاعر المرأة (ص: ٢٩٥). (شروق بنت موسىٰ الخميس، مركز باحثات ـ الرياض، الطبعة الأولىٰ، ١٤٣٩هـ ـ ٢٠١٨م).

بقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ﴾[1] إلى آخر الآية. قالت عائشةُ رضي الله عنها: فمن أقرَّ بهذا الشرطِ من المؤمنات فقد أقرَّ بالمِحْنة، فكان رسولُ الله ﷺ إذا أقرَرْن بذلك من قولِهن، قال لهنَّ رسولُ الله ﷺ: «انطلِقْن فقد بايعتُكن» لا والله ما مسَّت يدُ رسولِ الله ﷺ يدَ امرأة قط، غير أنه بايَعَهن بالكلام، والله ما أخذ رسولُ الله ﷺ على النساءِ إلا بما أمره الله، يقولُ لهنَّ إذا أخذَ عليهن: «قد بايعتُكن» كلامًا)[2].

وهو حدثٌ سياسي مهم في تاريخ الإسلام، مع مراعاتِه لحدود الشريعة؛ فلم تكن مُبايعته للأنثى كمبايعته للرجل مصافحة، بل كانت بالكلام كما صوَّرَته لنا «عائشة رضي الله عنها»؛ ولذا كانت المبايعة ميزةً فريدة للأنثى في الإسلام، وبهذا نعلم أن الأنثى كانت معنيَّة في المجتمع بميادينَ عدة، ولرأيها وكلمتها تأثيرٌ وقدر.

وقد كان رسول الله ﷺ يأخذ برأي المرأة ويُعطيه قَدره، ففي يوم الحديبية عندما عقد الصلح مع مشركي مكة شعَر كثير من المسلمين بالخيبة بعدما حُرِموا من العمرة بعد إحرامهم، فلما أمرهم النبي ﷺ بالتحلُّل تأخروا في الاستجابة فشقَّ ذلك عليه، فدخل على «أم سلمة رضي الله عنها»، فذكَر لها ما لقي من الناس، فقالت: (يا نبيَّ الله، أتُحِبُّ ذلك؟ اخرُج ثم لا تُكلِّمْ أحدًا منهم كلمةً، حتى تنحرَ بُدْنَك، وتَدعُوَ حالقَك فيَحلِقَك). فخرج فلم يُكلم أحدًا منهم حتى فعل ذلك؛ نحَر بُدنه، ودعا حالقه فحلقه، فلما رأَوا ذلك قاموا، فنحروا وجعل بعضُهم يحلق بعضًا حتى كاد بعضهم يقتل بعضًا غمًّا[3].

---

(١) [الممتحنة: ١٠].

(٢) متفق عليه؛ رواه البخاري (٥٢٨٨)، ومسلم (١٨٦٦).

(٣) رواه البخاري (٢٧٣١).

وفي السُّنة شواهدُ كثيرة من وعي الأنثى، لو ذكَرناها لبارَت الريحَ جودًا؛ ولذا فعلى الأنثى أن تَحرِص على جمالها العقلي، وتطلبَه وتسعى إليه، ولا تخجلَ من السعي والطلب، فهذه امرأة جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: **(يا رسول الله، ذهب الرجالُ بحديثِك، فاجعَل لنا من نفسِك يومًا نأتيك فيه، تُعلِّمُنا مما علمَك الله)**، فقال: «**اجتمِعنَ في يوم كذا وكذا في مكانِ كذا وكذا**»، **فاجتمَعنَ، فأتاهن رسول الله ﷺ، فعلمَهنَّ مما علمَه الله**[1].

فلا يكتملُ جمال الأنثى إلا بجمال عقلها.

وقد مرَّ معنا في سيماء «الأنثى جمال» أن الجمال والزينة أصلٌ في خَلْق الأنثى، فهي مخلوقة على زينة، وأن التجمُّل في حقها فطري فهو من خصائصها، وأنَّ المنهج الإسلامي رغم إيثاره للجمال الداخلي، إلا أنه يرعى حاجات الإنسان ومطالبه الغالبة في الدنيا، في إطار الطيِّب والحلال الذي يَزيد الجميل جمالًا، وأن الأذواق في الجمال واسعةُ الرقعة، طويلة العنان، مختلفة الأحلام، ورغم ذلك فعقلُ الأنثى قائدٌ لجمالها، تُدرك به طلبها، فالعقل مناطُ التكليف والتفكير، فهنيئًا لمن حازت على الرزق الوفير.

(١) متفق عليه؛ رواه البخاري (٧٣١٠)، ومسلم (٢٦٣٣).

هذا[1] للأنثى السيماء

خاتمتنا

لم أعِش يومًا في الحياة من أجل أن أعدَّ الليالِيَ والأيام، لقد عشتُ أيامًا كثيرة، كتبتُ أحداثها بسيمائي كأنثىٰ، وبلحمي ودمي وأحشائي كزوجة وأم وبنت، ونثرتُ كل ذلك علىٰ نفسي ومن حولي، فأنا كقول القائل[2]:

تِلـكَ السِّـنونَ الغَارِبـاتُ وَرائـي ... سِـفْرٌ كَتَبْـتُ حُروفَـهُ بِـدِمائي

مـا عِشْـتُها لِأَعُـدَّها بَـل عِشـتُها ... لِتَبِـينَ فـي سِـيمائِها سِـيمائي

أنا أنثىٰ لي رسالتي، ولي قيمتي التي كتبَها الله لي؛ فأنا الأرضُ والسكَن، والموطنُ والحَرْث؛ أنا أنثىٰ: الإنسان، والزوج، والسكَن، والعاطفة، والجمال.

ولا أعتقد أني سأُحقق أنوثتي باستنساخ الذكَر، فأنا أنثىٰ بسيمائي، والله سبحانه يقول: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾[3].

فتلك آيةٌ نزلَت في نساء تمنَّين منازلَ الرجال، وأن يكون لهنَّ ما لهم،

---

(١) كتابنا الذي بين يدَيك.

(٢) انظر: ديوان أبي ماضي (ص: ١٠٩).

(٣) [النساء: ٣٢].

فنهىٰ الله عن الأماني الباطلة، وأمر الأنثىٰ والذكَر أن يسألوه من فضله[1].

وكثيرٌ من نساء اليوم يسرحن مع الأماني، ويتمنَّين كل شيء يخطر لهن ولا يخشين العواقب، فربما تمنَّت الواحدة منهن الشيءَ يكون فيه ضررُها[2]، أما أنا فقد فهمتُ رسالة الله، سأحب ما أحَبَّ الله لي، فأنا بعد الإسلام رأيتُ فجرًا، وأصبحت أنثىٰ ذاقت بالسيماء فخرًا، وبنور الهدىٰ علَوتُ قدرًا، فقد زاحت الغُمَّة عن قلبي، بعد أن ألبسَتني الشريعة عِزَّ نفسي.

وقد أخذتُ بتعزيز الشريعة لسيمائي الخمسة، حين وعَت سلائلُ نفسي بقيمتي الإنسانية، فغزلتُ لباس زوجيتي بمغازل الشوق، واحتضنتُ بيتي وسكني بمحاضن الوُد، ونثرتُ بجَدائل قلبي عاطفتي علىٰ من حولي، ثم أحكمتُ كلَّ سيمائي بضفائر حُسني، وذلك بعد أن عَلِمت بأن للأنثىٰ: سيماء.

فيا أيتها الأنثىٰ: سيري نحو العلياء؛ واعلَمي أن سيماءكِ حقًّا أجملُ سيماء.

(١) انظر: تفسير الطبري (٦/٦٦٣).

(٢) انظر: حسن التنبه لما ورد في التشبه (١٠/١٤٩).

قائمة المراجع والمصادر

١. الأحاديث الواردة في مراعاة مشاعر المرأة، لشروق بنت موسى الخميس، مركز باحثات ـ الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٩هـ ـ ٢٠١٨م.

٢. أحكام الأسرة في الجاهلية والإسلام، دراسة مقارنة بين أحكام الأسرة في الجاهلية وفي الشريعة الإسلامية وفي الفقه الإسلامي وفي قوانين الأحوال الشخصية في البلاد العربية، إبراهيم فوزي، دار الكلمة للنشر، الطبعة الثانية ١٩٨٣م.

٣. الأخلاق والسير في مداواة النفوس، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، دار الآفاق الجديدة ـ بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

٤. آداب الشافعي ومناقبه، لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميميِّ الحنظلي الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، تحقيق: عبد الغني عبد الخالق دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ ـ ٢٠٠٣ م.

٥. أدب الدنيا والدين، لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوَرْدي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، دار مكتبة الحياة، ١٩٨٦م.

٦. أدب الكتاب للصولي، لأبي بكر محمد بن يحيى الصولي (المتوفى: ٣٣٥هـ)، نسخَه وعُني بتصحيحه وتعليق حواشيه: محمد بهجة الأثري، المطبعة السلفية ـ بمصر، المكتبة العربية ـ ببغداد، ١٣٤١ هـ.

٧. الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار البشائر الإسلامية ـ بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩ ـ ١٩٨٩.

٨. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، لأحمد بن محمد بن أبىٰ بكر بن عبد الملك القسطَلَّاني القُتيبي المصري، أبي العباس، شهاب الدين (المتوفىٰ: ٩٢٣هـ)، المطبعة الكبرىٰ الأميرية ـ مصر، الطبعة السابعة، ١٣٢٣ هـ.
٩. أساطير بلاد الرافدين وبلاد الأغريق، دراسة مقارنة، لمحمد تواتي، وفاء طليبة، مذكرة مكملة لمتطلبات الحصول علىٰ شهادة الماستر في تاريخ الحضارات القديمة، ١٤٣٩ هـ ـ ٢٠١٨م.
١٠. الاستقامة، لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفىٰ: ٧٢٨هـ)، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود ـ المدينة المنورة، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٣هـ.
١١. الأسرة في العراق القديم، لأحمد أمين، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٥م.
١٢. أسس علم النفس، للدكتور عبد الستار إبراهيم، دار المريخ للنشر ـ الرياض، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨.
١٣. أسواق الذهب، لأحمد شوقي بن علي بن أحمد شوقي (المتوفىٰ: ١٣٥١هـ)، مطبعة الهلال ـ مصر ١٩٣٢ م.
١٤. أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، لسعيد بن محمد بن أحمد الأفغاني (المتوفىٰ: ١٤١٧هـ)، نسخة متوفرة بالشاملة.
١٥. الإصابة في تمييز الصحابة، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفىٰ: ٨٥٢هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلىٰ محمد معوض، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولىٰ ـ ١٤١٥ هـ.
١٦. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشِّنقيطي (المتوفىٰ: ١٣٩٣هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت، ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥م.

١٧. أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري)، لسليمان حمد بن محمد الخطابي (المتوفى: ٣٨٨ هـ)، تحقيق: د. محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، جامعة أم القرى ـ مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٨م.

١٨. إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف ـ الرياض.

١٩. الإفصاح عن معاني الصحاح، ليحيى بن هُبيرة بن محمد بن هبيرة الذُّهلي الشيباني، أبي المظفر، عون الدين (المتوفى ٥٦٠ هـ)، تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن، سنة النشر ١٤١٧ هـ.

٢٠. إكمال المعْلِم بفوائد مسلم، للإمام الحافظ أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليَحْصَبي (المتوفى ٥٤٤ هـ)، تحقيق: الدكتور يحيى إسماعيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٨م.

٢١. الأم، للشافعي أبي عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطَّلبي القرشي المكي (المتوفى: ٢٠٤هـ)، دار المعرفة ـ بيروت ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

٢٢. الإماء الشواعر، لعلي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني الأموي القرشي، أبو الفرج الأصبهاني (المتوفى: ٣٥٦هـ)، تحقيق: د. جليل العطية، دار النضال للطباعة النشر والتوزيع ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م.

٢٣. أمالي القالي، لأبي علي القالي، إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سلمان (المتوفى: ٣٥٦هـ)، عُني بوضعها وترتيبها: محمد عبد الجواد الأصمعي، دار الكتب المصرية، الطبعة الثانية، ١٣٤٤ هـ ـ ١٩٢٦م.

٢٤. الأمثال المولَّدة، لمحمد بن العباس الخوارزمي، أبي بكر (المتوفى: ٣٨٣هـ)، المجمع الثقافي ـ أبو ظبي ١٤٢٤ هـ.
٢٥. امرؤ القيس، لمحمد سليم الجندي، مؤسسة هنداوي.
٢٦. إميل أو تربية الطفل من المهد إلى الرشد، لجان جاك روسو، ترجمة: الدكتور نظمي لوقا، الشركة العربية للطباعة والنشر.
٢٧. الأنثى المقدسة وصراع الحضارات (المرأة والتاريخ منذ البدايات)، لمحمد إبراهيم سرتي، دار الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨ م.
٢٨. الإنسان ذلك المجهول، لألكسيس كاريل، ترجمة: عادل شفيق.
٢٩. الأنوار ومحاسن الأشعار، لأبي الحسن علي بن محمد بن المطهر العدوي المعروف بالشمشاطي (المتوفى: ٣٧٧هـ)، نسخة المكتبة الشاملة.
٣٠. أوروبا والهجرة: الإسلام في أوروبا، لإدريس بوسكن، دار الحامد ـ عمان، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م.
٣١. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، لجابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر، أبي بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم ـ المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
٣٢. بحث في علم الجمال جان برتليمي، ترجمة د. أنور عبدالعزيز.
٣٣. البحر الرائق شرح كنز الدقائق، لزين الدين بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن نجيم المصري (المتوفى: ٩٧٠هـ)، وفي آخره: تكملة البحر الرائق لمحمد بن حسين بن علي الطوري الحنفي القادري (ت بعد ١١٣٨ هـ)، منحة الخالق لابن عابدين، دار الكتاب الإسلامي، الطبعة الثانية.
٣٤. البحر المحيط في أصول الفقه، لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، دار الكتبي، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

٣٥. البدء والتاريخ، لمطهر بن طاهر المقدسي (المتوفى: نحو ٣٥٥هـ)، مكتبة الثقافة الدينية ـ بور سعيد.
٣٦. بداية المجتهد ونهاية المقتصد، لأبي الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رُشد القرطبي الشهير بابن رُشد الحفيد (المتوفى: ٥٩٥هـ)، دار الحديث ـ القاهرة، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤ م.
٣٧. البداية والنهاية، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى ١٤٠٨، هـ ـ ١٩٨٨ م.
٣٨. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، لعلاء الدين، أبي بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي (المتوفى: ٥٨٧هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
٣٩. البدر التمام شرح بلوغ المرام، للإمام القاضي الحسين بن محمد المغربي، (١٠٤٨ هـ ـ ١١١٩ هـ)، تحقيق: علي بن عبد الله الزبن، دار هجر، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.
٤٠. البرهان في أصول الفقه، لعبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبي المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرَمَين (المتوفى: ٤٧٨هـ) تحقيق: صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٧ م.
٤١. بلاغات النساء، لأبي الفضل أحمد بن أبي طاهر ابن طيفور (المتوفى: ٢٨٠هـ)، صححه وشرحه: أحمد الألفي، مطبعة مدرسة والدة عباس الأول ـ القاهرة، ١٣٢٦ هـ ـ ١٩٠٨ م.
٤٢. تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد بن محمد بن عبد الرزَّاق الحُسَيني، أبي الفيض، الملقَّب بمُرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ) تحقيق: مجموعة

من المحققين، دار الهداية.
٤٣. التاج والإكليل لمختصر خليل، لمحمد بن يوسف بن أبي القاسم بن يوسف العبدري الغرناطي، أبي عبد الله المواق المالكي (المتوفى: ٨٩٧هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٤م.
٤٤. تاريخ الإسلام ووفَيَات المشاهير والأعلام، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، تحقيق: الدكتور بشار عوَّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣م.
٤٥. تاريخ الحضارات العام، بإشراف موريس كرونية، منشورات عويدات ـ بيروت/ باريس، الطبعة الثانية ١٩٨٦م.
٤٦. تاريخ الطبري، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبي جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) دار التراث ـ بيروت، الطبعة الثانية ـ ١٣٨٧ هـ.
٤٧. تاريخ العرب قبل الإسلام، للدكتور محمد سهيل طقوش، دار النفائس ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٣٠ هـ ـ ٢٠٠٩م.
٤٨. تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ)، المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥ م.
٤٩. تاريخ دمشق، لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ)، المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥ م.
٥٠. التاو تي تشينغ، لفراس السواح، دار علاء الدين للنشر ـ سوريا، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.
٥١. التبيان في أقسام القرآن، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، شمس الدين، ابن قيِّم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة ـ بيروت.

٥٢. تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشلبي، لعثمان بن علي بن محجن البارعي، فخر الدين الزَّيلعي الحنفي (المتوفى: ٧٤٣ هـ)، الحاشية: شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن يونس بن إسماعيل بن يونس الشِّلْبِيُّ (المتوفى: ١٠٢١ هـ)، المطبعة الكبرى الأميرية ـ بولاق، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣١٣ هـ.

٥٣. التحبير لإيضاح معاني التيسير، لمحمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبي إبراهيم، عز الدين (المتوفى ١١٨٢ هـ) تحقيق: محمد صبحي بن حسن حلاق أبي مصعب، مكتبة الرشد الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٣ هـ ـ ٢٠١٢م.

٥٤. تحرير المرأة القصة الكاملة، د. إياد قنيبي، ٢٠٢٠ م.

٥٥. التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر ـ تونس ١٩٨٤ هـ.

٥٦. تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، تحقيق: محيي الدين مستو، مكتبة دار التراث ـ المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م.

٥٧. تحفة الأحوذي، لأبي العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (المتوفى: ١٣٥٣هـ)، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٥٨. تحفة المحتاج في شرح المنهاج، لأحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي، روجعت وصُحِّحت: على عدة نسخ بمعرفة لجنة من العلماء، المكتبة التجارية الكبرى ـ مصر، ١٣٥٧ هـ ـ ١٩٨٣ م.

٥٩. تسلسل زمني لتاريخ المثليين، ويكيبيديا.

٦٠. التشبيهات، لأبي إسحاق بن أبي عون (المتوفى: ٣٢٢هـ)، نسخة المكتبة الشاملة.

٦١. التشكيل الفني لصورة المرأة في الأمثال العربية من الجاهلية حتى نهاية القرن

الرابع الهجري، دراسة نصية وصفية تحليلية، لعبد المجيد محمد الإسداوي، المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل، العلوم الإنسانية، والإدارية، المجلد الحادي عشر، العدد الثاني، ١٤٣١ هـ ـ ٢٠١٠م.

٦٢. التطور التاريخي لدور المرأة في العصر العباسي، (٣٣٤ ـ ١٣٢ هـ ـ ٩٤٥ ـ ٧٥٠م)، لبهيجة محمد علي السروجي، أطروحة مقدمة كجزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه في التاريخ، إشراف: أ. د. حسان حلاق، أ. د. عصام شبارو، قسم التاريخ، كلية الآداب ـ بيروت ١٤٣٧ هـ ٢٠١٦م.

٦٣. تطور المرأة عبر التاريخ، لباسمة كيال، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١م.

٦٤. تفسير ابن عطية، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ) تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ.

٦٥. تفسير ابن كثير، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩ م.

٦٦. تفسير البغوي، لمحيي السنة، أبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٠هـ) تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ.

٦٧. تفسير البيضاوي، لناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ) تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة الأولى ـ ١٤١٨ هـ.

٦٨. تفسير الثعلبي، لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبي إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير

الساعدي، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠٢م.

٦٩. تفسير الحجرات والحديد، لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، دار الثريا للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ ـ ٢٠٠٤ م.

٧٠. تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل، لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي، أبي الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ) دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ.

٧١. تفسير الرازي، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التَّيْمي الرازي، الملقَّب بفخر الدين الرازي، خطيب الرَّي (المتوفى: ٦٠٦هـ) دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة الثالثة ـ ١٤٢٠ هـ.

٧٢. تفسير الزمخشري، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري، جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي ـ بيروت، الطبعة الثالثة ـ ١٤٠٧ هـ.

٧٣. تفسير السعدي، لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠ م.

٧٤. تفسير السمرقندي، لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ).

٧٥. تفسير السمعاني، لأبي المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ) تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض ـ السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

٧٦. تفسير الطبري، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبي جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي،

دار هجر، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠١ م.

٧٧. تفسير العز بن عبدالسلام، لأبي محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقَّب بسلطان العلماء (المتوفى: ٦٦٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم ـ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

٧٨. تفسير القاسمي، لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ) تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميه ـ بيروت، الطبعة الأولى ـ ١٤١٨ هـ.

٧٩. تفسير القرطبي، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية ـ القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤ م.

٨٠. التفسير القيم، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، شمس الدين، ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال ـ بيروت، الطبعة الأولى ـ ١٤١٠ هـ.

٨١. تفسير المراغي، لأحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ـ مصر، الطبعة الأولى، ١٣٦٥ هـ ـ ١٩٤٦ م.

٨٢. تفسير المنار، لمحمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠ م.

٨٣. تفسير عبد الرزاق، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، دراسة وتحقيق:

د. محمود محمد عبده، الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة: الأولى، سنة ١٤١٩هـ.

٨٤. التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية، للحسن بن محمد بن الحسن الصَّغاني، أبي الفضائل، تحقيق: عبد العليم الطحاوي، راجعه عبد الحميد حسن، السنة ١٩٧٠م.

٨٥. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ) تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ المغرب ١٣٨٧ هـ.

٨٦. التنوير شرح الجامع الصغير، لمحمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبي إبراهيم عز الدين (المتوفى ١١٨٢ هـ) تحقيق: د. محمد إسحاق محمد إبراهيم، مكتبة دار السلام ـ الرياض، الطبعة الأولى ١٤٣٢ هـ ـ ٢٠١١م.

٨٧. تهذيب اللغة، لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبي منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ) تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

٨٨. التوضيح لشرح الجامع الصحيح، لأبي الملقِّن سراج الدين أبي حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: ٨٠٤هـ)، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، دار النوادر، دمشق ـ سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ ـ ٢٠٠٨ م.

٨٩. التوقيف على مهمَّات التعاريف، لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت ـ القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

٩٠. تيسير العلام شرح عمدة الأحكام، لأبي عبد الرحمن عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح بن حمد بن محمد بن حمد البسام (المتوفى: ١٤٢٣هـ) تحقيق: محمد صبحي بن حسن حلاق، مكتبة الصحابة ـ الأمارات، مكتبة التابعين ـ القاهرة، الطبعة العاشرة، ١٤٢٦ هـ ـ ٢٠٠٦ م.

٩١. التيسير بشرح الجامع الصغير، لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، مكتبة الإمام الشافعي ـ الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٩٢. جامع العلوم والحكم، لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَّلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ـ إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، الطبعة السابعة، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

٩٣. جامع المسائل لابن تيميَّة، لتقي الدين أبي العبَّاس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيميَّة الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: محمد عزير شمس، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ.

٩٤. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٩٥. الجامع في الحديث لابن وهب، أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم المصري القرشي (المتوفى: ١٩٧هـ)، المحقق: د مصطفى حسن حسين محمد أبو الخير، أستاذ الحديث وعلومه المساعد ـ كلية أصول الدين ـ القاهرة، الناشر: دار ابن الجوزي ـ الرياض، الطبعة: الأولى ١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٥ م.

٩٦. الجامع لمسائل المدونة، لأبي بكر محمد بن عبد الله بن يونس التميمي الصقلي (المتوفى ٤٥١ هـ)، تحقيق: مجموعة باحثين في رسائل دكتوراه، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي ـ جامعة أم القرى (سلسلة الرسائل الجامعية الموصى بطبعها) دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٣٤ هـ ـ ٢٠١٣م.

٩٧. جَمْهرة خُطب العرب في عصور العربية الزاهرة، لأحمد زكي صفوت، المكتبة العلمية بيروت ـ لبنان.

٩٨. جنس الدماغ، الفارق الحقيقي بين الرجال والنساء، لآن موير، وديفيد جيسيل، ترجمة: بدر المنيس، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.

٩٩. الجنين يرى ويسمع ويتأثر، kenanaonline.com.

١٠٠. الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، شمس الدين، ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، دار المعرفة ـ المغرب، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

١٠١. حاشية السِّندي على سنن ابن ماجه، لمحمد بن عبد الهادي التتوي، أبي الحسن، نور الدين السِّندي (المتوفى: ١١٣٨هـ)، دار الجيل ـ بيروت.

١٠٢. حدائق الحكمة أقوال مأثورة من مدرسة الحياة، لنبيل أحمد، الطبعة الأولى، ١٤٣١ هـ ـ ٢٠١٠م.

١٠٣. حسن الأسوة ما ثبت من الله ورسوله في النسوة، أبي الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ) تحقيق: د. مصطفى الخن ـ ومحيي الدين مستو، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

١٠٤. حسن التنبه لما ورد في التشبه، لنجم لدين الغزي، دار النوادر ـ سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م.

١٠٥. حصوننا مهددة من داخلها، لمحمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثامنة، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٣م.
١٠٦. حضارة ما بين النهرين العريقة، لما تفيف سازونوف، ترجمة: حنا آدم، دار المجد ـ دمشق، ١٩٩١م.
١٠٧. حكمة الصين، لفان براج، ترجمة: موفق المشنوق، الأهالي للطباعة والنشر ـ سوريا، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.
١٠٨. الحياة الجنسية في مصر القديمة، لليز مانيش، الطبعة الأولى.
١٠٩. خدمة المرأة زوجَها، دراسة فقهية، ووقفات تربوية، لعبدالحميد بن صالح الكراني الغامدي، مكتبة الملك فهد، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.
١١٠. خلق الإنسان، لأبي سعيد عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع (المتوفى: ٢١٦هـ)، نسخة المكتبة الشاملة.
١١١. الداء والدواء، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيِّم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، دار المعرفة ـ المغرب، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.
١١٢. دَرْء تعارض العقل والنقل، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيميَّة الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤١١ هـ ـ ١٩٩١ م.
١١٣. دَرْجُ الدُّرر في تفسير الآيِ والسُّوَر، لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجُرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ) تحقيق الفاتحة والبقرة: وليد بن أحمد بن صالح الحسين، بقية الأجزاء: إياد عبد اللطيف القيسي، مجلة الحكمة ـ بريطانيا، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ ـ ٢٠٠٨ م.

١١٤. دور المرأة في الحضارات القديمة وأدوات الزينة، لمريم طالبي، جميلة بو عكاز، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ العام، الجزائر، ٢٠١٨م.
١١٥. دور المرأة في المجتمع المصري القديم، للدكتور عبد الحليم نور الدين، وزارة الآثار ـ مصر.
١١٦. ديوان ابن نُباتة المصري، لجمال الدين بن نُباتة المصري، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.
١١٧. ديوان أبي ماضي، دار العودة ـ بيروت.
١١٨. ديوان الأساطير، سومر وآكاد وآشور، ترجمة قاسم شواف، إشراف: أدونيس، دار الساقي، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.
١١٩. ديوان الصبابة، لشهاب الدين أحمد بن أبي حجلة المغربي (المتوفى: ٧٧٦هـ)، نسخة المكتبة الشاملة.
١٢٠. ديوان امرئ القيس، لامرِئ القَيْس بن حجر بن الحارث الكِنْدي، من بني آكل المرار (المتوفى: ٥٤٥ م)، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة ـ بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٥ هـ ـ ٢٠٠٤ م.
١٢١. ديوان طرفة بن العبد، لطَرَفَة بن العَبْد بن سفيان بن سعد البكري الوائلي أبو عمرو الشاعر الجاهلي (المتوفى: ٥٦٤ م)، تحقيق: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة، ١٤٢٣ هـ ـ ٢٠٠٢ م.
١٢٢. ذخيرة العقبى في شرح المجتبى، لمحمد بن علي بن آدم بن موسى الإثيوبي الولوي، دار آل بروم للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ ـ ٢٠٠٣ م.
١٢٣. الذخيرة، لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (المتوفى: ٦٨٤هـ)، تحقيق: محمد بو خبزة، دار الغرب الإسلامي ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٤ م.
١٢٤. الذريعة الى مكارم الشريعة، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب

الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ) تحقيق: د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي، دار السلام ـ القاهرة، ١٤٢٨ هـ ـ ٢٠٠٧ م.

١٢٥. ذم الملاهي، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: ٢٨١هـ)، تحقيق ودراسة: عمرو عبد المنعم سليم، الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة ـ مصر، مكتبة العلم، جدة ـ السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ.

١٢٦. الرسالة للقيرواني، لأبي محمد عبد الله بن أبي زيد عبد الرحمن النفزي، القيرواني، المالكي (المتوفى: ٣٨٦هـ)، دار الفكر.

١٢٧. الرسائل للجاحظ، لعمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبي عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: ٢٥٥هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي ـ القاهرة، ١٣٨٤ هـ ـ ١٩٦٤ م.

١٢٨. روضة الطالبين وعمدة المفتين، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ) تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت ـ دمشق ـ عمان، الطبعة الثالثة، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م.

١٢٩. روضة المحبين ونزهة المشتاقين، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، شمس الدين، ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: ١٤٠٣هـ/١٩٨٣ م.

١٣٠. زاد المسير في علم التفسير، لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي ـ بيروت، الطبعة الأولى ـ ١٤٢٢ هـ.

١٣١. زاد المعاد في هدي خير العباد، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، شمس الدين، ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ مكتبة المنار الإسلامية ـ الكويت، الطبعة السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م.

١٣٢. سايكولوجية الرجل والمرأة، أحدث دراسة علمية حول المشكلات الزوجية، أسبابها وطرق علاجها، للدكتور طارق كمال النعيمي، دار إحياء العلوم ـ بيروت، (ص: ٢٢ ـ ٢٣).

١٣٣. سبل السلام، لمحمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (المتوفى: ١١٨٢هـ)، دار الحديث.

١٣٤. السراج المنير شرح الجامع الصغير في حديث البشير النذير، للشيخ علي بن الشيخ أحمد بن الشيخ نور الدين بن محمد بن الشيخ إبراهيم الشهير بالعزيزي، أعده للشاملة: فريق رابطة النساخ ـ مركز النخب العلمية.

١٣٥. سِفر التكوين.

١٣٦. سِفر لاوي.

١٣٧. السلطانتان خرَّم ومهرماه قرينة القانوني وسليلته، جان ألبجو ونج ـ دار النيل ٢٠١٤ م.

١٣٨. سنن ابن ماجه، المؤلف: ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية ـ فيصل عيسى البابي الحلبي.

١٣٩. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت.

١٤٠. سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ

مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م.

١٤١. سنن الدارقطني، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني (المتوفى: ٣٨٥هـ)، حققه وضبط نصه وعلق عليه: شعيب الارنؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ ـ ٢٠٠٤ م.

١٤٢. السنن الصغير للبيهقي، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: عبد المعطي أمين قلعجي، دار النشر: جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي ـ باكستان، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م.

١٤٣. السنن الكبرى، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة ـ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠١ م.

١٤٤. السنن الكبرى، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنات، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ ـ ٢٠٠٣ م.

١٤٥. سنن سعيد بن منصور، أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني الجوزجاني (المتوفى: ٢٢٧هـ)، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: الدار السلفية ـ الهند، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ ـ١٩٨٢م.

١٤٦. سير أعلام النبلاء، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفَّى: ٧٤٨هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف

الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.
١٤٧. شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، لجمعه ورتبه ووقف على طبعه: بشير يموت، المكتبة الأهلية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٥٢ هـ ـ ١٩٣٤ م.
١٤٨. شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، لمحمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المصري الأزهري، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الثقافة الدينية ـ القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.
١٤٩. شرح القَسْطلَّاني، لأحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلَّاني القتيبي المصري، أبي العباس، شهاب الدين (المتوفى: ٩٢٣هـ)، المطبعة الكبرى الأميرية ـ مصر، الطبعة السابعة، ١٣٢٣ هـ.
١٥٠. شرح المشكاة للطيبي، لشرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (المتوفى: ٧٤٣ هـ) تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز ـ مكة المكرمة/الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٧ م.
١٥١. شرح النووي على مسلم، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢.
١٥٢. شرح ديوان الحماسة، على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني (المتوفى: ٤٢١ هـ)، تحقيق: غريد الشيخ، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ ـ ٢٠٠٣ م.
١٥٣. شرح رياض الصالحين، لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، دار الوطن للنشر ـ الرياض، الطبعة: ١٤٢٦ هـ.
١٥٤. شرح زاد المستقنع، لمحمد بن محمد المختار الشنقيطي، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، نسخة المكتبة الشاملة.
١٥٥. شرح سنن أبي داود، لشهاب الدين أبي العباس أحمد بن حسين بن علي بن

رسلان المقدسي الرملي الشافعي، تحقيق: عدد من الباحثين بدار الفلاح بإشراف خالد الرباط، الطبعة الأولى، ١٤٣٧هـ ـ ٢٠١٦م.

١٥٦. شرح صحيح البخاري لابن بطال، أبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: ٤٤٩هـ)، المحقق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد ـ الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م.

١٥٧. شرح كتاب الحماسة للفارسي (مطبوع مع: شروح حماسة أبي تمام دراسة موازنة في مناهجها وتطبيقها)، لأبي القاسم زيد بن عليٍّ الفارسيِّ (المتوفى: ٤٦٧ هـ)، تحقيق: د. محمد عثمان علي، دار الأوزاعي ـ بيروت، الطبعة الأولى.

١٥٨. شرح مسند الشافعي، لعبد الكريم بن الفضل بن الحسن القزويني، أبي القاسم الرافعي الشافعي، المحقق: أبو بكر وائل محمد بكر زهران، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ قطر، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.

١٥٩. شرح مصابيح السنة للإمام البغوي، لمحمَّد بن عزِّ الدِّين عبد اللطيف بن عبد العزيز بن أمين الدِّين بن فِرِشْتَا، الرُّوميِّ الكَرْمانيِّ، الحنفي، المشهور بابن المَلَك (المتوفى: ٨٥٤ هـ)، تحقيق: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب، إدارة الثقافة الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ ـ ٢٠١٢ م.

١٦٠. شرح نقائض جرير والفرزدق، لأبي عُبيدة مَعْمر بن المثنَّى، برواية اليَزيدي عن السكري عن ابن حبيب عنه، تحقيق: محمد إبراهيم حور، وليد محمود خالص، المجمع الثقافي ـ أبو ظبي/الإمارات، الطبعة الثانية، ١٩٩٨م.

١٦١. شريعة حمورابي، محمود الأمين، دار الوراق، لندن، ٢٠٠٧م.

١٦٢. شعب الإيمان، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي ـ الهند، الناشر: مكتبة

الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ ـ ٢٠٠٣ م.

١٦٣. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين ـ بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م.

١٦٤. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة ـ بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٤ ـ ١٩٩٣.

١٦٥. صحيح ابن خزيمة، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (المتوفى: ٣١١هـ)، المحقق: د. محمد مصطفى الأعظمي، الناشر: المكتب الإسلامي ـ بيروت.

١٦٦. صحيح أبي داود ـ الأم، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ ـ ٢٠٠٢ م.

١٦٧. صرح ومهد الحضارة السورية، لمفيد عرنوق، دار علاء الدين ـ سوريا، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.

١٦٨. الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، شمس الدين، ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة ـ الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

١٦٩. الطب النبوي، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، شمس الدين، ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، دار الهلال ـ بيروت.

١٧٠. طبائع النساء وما جاء فيها من عجائب وأخبار وأسرار، لأبي عمر، شهاب الدين

أحمد بن محمد بن عبد ربِّه ابن حبيب ابن حدير بن سالم، المعروف بابن عبد ربه الأندلسي (المتوفى: ٣٢٨هـ)، مكتبة القرآن ـ القاهرة.

١٧١. الطبقات الكبرى، طبقات ابن سعد، لمحمد بن سعد بن منيع الزهري، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م.

١٧٢. الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ليحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلَويِّ الطالبي الملقب بالمؤيد بالله (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المكتبة العنصرية ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ.

١٧٣. طرح التثريب في شرح التقريب، لأبي الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي (المتوفى: ٨٠٦هـ)، أكمله ابنه: أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين الكردي الرازياني ثم المصري، أبو زرعة ولي الدين، ابن العراقي (المتوفى: ٨٢٦هـ) الطبعة المصرية القديمة ـ وصورتها دور عدة منها (دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، ودار الفكر العربي.

١٧٤. الطريق إلى مكة، لليوبولد فايس (محمد أسد)، ترجمة: رفعت السيد علي، منشورات الجمل، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.

١٧٥. طَوق الحمامة في الأُلْفة والأُلَّاف، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ) تحقيق: د. إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية ـ ١٩٨٧ م.

١٧٦. العزيز شرح الوجيز، المعروف بالشرح الكبير، لعبدالكريم بن محمد بن عبدالكريم، لأبي القاسم الرافعي القزويني، (المتوفى: ٦٢٣ هـ) تحقيق: علي محمد عوض ـ عادل أحمد عبدالموجود، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

١٧٧. عقد الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة، لأبي محمد جلال الدين عبد الله

بن نجم بن شاس بن نزار الجذامي السعدي المالكي (المتوفى: ٦١٦هـ)، تحقيق: حميد بن محمد لحمر، دار الغرب الإسلامي ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م.

١٧٨. العِقد الفريد، لأبي عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم، المعروف بابن عبد ربِّه الأندلسي (المتوفى: ٣٢٨هـ)، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤ هـ.

١٧٩. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لأبي محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي، بدر الدين العيني (المتوفى: ٨٥٥هـ)، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

١٨٠. العمدة في محاسن الشعر وآدابه، لأبي على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (المتوفى: ٤٦٣ هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، الطبعة الخامسة، ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م.

١٨١. عمل المرأة في الميزان، للدكتور: محمد علي البار، نسخة موقع صيد الفوائد.

١٨٢. عون المعبود وحاشية ابن القيم، لمحمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبي عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي (المتوفى: ١٣٢٩هـ)، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٥ هـ.

١٨٣. عيون الأخبار، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ١٤١٨ هـ.

١٨٤. الفاخر، للمفضل بن سلمة بن عاصم، أبي طالب (المتوفى: نحو ٢٩٠هـ)، تحقيق: عبد العليم الطحاوي، مراجعة: محمد علي النجار، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، الطبعة الأولى، ١٣٨٠ هـ.

١٨٥. فتاوى نور على الدرب، لعبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، جمعها: الدكتور محمد بن سعد الشويعر، قدم لها: عبد العزيز بن عبد الله بن

محمد آل الشيخ.
١٨٦. فتاوى نور على الدرب، لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، نسخة المكتبة الشاملة.
١٨٧. فتح الباري لابن حجر، لأحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة ـ بيروت، ١٣٧٩هـ.
١٨٨. فتح القدير، لكمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي المعروف بابن الهمام (المتوفى: ٨٦١هـ)، دار الفكر.
١٨٩. فتح المنعم شرح صحيح مسلم، لموسى شاهين لاشين، دار الشروق، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.
١٩٠. فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام، لمحمد بن صالح العثيمين، تحقيق: صبحي بن محمد رمضان ـ أم إسراء بنت عرفة بيومي، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.
١٩١. فتوح الشام، لمحمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبي عبد الله، الواقدي (المتوفى: ٢٠٧هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.
١٩٢. الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، لأحمد بن غانم بن سالم ابن مهنا، شهاب الدين النفراوي الأزهري المالكي (المتوفى: ١١٢٦هـ)، دار الفكر، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.
١٩٣. فيض القدير شرح الجامع الصغير، لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، المكتبة التجارية الكبرى ـ مصر، الطبعة الأولى، ١٣٥٦هـ.
١٩٤. قصة الحضارة، لوِل ديورَانت = ويليام جيمس ديورَانت (المتوفى: ١٩٨١ م) تقديم: الدكتور محيي الدِّين صابر، ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمود

وآخرين، دار الجيل ـ بيروت، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م.

١٩٥. قصيدة حجبتِ الجمال، موقع صيد الفوائد:
http://www.saaid.net/female/Q12.htm

١٩٦. قوت القلوب في معاملة المحبوب وصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، لمحمد بن علي بن عطية الحارثي، أبي طالب المكي (المتوفى: ٣٨٦هـ) تحقيق: د. عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٦ هـ ـ ٢٠٠٥ م.

١٩٧. الكامل في التاريخ، لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

١٩٨. الكامل في اللغة والأدب، لمحمد بن يزيد المبرد، أبي العباس (المتوفى: ٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي ـ القاهرة، الطبعة الثالثة ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٧م.

١٩٩. كتاب الألفاظ، لابن السكيت، لأبي يوسف يعقوب بن إسحاق (المتوفى: ٢٤٤ هـ) تحقيق: د. فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.

٢٠٠. الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ)، المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد ـ الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩.

٢٠١. كشاف القناع عن متن الإقناع، لمنصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس البهوتي الحنبلي (المتوفى: ١٠٥١هـ)، دار الكتب العلمية.

٢٠٢. كشف المشكل من حديث الصحيحين، لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، تحقيق: علي حسين البواب، دار الوطن ـ الرياض.
٢٠٣. الكشكول، لمحمد بن حسين بن عبد الصمد الحارثي العاملي الهمذاني، بهاء الدين (المتوفى: ١٠٣١هـ) تحقيق: محمد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.
٢٠٤. الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، لمحمد بن يوسف الكرماني شمس الدين، تحقيق: محمد محمد عبد اللطيف، المطبعة البهية المصرية، ١٣٥٦هـ ـ ١٩٣٧م.
٢٠٥. لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن على، أبي الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، دار صادر ـ بيروت، الطبعة الثالثة ـ ١٤١٤ هـ.
٢٠٦. اللطف واللطائف، لعبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبي منصور الثعالبي (المتوفى: ٤٢٩هـ)، نسخة المكتبة الشاملة.
٢٠٧. المبسوط للسرَخْسي، لمحمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السَّرَخسي (المتوفى: ٤٨٣هـ)، دار المعرفة ـ بيروت، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.
٢٠٨. المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي، المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية ـ حلب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ ـ ١٩٨٦.
٢٠٩. مجمع الأمثال، لأبي الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النَّيسابوري (المتوفى: ٥١٨هـ) تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة ـ بيروت.
٢١٠. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان

الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ)، المحقق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م.

٢١١. مجمع بحار الأنوار في غريب التنزيل ولطائف الأخبار، وتكملة مجمع بحار الأنوار، لمحمد طاهر الصديقي الفتني، مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد ـ الهند، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م.

٢١٢. مجمل اللغة لابن فارس، لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبي الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة ـ بيروت الطبعة الثانية، ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م.

٢١٣. مجموع الفتاوى، لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيميَّة الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ـ المدينة النبوية، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

٢١٤. المجموع شرح المهذب، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، دار الفكر.

٢١٥. المحاسن والأضداد، لعمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبي عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: ٢٥٥هـ)، دار ومكتبة الهلال ـ بيروت، ١٤٢٣ هـ.

٢١٦. المحكَم والمحيط الأعظم، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سِيدَه المرسي (المتوفى: ٤٥٨هـ) تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠٠ م.

٢١٧. المحيط في اللغة، لإسماعيل بن عباد بن العباس، لأبي القاسم الطالقاني، المشهور بالصاحب بن عباد (المتوفى: ٣٨٥هـ)، نسخة المكتبة الشاملة.

٢١٨. المخ ذكر أم أنثى، للدكتور: عمرو شريف، والدكتور: نبيل كامل، مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٩م.

٢١٩. مختصر التحرير شرح الكوكب المنير، لتقي الدين أبي البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي المعروف بابن النجار الحنبلي (المتوفى: ٩٧٢هـ) تحقيق: محمد الزحيلي ونزيه حماد، مكتبة العبيكان، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧ م.

٢٢٠. مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، اختصره: محمد بن محمد بن عبد الكريم بن رضوان البعلي شمس الدين، ابن الموصلي (المتوفى: ٧٧٤هـ) تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة ـ مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

٢٢١. مختصر الفقه الإسلامي في ضوء القرآن والسنة، لمحمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، دار أصداء المجتمع ـ المملكة العربية السعودية، الطبعة الحادية عشرة، ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠ م.

٢٢٢. مختصر المؤمَّل في الرد إلى الأمر الأول، لأبي القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي، المعروف بأبي شامة (المتوفى: ٦٦٥هـ) تحقيق: صلاح الدين مقبول أحمد، مكتبة الصحوة الإسلامية ـ الكويت ١٤٠٣ هـ.

٢٢٣. المخصص، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سِيدَه المرسي (المتوفى: ٤٥٨هـ) تحقيق: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

٢٢٤. المدوَّنة، لمالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: ١٧٩هـ) دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

٢٢٥. مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، لأبي محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي (المتوفى: ٧٦٨هـ)

وضع حواشيَه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٧ م.

٢٢٦. مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، لشمس الدين أبي المظفر يوسف بن قِزْأُوغلي بن عبد الله المعروف بـ«سبط ابن الجوزي» (٥٨١ ـ ٦٥٤ هـ) دار الرسالة العالمية، دمشق ـ سوريا، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٣٤ هـ ـ ٢٠١٣ م.

٢٢٧. المرأة العربية عبر التاريخ، لعلي عثمان، دار التضامن للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت.

٢٢٨. المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها، لعبد الله بن عفيفي الباجوري، (المتوفىٰ: ١٣٦٤هـ) مكتبة الثقافة ـ المدينة المنورة، الطبعة الثانية، ١٣٥٠ هـ ـ ١٩٣٢ م.

٢٢٩. المرأة بين الجاهلية والإسلام دراسة مقارنة علىٰ ضوء الإسلام، لمحمد الناصر، خولة درويش، دار الرسالة، الطبعة الأولىٰ.

٢٣٠. المرأة بين السماء والأرض دراسة ميثولوجية اجتماعية مقارنة، لعبد الملك، أبي رقطي، دار نينوىٰ للدراسات والنشر والتوزيع.

٢٣١. المرأة بين تكريم الإسلام وإهانة الجاهلية، لمحمد أحمد إسماعيل المقدم، دار الخلفاء الراشدين.

٢٣٢. المرأة بين شريعة الإسلام والحضارة الغربية، للدكتور: ظفر الإسلام خان، ترجمة سيد رئيس أحمد الندوي، دار الصحوة للنشر والتوزيع ـ القاهرة، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ـ المنصورة، الطبعة الأولىٰ ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٤م.

٢٣٣. المرأة عبر التاريخ، لأفرام سليمان متَّىٰ، نسخة مرفوعة علىٰ الإنترنت بغير معلومات نشر.

٢٣٤. المرأة في الإسلام، الشيخ محمد الغزالي، د. محمد سيد طنطاوي، د. أحمد عمر هاشم، مطبوعات أخبار اليوم.

٢٣٥. المرأة في الجاهلية، لحبيب الزيات، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٢م.
٢٣٦. المرأة في الشعر الأموي، د. فاطمة تجور، من منشورات اتحاد الكتاب العربي ١٩٩٩.
٢٣٧. المرأة في العصر العباسي (٤٤٧ ـ ٦٥٦ هـ ـ ١٢٥٨ ـ ١٠٥٥م)، لوجدان حسن العزايزة، إشراف أ.د. يوسف حسن درويش غوانمة ـ أ. د. سليمان عبد الله الخرابشة، حقل التخصص: التاريخ الإسلامي، جامعة اليرموك، كلية الآداب، قسم التاريخ ١٤٢٥ هـ ـ ٢٠٠٤م.
٢٣٨. المرأة في جميع الأديان والعصور، لمحمد عبد المقصود، مكتبة مدبولي ـ القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٨٣م.
٢٣٩. المرأة في حضارات بلاد الشام القديمة، لعلي القيم، الأهالي، الطبعة الثانية، ١٩٩٧ م.
٢٤٠. المرأة منذ العصر الحجري والمرأة في الإسلام كإنسان، للدكتورة نعيمة شومان، دار الفارابي ـ بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١١م.
٢٤١. مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، لعبد المؤمن بن عبد الحق، ابن شمائل القطيعي البغدادي، الحنبلي، صفيِّ الدين (المتوفى: ٧٣٩هـ)، دار الجيل ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ.
٢٤٢. مِرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن (سلطان) محمد، أبي الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ)، دار الفكر، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.
٢٤٣. المزدَكية هي أصل الاشتراكية، لعبد اللطيف بن علي السلطاني، مطابع دار الكتاب ـ الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ١٣٤٩هـ ـ ١٩٧٤م.
٢٤٤. المسالك في شرح موطأ مالك، لأبي بكر ابن العربي، محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الإشبيلي المالكي، تحقيق: محمد بن الحسين السليماني ـ

عائشة بنت الحسين السليماني، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.

٢٤٥. المستدرك على الصحيحين، المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٢٤٦. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط ـ عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠١ م.

٢٤٧. مسند الإمام الشافعي، الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: ٢٠٤هـ)، رتبه على الأبواب الفقهية: محمد عابد السندي، عرف للكتاب وترجم للمؤلف: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، تولى نشره وتصحيحه ومراجعة أصوله على نسختين مخطوطتين: السيد يوسف علي الزواوي الحسني، السيد عزت العطار الحسيني، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، عام النشر: ١٣٧٠ هـ ـ ١٩٥١ م.

٢٤٨. مسند الدارمي المعروف بـ(سنن الدارمي)، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفى: ٢٥٥هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ ـ ٢٠٠٠ م.

٢٤٩. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

٢٥٠. مشكاة المصابيح، محمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين، التبريزي (المتوفى: ٧٤١هـ)، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي ـ بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٩٨٥.

٢٥١. مصابيح الجامع وهو شرح الجامع الصحيح للإمام البخاري، لبدر الدين الدَّماميني، تحقيق: نور الدين طالب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ قطر، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م.

٢٥٢. المصباح المضي في كتاب النبي الأمي ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي، لمحمد بن علي بن أحمد بن عبد الرحمن بن حسن الأنصاري، أبي عبد الله، جمال الدين ابن حديدة (المتوفى: ٧٨٣هـ) تحقيق: محمد عظيم الدين، عالم الكتب ـ بيروت.

٢٥٣. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبي العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية ـ بيروت.

٢٥٤. المصنف، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ)، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: المجلس العلمي ـ الهند، يطلب من: المكتب الإسلامي ـ بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣.

٢٥٥. المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، لمحمد بن محمد حسن شُرَّاب، دار القلم، الدار الشامية ـ دمشق/بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ.

٢٥٦. معجزات القرآن العلمية في الإنسان مقابلة مع التوراة والإنجيل، للأستاذ عبدالوهاب الراوي، دار العلوم، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م.

٢٥٧. معجم الآلهة والكائنات الأسطورية في الشرق الأدنى القديم، للدكتور عيد مرعي، وزارة الثقافة ـ دمشق، ٢٠١٨م.

٢٥٨. المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد،

عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين ـ القاهرة.
٢٥٩. المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية ـ القاهرة، الطبعة: الثانية.
٢٦٠. معرفة السنن والآثار، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبي بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، الناشرون: جامعة الدراسات الإسلامية (كراتشي ـ باكستان)، دار قتيبة (دمشق ـ بيروت)، دار الوعي (حلب ـ دمشق)، دار الوفاء (المنصورة ـ القاهرة)، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م.
٢٦١. معرفة السنن والآثار، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: عبد المعطي أمين قلعجي، الناشرون: جامعة الدراسات الإسلامية (كراتشي ـ باكستان)، دار قتيبة (دمشق ـبيروت)، دار الوعي (حلب ـ دمشق)، دار الوفاء (المنصورة ـ القاهرة)، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م.
٢٦٢. المعمرون والوصايا، لأبي حاتم سهل بن محمد بن عثمان الجشمي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٤٨هـ)، نسخة المكتبة الشاملة.
٢٦٣. المعونة على مذهب عالم المدينة «الإمام مالك بن أنس»، لأبي محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر الثعلبي البغدادي المالكي (المتوفى: ٤٢٢هـ) تحقيق: حميش عبد الحق، المكتبة التجارية، مصطفى أحمد الباز ـ مكة المكرمة، أصله رسالة دكتوراه بجامعة أم القرى بمكة المكرمة.
٢٦٤. مغامرة العقل الأول دراسة في الأسطورة: سوريا وبلاد الرافدين، لفراس السواح، الطبعة الحادية عشر.
٢٦٥. المغني لابن قدامة، لأبي محمد موفَّق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قُدامة الجَمَّاعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قُدامة المقدسي

(المتوفى: ٦٢٠هـ)، مكتبة القاهرة.

٢٦٦. المفاتيح في شرح المصابيح، للحسين بن محمود بن الحسن الزيداني المظهري الكوفي مظهر الدين، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامي ـ الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م.

٢٦٧. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٢٦٨. مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، لمحمَّد بن سالم بن نصرالله بن سالم ابن واصل، أبي عبد الله المازني التميمي الحموي، جمال الدين (المتوفى: ٦٩٧هـ) تحقيق: الدكتور جمال الدين الشيال، دار الكتب والوثائق القومية، المطبعة الأميرية ـ القاهرة، ١٣٧٧ هـ ـ ١٩٥٧ م.

٢٦٩. المفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، للدكتور جواد علي (المتوفى: ١٤٠٨هـ)، دار الساقي، الطبعة الرابعة ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

٢٧٠. مفهوم النسوية دراسة نقدية في ضوء الإسلام، لأمل بنت ناصر الخريف، باحثات لدراسات المرأة ـ الرياض، الطبعة الأولى ١٤٣٧ هـ ـ ٢٠١٦م.

٢٧١. مقاتل الطالبيين، لعلي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني الأموي القرشي، أبي الفرج الأصبهاني (المتوفى: ٣٥٦هـ) تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعرفة ـ بيروت.

٢٧٢. مقال الحب والعشق في زمن الفراعنة، لوائل جمال الدين،
https://www.bbc.com/arabic/art-and-culture-43409431

٢٧٣. مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبي الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

٢٧٤. مكانة المرأة في بلاد الرافدين وعصور ما قبل التاريخ، لميادة كيالي، مؤمنون

بلا حدود للدراسات والأبحاث، ٢٠١٦م.
٢٧٥. مكَّة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ﷺ، لأحمد إبراهيم الشريف، دار الفكر العربي.
٢٧٦. منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، لحمزة محمد قاسم، راجعه: الشيخ عبد القادر الأرناؤوط، عني بتصحيحه ونشره: بشير محمد عيون، مكتبة دار البيان ـ دمشق، مكتبة المؤيد ـ الطائف، ١٤١٠ هـ ـ ١٩٩٠ م.
٢٧٧. منتخَب من صحاح الجوهري، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفىٰ: ٣٩٣هـ)، نسخة المكتبة الشاملة.
٢٧٨. المنمَّق في أخبار قريش، لمحمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي، بالولاء، لأبي جعفر البغدادي (المتوفىٰ: ٢٤٥هـ) تحقيق: خورشيد أحمد فاروق، عالم الكتب ـ بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م.
٢٧٩. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (صحيح مسلم بشرح النووي)، ليحيىٰ بن شرف النووي محيي الدين أبي زكريا، مؤسسة قرطبة، الطبعة الثانية، ١٤١٤ ـ ١٩٩٤م.
٢٨٠. المنهل الحديث في شرح الحديث، للأستاذ الدكتور: موسىٰ شاهين لاشين، دار المدار الإسلامي، الطبعة الأولىٰ، ٢٠٠٢م.
٢٨١. الموافَقات، لإبراهيم بن موسىٰ بن محمد اللخمي الغرناطي، الشهير بالشاطبي (المتوفىٰ: ٧٩٠هـ)، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة الأولىٰ ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.
٢٨٢. الموسوعة النفسية الجنسية، للدكتور عبدالمنعم الحفني، مكتبة مدبولي، الطبعة الرابعة ٢٠٠٢.
٢٨٣. الموطأ، الإمام مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفىٰ: ١٧٩هـ)، صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، عام النشر: ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٥م.

٢٨٤. الموقع الرسمي للشيخ ابن عثيمين: سلسلة اللقاءات الشهرية، قسم: فتاوى المرأة (فتنة النساء).
٢٨٥. نثر الدر في المحاضرات، منصور بن الحسين الرازي، لأبي سعد الآبي (المتوفى: ٤٢١هـ)، تحقيق: خالد عبد الغني محفوظ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م.
٢٨٦. النساء في الفكر السياسي الغربي، سوزان أوللر أوكين، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمجلس الأعلى للثقافة ـ القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢ م.
٢٨٧. نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، للمحسن بن علي بن محمد بن أبي الفهم داود التنوخي البصري، أبو علي (المتوفى: ٣٨٤هـ)، ١٣٩١ هـ.
٢٨٨. نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، لابن سعيد الأندلسي، تحقيق: الدكتور نصرت عبد الرحمن، مكتبة الأقصى، عمان ـ الأردن.
٢٨٩. النظرات، لمصطفى لطفي بن محمد لطفي بن محمد حسن لطفي المَنْفَلُوطي (المتوفى: ١٣٤٣هـ)، دار الآفاق الجديدة، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.
٢٩٠. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي ـ القاهرة.
٢٩١. نَفْح الطِّيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن محمد المقري التلمساني، دار صادر ـ بيروت، ١٩٦٨م.
٢٩٢. نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، لشمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة شهاب الدين الرملي (المتوفى: ١٠٠٤هـ)، دار الفكر ـ بيروت، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.
٢٩٣. النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات، لأبي محمد عبد الله بن (أبي زيد) عبد الرحمن النفزي، القيرواني، المالكي (المتوفى:

٣٨٦هـ) الأستاذ: محمد عبد العزيز الدباغ، دار الغرب الإسلامي ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٩ م.

٢٩٤. هكذا علمتني الحياة، لمصطفى بن حسني السباعي (المتوفى: ١٣٨٤هـ)، المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة، ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٧ م.

٢٩٥. الورقات، لعبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبي المعالي، ركن الدين، الملقَّب بإمام الحرمَين (المتوفى: ٤٧٨هـ)، تحقيق: د. عبد اللطيف محمد العبد.

٢٩٦. Female Chauvinist Pigs: Women and the Rise of Raunch by: Ariel Levy

٢٩٧. Gorden E Sumeiran Animal proverbs and falbles "collectaon five" JCS vol 12 ,1958 ,p. 18, No35

٢٩٨. https: / /spartacus – educational.com /True_Religion.htm

٢٩٩. https: / /www.tebfact.com

٣٠٠. https: / /www.unicefusa.org /stories /not – object – sexualization – and – exploitation – women – and – girls /30366

٣٠١. Lipstick feminism – Wikipedia

٣٠٢. Stiletto Feminism: https: / /tealswan.com /teals – blog /stiletto – feminism

٣٠٣. The Act for the Advancement of the True Religion – Wikipedia

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
تصدير	٥
المقدمة	٧
سيماء	١١
رواسم المرء	١١
الأنثى إنسانٌ	١٣
سلائلُ النَّفس	١٣
الإنسانية والحقيقة الأنثوية	١٤
❋ الأنوثةُ ووَحدة الأصلِ الإنساني	١٥
❋ خَلْق حوَّاء	١٧
❋ الحقيقة الأنثوية والاختلاف الفطري	١٨
❋ الحقيقة الأنثوية والتباينُ في فَهمها	٢٢
❋ أثر الفَهم على السلوك	٢٨
❋ الحقيقة الأنثوية وزوايا النظر	٣٢
الإنسانية والوعي الأنثوي	٣٧
❋ الوعي بحقيقة النفس	٣٨
❋ الوعي بمكانة النفس	٣٩
❋ الوعي بالسؤال	٤١

الموضوع	الصفحة

الأنثى زوج ٤٤

مغازل الشوق ٤٤

الزوجية والاتصال الفطري ٤٥

❋ مرجع الاتصال ٤٦

❋ عمق الاتصال ٤٧

❋ الاتصال والاشتراك ٥٠

❋ ضوابط الاتصال ٥٥

الزوجية والسَّنَد ٥٩

❋ السَّند والاشتراك ٦٠

❋ السَّند والانصهار ٦٥

❋ فقدُ السَّند الزوجي ٦٨

الأنثى سكَن ٧٠

محاضن الود ٧٠

السكن والسكون الأنثوي ٧١

❋ مفهوم السكن ٧٢

❋ علة السكون ٧٤

❋ كيفية السكون ٧٦

السكَن والحب الأنثوي ٨١

❋ ليس في الحب لوم ٨٢

الموضوع	الصفحة
❋ برهان الحب الصادق	٨٦
❋ الأُنْس ترجمان الحب	٨٩
السكن والسند الأنثوي	٩٥
❋ تأثير السند	٩٦
السكن والصلاح الأنثوي	١٠٢
❋ صلاح الأنثى ممدوح	١٠٢
❋ الصلاح بَوْصَلةُ التأثير النافع	١٠٥
❋ التأثير الأنثوي المُشوَّه	١٠٧
السكن والرعاية الأنثوية	١١١
❋ الخدمة البيتية	١١٤
❋ الخروج للعمل	١١٦
الأنثى عاطفة	١١٩
جدائل القلب	١١٩
العاطفة والمشاعر الأنثوية	١٢٠
❋ المشاعر والانفعالات	١٢١
❋ مَصَبَّ المشاعر	١٢٢
❋ المشاعر والاتزان	١٢٦
العاطفة والأمومة	١٣٠
❋ الأمومة وآصِرةُ الرحم	١٣١

الموضوع	الصفحة

❋ أمٌّ ولو لم أَلِد ١٣٧
❋ الأُمومة والرحمة ١٣٨
❋ التأثير الأمومي ١٤١

الأنثى جمال ١٤٥
ضفائر الحُسْن ١٤٥
الجمال والتكوين الأنثوي ١٤٦
❋ طبيعة التكوين الأنثوي ١٤٧
❋ الزينة في كِيان الأنثى ١٥٠
❋ الجَمال في التكوين ١٥١
الجمال والاتزان الأنثوي ١٦٣
❋ الإفراط والتفريط في الجمال ١٦٣
❋ الخروج عن مقصود الجمال ١٦٧
❋ تجاهُل أحكام الشريعة ١٧٠
❋ الفصل بين الجمال والطهارة ١٧٢
الجمال والدلال الأنثوي ١٧٥
❋ دلال الصوت ١٧٥
❋ دلال الحركات ١٧٨
❋ الدلال والغُنج ١٨٠

الموضوع	الصفحة

الجمال والعقل الأنثوي ١٨٣

❋ العقل بين الذَّوق والقولَبة ١٨٤

❋ الوعي في الجمال العقلي ١٨٨

خاتمتنا ١٩٦

قائمة المراجع والمصادر ١٩٩

فهرس الموضوعات ٢٣٧

سيماء

إن الأنوثة أمارة فطرية ، وآية خَلْقية . .
نشأت عليها الأنثى فبانت سيماؤها عليها بدلائلَ ناطقة ، وشواهدَ ساطعة . .

وقد نزحت قلوبُنا إلى خدور كتب الشرع والتاريخ لبيان الأنوثة وسيمائها . .

ولنجيب على الأسئلة التى يتداولها الكثير:

ما هى الأنوثة ؟
وكيف تكون المرأةُ أنثى ؟
وكيف نظرت الشريعة إلى الأنوثة و اعتنت بها ؟
وكيف تمايلت الأنوثة فى الحضارات عبر التاريخ ؟

فإليكم سيماء الأنوثة ؛ لِتسكنوا إليها . .
وأطرقوا لها مشاعركم . .
وتمسكوا بحبل الأناه و التأمل أثناء القراءة . .

لتجدوا كيف أن الشريعة الإسلامية قد اعتنت بالرسم الأنثوى أيَّما عناية . .

ولتفهموا كيف نظر التاريخ إلى الأنثى . .
فتخرجوا بعد هذا الكتاب بنظرة سهلة الملتمس ، دانية القطوف . .

FEMALE SIGN

50531565 Eewaan18@gmail.com @eewaan18